قصص القرآن

مسرحيات قرآنية

الشيخ محمد حمزة

دار قتيبة
للطباعة والنشر والتوزيع

توزيع مكتبة دار السلام
للنشر والتوزيع
الرياض: ١١٤٩٥ ص.ب ٩٢٩٣٦
ت / ٤٠٣٣٨٥٦ - ٤٠٣٣٨٠٧

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

دار قتيبة
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - ص.ب ١٣٤١٤

قصص القرآن

مسرحيات قرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

« مسرحيات من الذكر الحكيم »
في (قصص القرآن)

الحمد لله وحده . والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . صلى الله عليه وعلى آله واصحابه أجمعين . والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين : أما بعد :

فان قصص القرآن قد امتاز بسموٍّ غاياته ، وشريف مقاصده ، وعلو مراميه . فهو يهذب النفوس . ويزكي العقول . ويجمل الطباع . وينشر الحكمة والآداب . أتى بهداية فريدة . يسوق القصة فيحاكي بها العقل والعاطفة على السواء . يقدمها لبني الانسان كباقة من الزهور مختلفة الألوان . فيها غذاء للعقل والروح والسمع والبصر . وفيها تربية للأخلاق ، وتقويم للعواطف ، وتنظيم للميول . في وسط صورة من القصص الممتع مزيجاً حلواً سائغاً . يخفف على النفوس أن تجرع الأدلة العقلية . ويرفه عن العقول باللفتات العاطفية . ويوجه العقول والعواطف جنباً الى جنب لهداية بني الإنسان الى المثل العليا .

ولما كان ابناؤنا اليوم قد أخذت منهم القصة كل مأخذ . واستولت الرواية منهم على العواطف والميول . وخصوصاً القصة المسرحية . . وفي القصة الوضعية الحق والباطل . والحكيم والسخيف . وما يوجه الى الخير وما يوقع في الجريمة . لذلك رأيت ـ بعد أن طلب

مني بعض الأصدقاء ـ كتابة قصص القرآن. في ثوب قشيب ـ فإنه لا يزال غضاً طرياً عظة وعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ـ باسلوب فني مسرحي فريد في العالم الإسلامي. وقد التزمت ألا أسجل قصة إلا ولها سند. وقد أربط بين أطراف القصة بعبارات من لسان الحال الذي هو أفصح من لسان المقال. وأرفض كل قصة تتعارض مع نص شرعي أو دليل عقلي أو ردها بعض المفسرين في كتبهم من غير تمحيص. وقد اعتمدت في تأليفي هذا على جل التفاسير المعتمدة كالألوسي والقرطبي والخازن والبيضاوي وغيرها. وعلى نخبة من كتب التاريخ كمروج الذهب للمسعودي، والخطط للقزويني، والسيرة لابن هشام، وما نقل عن ابن إسحاق، وغير ذلك. كما اعتمدت على كثير من كتب قصص القرآن وقصص الأنبياء. وقد انقل عن التوراة والعهود القديمة مما لا يبنى عليه حكم شرعي او يناقض العقل. ولم أعز القصة الى مصدرها إلا قليلاً خشية السآمة. وقد اعتمدت على قول واحد من الروايات المتعددة، لأن الكتابة حلقات تمثيلية لا يليق بها إلا ذلك؛ والله المستعان. وأسأله تعالى تسديد الخطى. والعصمة من زلة القلم والقدم. إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

محمد حمزة

الحلقة الأولى

آدم عليه السلام في الجنة

مقدمة

[**الراوي**]: ﴿ خلق الله الأرض في يومين ﴾[1] ﴿ وجعل فيها رواسي من فوقها. وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام للسائلين[2] ثم استوىٰ إلى السماء وهي دخان[3] فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً. قالتا أتينا طائعين ﴾[4] ثم استوى على العرش. وسخر الشمس والقمر. كل يجري لأجل مسمى. ثم خلق ملائكته الذين يسبحون بحمده، ويقدسون اسمه، ويخلصون في عبادته. ثم شاءت إرادته، واقتضت حكمته أن يخلق آدم وذريته ليسكنوا الأرض ويعمّروها.

---

(١) هما الأحد والاثنين من الآية ٨ سورة فصلت.

(٢) اي تمام الاربعة الثلاثاء والأربعاء .

(٣) بخار الماء حين تنفس ، فجعلها سماء واحدة . ثم فتقها فجعلها سبعاً في يومين . الخميس والجمعة . وانما سمي الجمعة لأن الله سبحانه جمع فيه خلق السماء والأرض اهـ مروج الذهب .

(٤) سورة فصلت ١٠ و١١.

فآدم هو الأنسان الأول ، خلقه من تراب ، وأضاف الماء فصار التراب طيناً ، فمضت مدة فكان حمأً مسنوناً [١] ثم جف فكان صلصالاً كالفخار [٢] ثم عدَّل خلقه فسواه تمثالاً أجوفَ مهيأً لنفخ الروح . فطافت به الملائكة يتعجبون من صفة صورته . فقال إبليس للملائكة : إن فضل هذا عليكم ما تصنعون ؟ فقالوا : نطيع ربنا ولا نعصِيه . فقال إبليس في نفسه : لئن فُضِّلَ علي لأعصِيَنَّه . ولئن فُضِّلت عليه لأهلكنه .

ثم نفخ فيه الروح ، فسرت فيه الحياة ، وصار بشراً سوياً . ثم أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم . سجود تحية وإجلال وتعظيم . فاستجابوا لِربهم خاضعين ، وأقبلوا على آدم معظمين . الا أبليسَ العدوَّ الأولَ أبى أن يكون مع الساجدين [٣] . (**وكأني أشعر بالحوارِ كما يأتي**) .

[**المنادي من قبل الله عز وجل يقول** [٤]] : يا ملائكة الله : إن الله خلق آدم بيده ، وكرمه عليكم . وفضل ذريته على من خلق تفضيلاً . فقعوا له ساجدين ، ولِشأنه مبجلين[٥] ولذريته محترمين.

[**الملائكة**] : **سمعنا وأطعنا ، ولأمرك ربنا سجدنا . الله اكبر .**

[**إبليس العدوُّ الأولُ**] : **كلا كلا : لا أسجد لمن خُلِقَ طيناً . أنا خير منه . خلقني الله من نار . وخلقه من طين . والنار أشرف من الطين . وأنا الذي كنت مستخلَفاً في الأرض . وأنا الملبس بالريش . والموشح بالنور ، والمتوَّج بالكرامة . وانا الذي عبدت الله في سمائه . وعبدته في أرضه . فما يكون لأحد أن يفضَّلَ علي .**

[**المنادي من قبل الله تعالى**] : ﴿ فاخرج منها فإنك رجيم . وإن عيك اللعنة الى يوم الدين ﴾ .

---

(١) الحمأ: الطين الأسود. المسنون: المصور.

(٢) الصلصال طين جاف له صلصلة عند النقر عليه .

(٣) الحوار هنا وفي ما يأتي من القصص إما أن يكون بلسان الحال او بلسان المقال . ولسان الحال افصح من لسان المقال .

(٤) هنا وفي كل إخبار عن الله سبحانه لا يجوز ان ينطق الممثل بدون أن يذكر (مناد من قبل الله تعالى) .

(٥) التبجيل: التعظيم.

[**ابليس**] : ﴿ قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون ﴾ [1].

[**المنادي من قبل الله تعالى**] : ﴿ قال فإنك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ﴾ [1] .

[**ابليس**] : ها قد تحقق بعض ما أصبوا إليه . وأمِنْت من الهلاك والعطب إلى يوم القيامة. ﴿فبما أغويتني لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم﴾[2] فبإغوائك إياي لأرصدن لهم الطريق المستقيم . ولأسلكن في غوايتهم كل سبيل ﴿ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم . وعن أيمانهم . وعن شمائِلهم ولا تجد أكثرَهم شاكرين) [2] .

[**المنادي من قبل الله عز وجل**] : ﴿ فقلنا يا آدم إن هذا عدوٌّ لك ولزوجك . فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ [3] وانت يا إبليس : إمضِ لسبيلك الذي اخترته . وسر في طريق الشر الذي أردته ﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك . وآجلب عليهم بخيلك ورَجِلك . وشاركهم في الأموال والاولاد ﴾ [4] وعدهم المواعيد الكاذبة . ومَنِّهم الأماني البعيدة . فلن أخَلِّيَ بينك وبين من صحت عقيدته وقويت عزيمتــه من عبادي المخلَصين . ولن أجعل لك عليهم سلطاناً ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ [5] وإن تزيينك وتدليسَك وتلبيسَك أضعف من أن يخدع عبادِيَ المخلَصين .

﴿ إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ [6]

[**الراوي**] : (**كان آدم وابليس على باب الجنة : فقال المنادي من قبل الله عز وجل**) .

---

(١) الحجر: الآيات ٣٤ ـ ٣٨ وما بعدها. منها من الجنة أو من السماء. أو من زمرة الملائكة.

(٢) الآيتان ١٦ و١٧ من سورة الأعراف.

(٣) ١١٧ من سورة طه .

(٤) من الآية ٦٤ من سورة الإسراء. استفزز: استخف من استطعت أن تستخفه بدعائك. وصِح عليهم بأعلى صوتك. واستعن بأعوانك والرِجُل بالكسر والضم قراءتان. ومشاركة الأموال بجمعها من الحرام وصرفها في الحرام. ومشاركة إبليس في الأولاد. بطريق الزنا والتسمية أو الغواية.

(٥) الإسراء من الآية ٦٥.

(٦) من الآية ٧٦ من سورة النساء.

[**المنادي**] : يا آدم ادخل الجنة وتلقَّ فيها نضرةً وسروراً . ويا إبليس ﴿ أخرج منها مدموماً مدحوراً ﴾ [1] .

[**آدم (في الجنة)**] **ما أجمل الجنة وما أحلاها (يقول في نفسه)**: ولكن أنا إنسان آنس بجنسي . فأحِنُّ الى أنيس وجليس .

[**الراوي**] : **(القى الله تعالى النوم على آدم ثم أخذ ضِلعاً من أضلاع جنبه الأيسر . فخلق منه زوجه حواءَ . من غير أن يشعر [2] فلما استيقظ من نومه ورآها جالسة بجانبه كأحسنِ ما خلق الله تعالى قال)** :

[**آدم**] : من أنتِ يا خلقة الله الجميلة . الآنسة المؤنسة ؟

[**حواء**] : أنا زوجتك حواءُ .

[**آدم**] : لماذا خلقت يا حواءُ يا قرة العين ؟

[**حواءُ**] : خلقت لتسكنَ الي ويسرَّ فؤادُك . ويرتاحَ ضميرك . وأسكنَ اليك . وينتعش مني الفؤاد .

[**/ ادم**] : الآن ارتاح قلبي وسر ضميري . فالحمد لله رب العالمين .

[**المنادي**] : ﴿يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة . وكلا منها رغداً حيث شئتما . ولا تقربا هذه الشجرة [3] فتكونا من الظالمين﴾[10] .

يا آدم ﴿ إن لَكَ ألا تجوع فيها ولا تعرى. وإنك لا تظمَؤُاْ فيها ولا تضحىٰ ﴾ [11] .

[**آدم**] : حمداً لله وشكراً على تكرمه علينا بالجنة . ولكنني متشائم يا حواء . متشائم من قول المنادي من قبل الله تعالى : ﴿ اسكن انت وزوجك الجنة ﴾ فإن ذلك كما علمني ربي لا يفيد الاستقرار . ويا ليته قال : اسكنتك

---

(١) ١٨ سورة الأعراف .

(٢) سميت حواء لأنها خلقت من حي .

(٣) الحنين: الشوق.

(٤) الشجرة قيل بأنها التفاح او الكرمة او الحنطة .

(٥) الآية ٣٥ من سورة البقرة.

(٦) الآيتان ١١٨ و١١٩ من سوره طه. ومعنى لا تضحي: أي لا تتضرر من حرارة الشمس كما في الضحوة الكبرى.

أنت وزوجَك الجنة . ومتشائم من هذا الحرج وهو نهينا عن الأكل من شجرة التفاح فربما جمالها ودلالها أنسانا النهي عنها . أو مُسَوِّلُ آخر [1] .

[الـراوي] : آدم وحواء يتمتعان بما في الجنة من كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين . ولعلهما كانا يتنقلان بين اشجـارها ، ويتفيـآن في ظلالها . ويقطفان من أزهارها . ويتفكهان بثمارها . ويرتويان من عذب مياهها . وعاشا كذلك مدة يعلمها الله يرشفان من مناهل السعادة . ولعله كان بينهما مثلُ هذا الحوار .

[حـواء] : سـر بنـا نتمتـع بهـذا النعيم الخـلاب [2] ودع عنـك التشاؤم . أيها الحبيب .

[آدم] : هيا بنا . يا مؤنسة .

[حواء] : يا ألله ما اجمل سور الجنة . قد صفف وأحكم . صف أصفر وآخر أبيض بينهما ملاط أسود .

[آدم] : أما الصف الاصفر يا حواء فهو من الذهب الخـالص . والأبيض من الفضة النقية . والملاط من المسك الأزفر .

[حواء] : الله الله : انظر هنا . هنا . هناك . هناك . تحيرتُ، شيء يخلب الأنظار ، ويحير العقول في الحكم . أي المناظر اشهىٰ للعيون .

[قال آدم] : لا تتحيري فكلما أردتي أن تحكمي لمنظر من هذه المناظر بالجمال الفائق أدلى الثاني بحجته . قصور عالية ، وقطوف دانية ، وأطيارُ ناطقة ، وأنهار متدفقة . وأشجار وارفةُ [3] الظلال ، تسبح بحمد من له العظمة والجلال .

[حواء] : جد بنا السير حتى نبلغ تلك الأنهار المنحدرة من رؤوس الجبال .

[قال آدم] : لا نحتاج الى عناء السير . فهذا الرفرف الأخضر عن يميننا ممر للركوب . تَعَالي يا حواء

---

(١) سوَّلت له نفسه أمراً: زينته له اهـ مختار الصحاح.

(٢) الخلاب المغربي .

(٣) وَرَفَ الظل يَرِفُ وَرْفاً: اتسع وطال وامتد. اهـ قاموس.

[الراوي] : (يمتطيان الرفرف فيطير بهما بين الرياض فيصلا الى الأنهار بلمحة البصر) .

[حواء] : ها قد وصلنا الأنهار. ولكن العجب العجاب ليست بلون واحد !!

[قال آدم] : لأنها ليست من جنس واحد يا حبيبة . هذه الأنهار من ماء غير آسن[1] لا يتغير له طعم ولا لون ولا ريح . ماؤه سلسبيل ، ومزاجه من تسنيم من أعلا جبال المسك .

[حواء] : وما هذه الانوارُ المتلألِئة من جوف الماء.

[قال آدم] : هذه انوار الحصباء . فإنها ليست من الحجارة ولكنها من اليواقيت واللؤلؤ والمرجان .

[الراوي] : (يشربان من الرحيق [2] المختوم بالمسك . فيُنزع ما في صدورهما من غل . ويغتسلان في الماء ازلال فتظهر عليهما نظرة النعيم كأنهما دهنا بالدهن ثم يتابع آدم عليه السلام شرح ما في الجنة لزوجته حواء) .

[آدم] : يا حواء : هذه الأنهار البيضاء من لبن لم يتغير طعمه . وتلك الأنهار من خمر، لذة للشاربين وهذه الأنهار من العسل المصفى. وإن هذه الأشجار المتدلية حول الأنهار تحمل من كل الثمرات . هذا التفاح المورد . وذاك الرمان المخدد . وذاك السدر[3] المخضود . وهذا النخل النضيد[4] . وهذا الطلح المنضود [5] .

[قرآن كريم] : ﴿ واصحاب اليمين ما أصحاب اليمين . في سدر مخضود. وطلح منضود. وظل ممدود. وماء مسكوب. وفاكهة كثيرة. لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾[6].

---

(١) غير متغير .

(٢) الرحيق اطيب الخمر وأفضلها .

(٣) السدر: شجر معروف بالبلاد الحارة، وخصوصاً بالطائف. ويسمى البن. ومعنى المخضود: أي لا شوك فيه.

(٤) نضيد: أي بعضه فوق بعض.

(٥) الطلح المنضود: الموز المصفوف بعضه على بعض.

(٦) أي لا مقطوعة بزمن. ولا ممنوعة بثمن. الآيات ٢٧ ـ ٣٣ من سورة الواقعة.

[**حواء**] : يا آدم . أنظر ايها الحبيب . كم رأيت في الجنة من أعطاف النعيم وكم رأيت . ولكن وعزة ربي . ما رأيت في الجنة أحسن منك . ولا أجمل منك . أنت شاب شخص ضخم طويل أجرد أمرد جميل بديع . فسبحان من قومك بيده . وأسجد لك ملائكته .

[**آدم**] : وأنا يا حواء والذي صورك ما رأيت في الجنة أحسن منك جمالاً وبهاء ودلالاً . ما أحبك الى قلبي تعالَيْ . تعاليْ أصف ما أعد الله سبحانه وتعالى لنا من القصور . هذا قصر من فضة بيضاءَ للناظرين . وذاك قصر من الذهب الابريز . وهذا قصر من زمرد أخضر . وذاك من ياقوتٍ أحمر . وذاك من زبرجد لاذوردي [1] . وكلها يرى باطنها من ظاهرها . وظاهرها من باطنها . وكل قصر قطعة واحدة لا فصل فيها ولا وصل . وفيها من الأرائك والسرر والفرس التي بطائنها من استبرق [2] . والـرَّفَارِف . والنمارق [3] وأعطاف النعيم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت . ولا يخطر على قلب بشر .

[**الراوي**] : (**فيدخلان القصور ويتمتعان بأعطاف النعيم ما شاء الله أن يتمتعا**) .

[**الراوي**] : (**حَزَّ في نفس إبليس وعز عليه أن يَنعم آدم وزوجه في دار السعادة . وهو مطرود من رحمة الله . مُبعَد من جنته . فصمم على تقويض عرشهما . وإزالة عزهما . فعزم على الدخول الى الجنة رغم طرده منها، فكأني به يحاول هذه المحاولة فيقف أمام رضوان ويقول:**

[**ابليس**] : الا تسمح لي يا أخي يا رضوان بدخول الجنة لعلَّ شذاها يجعلني أتوب وأنوب ويتوب الله علي وهـو التواب الرحيم .

---

(١) اللاذوردي اللون الأزرق.

(٢) الاستبرق حرير ثخين .

(٣) بسط .

[**رضوان**] : أخرج يا ملعون . فإني لست بأخيك . إنك عصيت أمر ربك فطردت من رحمته . وأخرجت من جنته .

[**ابليس**] : (وقد خَلَصَ نَجياً الى الحية) : يا صديقتي الحية . إن المودة بيني وبينك قديمة . فهل لك أن تُدخليني في فِيك وتَدخلي بي الجنة حتى لا يراني رضوان . فان بيني وبينه سوءَ استفهام .

[**الحية**] : حباً وكرامة . فانك حبيب لا تنكر . وصديق لا تنسىٰ .

[**الراوي**] : **(يدخل إبليس الجنة في فم الحية اختفاءً من رضوانَ ويلتقي بآدم وحواء متنكراً فيبكي وينوح حتى أشفقا عليه (وكأنها كانت المحاورة الآتية) :**

[**إبليس**] : إهي . . إهي . . إهي . . إهي :

[**آدم وحواء**] : ما يبكيك أيها الرجلُ . الذي لم نره قبل اليوم . ولا ندري شأنَه .

[**إبليس**]: أبكي عليكما. لأني قرأت في اللوح المحفوظ أنكما تموتان وتفارقان ما أنتما عليه من النعيم . . **(ثم ينصرف)** .

[**قال آدم**]: سمعت يا حواءُ ما زعم الرجلُ المجهولُ من أننا نموتُ ونفارِق هذه السعادَة. أسفاً هذا ما كنت أخشىٰ. وهذا سرُّ تشاؤمي من قبل.

[**حواء**] : وأنا أيضاً دخلت علي الكآبة من كل باب . وكأني رأيت الرجل شفوقاً حنوناً . صادقاً . وتظهر عليه الحكمة .

[**الراوي**] : **(ومكر إبليس بهما بأن يستحوذ على كل منهما على انفراد . فرآى آدم منفرداً)** .

[**ابليس**] : ها . . ها . . ها : قد تفردت بآدم : (. . يا آدم أدلك على شجرة الخلد ومُلك لا يبلى)[1] هذه شجرة التفاح . فكل منها أنت وزوجك تخلدان أبد الآبدين . ودهر الداهرين .

[**آدم**] : عرِفتك . . عرفتك يا ملعون . أنت العدو اللدود الأول أبليس اللعين . كيف دخلت الجنةَ يا ملعون ؟ .

---

(١) الاية ١١ من سورة طه .

[**إبليس**] : الأصدقاء كثيرون يا آدم . (كركركر) دخلت لأقدم لك النصائح .

[**آدم**] : إبعد عني . إبعد عني يا إبليس فاني غني عنك وعن نصحك .

[**إبليس**] : إقسم بعزة الله إني لكما لمن الناصحين . واني اكبر منكما سناً . وأرجح عقلاً .

[**آدم**] : لو كنت أرجحَ عقلاً لما عصيت ربك وكنت من الغاوين . سر في طريقك . إني لا اغتر فيك . ولا أنخدع بزخرفة كلامك . ولا أعتقد صدقَ يمينك . فابعد عني فإنك العدو المبين . وإن الله نهانا عن هذه الشجرة . وحذرنا من عداوتك ومكرك .

[**إبليس**] : يا آدم . يا فهيمُ يا عليم : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين . ولستما بملكين او تكونا من الخالدين . ولستما كذلك . ولكن ماذا أفعل . قد أخلصت لكما نصحي . ولكن لا تحبان الناصحين .

(**انتقال**)

[**الراوي**] : (**فاعرض آدم عن ابليس . وقطع مكالمته . فخلص الملعون نجياً الى حواء فكان ما يلي**) :

[**إبليس**] : (ك.. كر.. كر): يا حواء .. يا حواء .. الا تحبين الخلودَ في هذا النعيم ؟ الا تحبين أن يسعد زوجك وتسعدين ؟ فاقسم بمن صورك بهذه الصورة الجميلة إني لكما لمن الناصحين . خذي .. خذي فذوقي طعم هذه الثمرة الشهية . هذه شجرة الخلد وملك لا يبلى فكلي منها واطعمي زوجك . تكونا في الجنة من الخالدين . وبالسعادة من الفائزين .

[**حواء**] : (**تقول في نفسها**) شيخ جليل . إنه رجل شفقة وعطف ظاهر . ناصح أمين . أقسم بعظيم العظماء . رب الأرض والسماء . وهل يقسم أحد بالله كذباً ؟

قبلت منك نصحك أيها الشيخ الجليل . فهاتِ الثمرة حتى آكل منها وأطعم زوجي آدم .

[**إبليس**]: يا حواء: هذا ما كنت أحلم فيه. وإني أرى في وجهك الضياء والسعادة. وآمل منك تذليل كل صعب. وتنفيذ كل مراد.

[**الراوي**] : **(تناولت حواءُ من إبليسَ ثمرة الشجرة بحسن نية ، وسلامة صدر فأكلت منها وأعطتها لآدم . وكان قد نسي النهي عنها** [1] **فكأنه جرى بينهما هذا الحوار :**

[**حواء**] : يا آدم : ذق ما الذّ وأطيبَّ طعم هذه الثمرة الجميلة اللون . العجيبة التكوين . الفريدة المذاق !!

[**قال آدم**] : هات : كل شيء من يدك جميل لذيـذ مستطاب . **(وأكل منها بذهول)** [2] فبدت لهما سوآتهما .

[**قال آدم**] : تستري تستري يا حواء فقد انخلعت منك الثيابُ . وتطايرت كل مطير .

[**حواء**] : وانت استر عورتك . فقد طارت ثيابك أيضاً ، ولم يبق إلا التاج على رأسك . والاكليلَ حولَ وجهك .

[**الراوي**]: **(فيهبط جبريل عليه السلام، فيأخذ التاج عن رأس آدم ويحل الإكليل عن جبينه ثم يقول)** الأوامر من فوق العرش صدرت قائلة: إهبطا من جواري. فإنه لا يجاورني من عصاني.

[**آدم وحواء**] : ويلاه . . ويلاه . لقد وقعنا في الخطيئة . وانخلعت منا ثياب الكرامة . وأمرنا بالرحيل من دار القربىٰ والنعيم .

[**قال آدم**] : تعالَيْ نستر بورق التين .

[**قال تعالى**] : ﴿ فوسوس لهما الشيطانُ ليبديَ لهما ما وُرِي عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين او تكونا من الخالدين * وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين * فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهمـا وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة . وناداهما ربهما : الم

---

(١) قال تعالى : ﴿ ولقد عهدنا الى آدم من قبلُ فنسيَ ولم نجد له عزماً ﴾ الآية ١١٥ من سورة طه .

(٢) ذَهَلَ عن الشيء نسيه وغفل عنه . وذَهِل ايضاً كذلك .

انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴾[1].

[**قال آدم**] : (**التفت الى حواء باكياً**) هذا أول شؤم المعصية . أخرجنا من جوار الحبيب . ونبذنا في مكان بعيد .

[**آدم وحواء**] : (قالا : ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكون من الخاسرين)[2] .

[**المنادي من قبل الله**] : يا آدم ويا حواء . ويا ابليس . ويا حية : اهبطوا الى الأرض بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين .

(ولسان الحال يقول)

يا ناظراً ترنو بعيني راقدٍ ... ومشاهداً للذنب غير مشاهد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي ... دَرَك الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله اخرج آدماً ... منها الى الدنيا بذنب واحد

---

(١) الآيات ٢٠ ـ ٢٢ من سورة الأعراف.

(٢) الآية ٢٣ من سورة الاعراف .

(٣) أي مستتراً عن عيون الخلق . ولكن الله يعلم السر وأخفى.

(٤) تقلى تتباعد عن الردىء من العذاب والهلاك .

الحلقة الثانية

آدم وحواء عليهما السلام في الأرض

آدم وحواء عليهما السلام في الأرض

[**الراوي**] : هبط آدم وحواء الى الأرض متفارقين . فالتقيا بعد جهد جهيد . فاعترفا بالذنب . وتابا عن الخطيئة . « **فتلقى آدم من ربه كلمات** » فدعى بهن ، وأمَّنت حواء على دعائه فتاب الله عليهما . فكأني به يرفع يديه الى السماء ويقول :

[**قال آدم**]: ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين ﴾[1].

[**حواء**] : آمين . . آمين . . آمين : يارب العالمين .

[**قال آدم**] : إلهي : لا إله إلا أنت : ربي إني عملت سوءً وظلمت نفسي . فتب عليّ أنك أنت التواب الرحيم .

[**حواء**] : آمين . آمين . يا رب العالمين .

قال آدم] : اللهم إنك تعلم سرنا وعلانيتنا فاقبل معذرتنا . وتعلم حاجتنا فأعطنا سؤلنا وتعلم ما في نفسونا فاغفر لنا ذنوبنا يا أرحم الراحمين .

[**حواء**] : آمين . . آمين . . آمين . يا رب العالمين .

---

(١) الآية ٢٣ من سورة الأعراف .

[**المنادي**] : يا آدم ويا حواء . إن الله تاب عليكم وعفا عنكم . ومكنكم في الأرض . وجعل لكم مأرباً في الحياة . وإنه قد انتهى طور النعيم الخالص . والراحة التامة ، وإن عيشكم في الدنيا بكد اليمين وعرق الجبين .

[**آدم وحواء**] : رضينا يا رب العالمين . رضينا يا رب العالمين .

[**المنادي**] : يا آدم ويا حواء : إن الله جعل لكما ولذريتكما طريقين . طريق ايمان وطريق كفر . طريق هدى وطريق ضلال ، فمن آمن واتبع طريق الهدى فلا يخاف ولا يخشى ، وسييسر للحسنى . وسيعود للجنة ، خالداً فيها أبد الآبدين ودهر الداهرين ، وما هم منها بمخرجين . ومن كفر وأعرض عن ذكر الله وهُداه فان له عيشة ضنكىٰ . وسيكون من الذين ضل سعيهم في الدنيا والآخرة . وأولئك هم الخاسرون .

[**آدم وحواء**] : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير .

« قابيل وهابيل »

[**الراوي**] : (بدأ نظام الحياة في الأرض حينما حملت حواءُ أول براعم البشر . ووضعت أول زهرة تتفتح في رياض الإنسانية . وكانت تحمل توأمين في كل بطن . ولقد كان آدم حفياً بأبنائه . كما كانت حواء مستبشرة بقدومهم . طائرة بهم فرحاً وسروراً) .

[**حواء وضعت حملها**] : (**صوت توأمين وليدين يطرأ على سمع آدم**)

[**قال آدم**] : مبروك ما وضعت يا حواء .

[**حواء**]: البركة لنا جميعاً. هذا ولد ذكر. وهذه جارية أنثى. فما تريد أن نسميَهما يا آدم؟

قال آدم] : الذكر قابيل . والانثى لويذاء

[**حوا**] : حسناً سميت .

[**الراوي**] : (**وبعد سنة أو سنتين وضعت حواء توأمين أيضاً**) .

[**قال آدم**] : مرحباً بالنسل الطاهر . وهذا الذكر هابيل . والانثى اقليمياء .

[**الراوي**] : وهكذا حتى تكاثر النسل وبلغ الذكور والإناث كانت المحاورة الآتية.

[**حواء**] : يا آدم إني آنست من ذكور ابنائنا بلوغ الرجال . ومن إناثهم نضوج الأنوثة . ألا نزوجهم يا آدم ؟

[**قال آدم**] : وأنا أدركت ذلك . فاستشرت جبريل فبلغني عن الله عز وجل أن لا أزوج التوأم من توأمته . وأفعل بعد ذلك ما أشاء . وها أنا أبلغ ذلك إلى الأولاد .

[**قال آدم**] : يا هابيل أريد أن أزوجك لويذاءَ توأمة أخيك قابيل .

[**هابيل**] : رأيك حسن يا والدي العزيز . وأمرك مطاع .

[**قال آدم**] : وأنت يا قابيل . أريد أن أزوجك إقليمياء . توأمة أخيك هابيل .

[**قابيل**] : كلا . . كلا . . إن رأيك خاطىء . وأمْرَكَ مرفوض . ولا أتزوج إلا توأمتي لويذاء الهيفاء البيضاءَ الجميلة.

[**قال آدم**] : إن الله نهى في أن أزوج أحداً من ولدي بتوأمته.

[**قابيل**] : كلا لم يأمرك الله بذلك . بل أنت متآمر مع أخي هابيل . ليفوز ويتمتع باختي لويذاء . إني لأمرك عاص . ولتحيزك رافض . فأنا ولويذاءَ من أبناء الجنة[1] وأنا أحق بها من أبناء الأرض .

[**قال آدم**]: يا بني اتق الله: إن لويذاءَ محرمةٌ عليك من قبل الله عزّ وجلّ. وإني لصادق التبليغ. عدلُ القضاء. وإن شئتما برهاناً على ذلك فقرِّبا لـلّه قرباناً . فأيكما يقبل قربانه بدليل واضح . وبرهان ساطع بأن تنزل نارٌ بيضاء من السماء فتلتهمَ قربانَه فهو الفائز بلويذاء.

[**هابيل**] : رضيت . . رضيت يا سيدي الوالد بما رضي الله لي ورضيتَ به عني . وهذا خير كبش عندي قرباناً لله عز وجل .

[**قابيل**] : وأنا . ر . . رضيت . وهذا شيء من الحنطة قرباناً لله .

(فاصلة)

---

(١) قيل حملت حواء بقابيل ولويذاء في الجنة ووضعتهما في الأرض . وقيل غير ذلك والله أعلم .

[**ابليس**]: **(يتمثل بشيخ طاعن بالسن وقد خلص نجيا الى قابيل)**: هل رضيت حقاً بقرعة القربان يا قابيل؟

[**قابيل**] : ها . . ها . . ها : كيفما كانت نتيجة القربان لا ينكح لويذاءَ غيري . ومهما كانت الظروف والعواقب .

[**إبليس**] : إثبت على ذلك فأبوك مغرض عليك .

(فاصلة)

[**قال آدم**] : يا بِنَيَ : ضعا القربانين متجاورين على قمة هذا الجبل وأمنا على دعائي . اللهم يا محق الحق بين لنا ما فيه رضاك يا رب العالمين .

[**هابيل**] : آمين . آمين : يا رب العالمين .

[**قابيل**] : أم . . أم . . أم .

[**الراوي**] : « فتقبل من هابيل . ولم يتقبل من قابيل . فرضي الأول وغضب الثاني . فاضمر لأخيه الحسد والحقد والكيد وتحين الفرص . حتى إذا ذهب أبوه لزيارة البيت الحرام الذي كان قد هيأه لعبادة الله كانت أولُ جريمة على وجه الأرض التي أشعل نارها الحسدُ والشيطان . فكان ما كان » .

[**قابيل**] : ظننت يا هابيل بأنك فزت بمرادِك . وظفرت بعروسك . هذا بعيد . . بعيد عنك (**لأقتلنك**)[1]

[**هابيل**] : ولم تقتلني يا أخي الحبيب . وأنا أضمر لك كل محبة وتقدير. ولا أريد أن يمسك السوء (**لئن بَسَطْتَ إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك إني أخاف الله رب العالمين**)[1] .

[**قابيل**] : أقتلك لأن الله تقبل قربانك ورد قرباني . وتريد أن تنكح أختي لويذاءَ الحسناءَ . وانكحَ أختك اقليماءَ الدميمة . فيتحدث الناس بأنك خيرٌ مني . ويفخر ولدك على ولدي .

[**هابيل**] : يا أخي العزيز : هذا ليس بحَوْلٍ مني ولا طَوْل . فما ذنبي ؟ اتق الله ﴿ إنما يَتَقَبَّلُ الله من المتقين ﴾ .

---

(١) الآيتان ٢٧ و٢٨ من سورة المائدة.

[**الراوي**] : (لعبَتْ في رأسِ قابيلَ الجريمة . وطغى عليه الحسد والحقد . وشحذ عزيمته الشيطان اللعين . فصمم على قتل أخيه . ولكنه تحير كيف ينفذ الجريمة). فأتاه ابليس اللعين بصورة حكيم ناصح فكان ما يلي :

[**ابليس**] : مالي أراك مضطرباً حائراً يا فتى ؟

[**قابيل**] : لا شيء .

[**ابليس**] : بلى : بنفسك شيء وأشياء . وإني حكيمُ الأرض وخبيرها . علمت أنك تريد قتل أخيك .

[**قابيل**] : اء . . اء . . وقع في نفسي شيء من ذلك . فماذا ترى أيها الحكيم ؟

[**إبليس**] : يا فتى : إن أخاك هابيل تطاول عليك . وأنت أكبر منه سناً وأرفع قدراً . ولكنه صمم على أن يتزوج من لويذاءَ الحسناءَ . ولو رغم أنفك ، وساعده على ذلك أبوه آدم . فإياك إياك أن تفسح له المجال فيبقى متعالياً عليك مدى الدهر . يجب أن يُقْتَلَ وإلا فأنتَ مَهِين . أنت مهين . .

[**قابيل**] : هذا الذي وقع في نفسي ولكن .

[**إبليس**]: ولكن ماذا؟ فهمت عليك، تريد التنفيذ ولا تعلم طريقته . أليس كذلك ؟

[**قابيل**] : بلى : كذلك بالضبط .

[**إبليس**] : أنظر يا صديقي إلى هذا الحجر . ثم أنظر إلى رأس ذلك الطائر كيف يطير .

[**إبليس**] : هل تعلمت يا صديقي .

[**قابيل**] : قد تعلمت .

[**إبليس**] : فما يمنعك إذن من التنفيذ . أقتل هابيل وأنا لك زعيم[1] .

[**الراوي**] : (**ذهب قابيل سريعاً إلى أخيه ورضخ رأسه بحجر فقتله** ﴿ فاصبح من الخاسرين ﴾ **خسر الدنيا والدين فتزلزلت الأرض لأول**

---

(١) زعيم: كفيل مساعد.

جريمة على ظهرها . ونطقت الجبال والوديان والأشجار والطيور) يا مجرم . . يا مجرم . عليك اللعنة والخزي والعار . وعليك إثم كل قتيل يقتل ظلماً على وجه الأرض .

[قابيل] : ويلاه . . ويلاه : ما عرى[1] الأرض تتزلزل وتهتز وترتجف ؟ ماذا صنعت بأخي هابيل ؟ قم يا أخي يا هابيل قم . ويلاه ويلاه . قد مات وفارق الحياة . ويلاه . . ويلاه . ماذا أصنع في رمسه[2] ؟ وكيف أتخلص من جثته . ما ليَ إلا أن أحملها على عاتقي[3] . إنها كانت وعاءً لأخي هابيل . ولكنه مات .

[الراوي] : **(وحمل جثة المغدور على عاتقه . وجعل يطوف به . لا يستقر بقرار إلى أن انتنت الجثة)**

[قابيل] : ويلاه . . ويلاه ماذا أصنع لقد أنتنت هذه الجثة واثقلت كاهلي .

[الراوي] : **(فبعث الله عز وجل ابابيل[4] من الغربان ، فتقاتلوا . فقتل أحدهما الآخر فحفر له في الأرض حفرة ووارىٰ جثته)** .

[قابيل] : ﴿ يا ويلتىٰ أعجزتُ أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي ﴾[5]

[قرآن كريم] : ﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله . فأصبح من الخاسرين فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سَوْأة أخيه .

---

(١) عراه كذا واعتراه غشية .

(٢) رَمَسَ الميت دَفَنه .

(٣) قيل كان قتل قابيل لهابيل بمغارة الدم المشهورة بذلك وهي بجبل قاسيون شمال غرب دمشق قريباً من دير قانون على طريق الزبدان والله اعلم . وقد حزن آدم لمقتل ولده هابيل وكان ذاهباً الى زيارة بيت الله الذي بناه أول بناء فوجد أن كل شيء في الوجود تغير لأول جريمة على وجه الأرض : فنسب له انه قال شعراً . والصحيح قيل على لسانه وهو :

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم ... وقل بشاشة الوجه المليح
ومالي لا اجود بسكب دمعي ... وهابيل تضمنه الضريح

(٤) اي جماعات .

(٥) من الآية ٣١ من سورة المائدة .

قال يا ويلتىٰ أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي. فأصبح من النادمين * من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً . ومن أحياها فكأنما أحيىٰ الناس جميعاً ﴾[1][2]

(فاصل)

(عاقبة المجرم)

[الراوي] : (شعر قابيل بالجريمة . وسمع لسان الحال والمقال من البشر والشجر والحجر والمدر يناديه يا مجرم . عليك الطرد واللعنة . فاذهب طريداً شريداً . فزعاً مرعوباً لا تأمن من تراه) فأخذ بيد اخته لويذاء . وهي تمتنع عليه فاغتصبها وقال:

[قابيل] : قومي . . قومي يا لويذاء سيري بنا . فقد استنكرتُ وجوهَ الناس . حتى قد استنكرت كل شيء في الوجود .

[لويذاء] : أترك يدي . . اترك يدي . يا مجرم . لا أستطيع أن أنظر إلى وجهك بعد جريمتك .

[قابيل] : قومي يا لويذاء . وإلا قتلتك . فما أنت بأعز علي من أخي هابيل . ولا أبعد تناولاً منه .

[لويذاء] : إلى أين نذهب . فقد قلتك البلاد وجفتك العباد فإلى أين ؟

---

(١) الآيات ٣٠ - ٣٢ من سورة المائدة.

(٢) كان آدم عليه السلام عند الجريمة زائراً الى بيت الله الحرام الذي بناه لعبادة الله بأمر من الله فرأى وجه الأرض قد تغير وبدى الشوك في الشجر وبدت الحموضة والمرارة في الثمر . فقال . او قيل عن لسانه :

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لسون وطعم ... وقل بشاشة الوجه الصبيح .
فمالي لا اجود بسكب دمعي ... وهابيل تضمنه الضريح
أرى طول الحياة عليَّ غماً ... وما أنا من حياتي مستريح

[**قابيل**] : نبتعد عن البشر ما استطعنا لذلك سبيلا .

[**الراوي**] : سار قابيل بأخته لويذاء متجهاً جنوباً. يواصلان المسير ليلَ نهارَ صباحَ مساءَ حتى يصلا الى البحر الجنوبي فيمنعهما عن متابعة المسير. فيطلق قابيل على ذلك المكان اليمن . فيستقرا هنالك . ويتزوجا زواجاً حراماً مشؤوماً وكان بينهما من الأولاد ما كان. فأتى إبليس اللعين إلى قابيل ليقوم بتتميم مهمته بصفة حكيم الأرض .

[**إبليس**] : عم صباحاً يا قابيل .

[**قابيل**] : يا صباحاه . من أنت أيها الشيخ الجليل .

[**إبليس**] : أنا حكيم الأرض . أتيت أسدي لك النصائح . أرى أن في نفسك شيئاً .

[**قابيل**] : نعم في نفسي شيء وأشياء . ولكن من أين علمت ذلك ؟

[**إبليس**] : كيف لا أعلم . وأنا حكيم الأرض .

[**قابيل**] : إن كنت حكيم الأرض فاخبرني ما يجوب في نفسي .

[**إبليس**] : نعم كثيراً ما يتلجلج في نفسك . لماذا أكلت النار قربان أخيك هابيل ولم تأكل قربانك ؟ أليس كذلك ؟

[**قابيل**] : هو بعينه ما في نفسي .

[**إبليس**] : أعلم يا صديقي أن النار إنما أكلت قربان أخيك هابيل لأنه كان يعبدها . ويسجد اليها . فالنار أعظم من كل عنصر . والنار معبودة مذ كانت النار . فابنِ للنارِ بيتاً. وأجج النار فيه . واعبدها أنت وعقبك تفوزون بكل غاية . وتَلبّي النار لكم كل طلب .

[**قابيل**] : أصبت يا حكيم الأرض .

[**الراوي**] : **(فبنى للنار بيتاً وعبدها . وأمر زوجته لويذاء وبنيه بعبادتها . ولكن لويذاء أبت وبقيت على عبادة الله . وعبد بعض أولاده النار . وبعضهم عبد الواحد القهار . فدعى كبير أولاده أخوته إلى اجتماع حافل فقال)**

[**كبير الأولاد**] : يا أخوتي : هذا أبوكم قابيل سيء الخلق . رديء

الطبع . عصى الله عز وجل . وعق والديه . وقتل أخاه هابيل . وزنى بأمنا لويذاء وهي لا تحل له بشرع أبينا آدم . فما جزاء القاتل إلا القتل . هكذا قتل أبوكم أخاه هابيل . تعالوا نربطه بهذه الشجرة . ونرجمه حتى الموت . وذلك جزاء الظالمين .

[**الراوي**] : فربطوه بشجر ورجموه حتى الموت . وعقاب الآخرة أشد وأخزى .

(ولسان الحال يقول)

عـجبـت لأمــر الله والله قــادر عــلى مـا أراد ليس لله قــاهـرُ
بـرى ظهر بـاغ قـاتـل لشقيقـه طغى وسبيل البغي بالناس جائرُ
فأمسى وقود النـار في مستقرهـا وكــل ظلوم في جهنم صــائــر

الحلقة الثالثة

لمحة من تاريخ إدريس ونوح عليها السلام

ادريس عليه السلام

أذكر قصة إدريس عليه السلام سرداً بدون حوار لأنها غير مفصلة في القرآن الكريم . فأول نبي بعد آدم هو شيث بن آدم . ولم تذكر نبوته في القرآن الكريم . والراجح بأنه نبي ورسول إلى بنيه وأبناء عمه . وأما إدريس فهو ابن بارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام واسم إدريس في التوراة العبرية (خنوخ) وفي الترجمة العربية (أخنوخ) وفي القرآن إدريس. قال الله عزّ وجلّ: ﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً ﴾[1] وقال سبحانه : ﴿ واسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين ﴾[2] .

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية : كان إدريس أول بني آدم أعطيَ النبوة بعد آدم وشيث عليهم السلام . وذكر ابن اسحاق أن إدريس

---

(١) سورة مريم الآيتان ٥٦ و٥٧ .

(٢) سورة الأنبياء آية ٨٥. والكفل: الضعف.

أول من خط بالقلم . وقد أدرك في حياة آدم ثلاثمائة سنة وثمان سنين[1] وكانت حياته ثلاثمائة سنة . وقيل أكثر من ذلك . وأنزل عليه ثلاثون صحيفة[1] .

وجاء في الصحيحين في حديث الاسراء : إن رسول الله ﷺ مر بإدريس في السماء الرابعة . وروى ابن جرير الطبري عن يَساف رحمه الله قال : سأل ابن عباس رضي الله عنهما كعب الأحبار وأنا حاضر فقال له : ما قول الله تعالى في إدريس (ورفعناه مكاناً علياً) فقال كعب : أما إدريس فان الله أوحى إليه أني أرفع لك كل يوم مثل جميع عمل بني آدم . فأحبَّ أن يزداد عملك . فأتاه خليل له من الملائكة فقال له إن الله أوحى اليَّ كذا وكذا . فكلم ملك الموت ـ بإمهالي إن استطاع ـ حتى ازداد عملاً . فحمله خليله الملك بين جناحيه وصعد به حتى بلغ السماء الرابعة . وإذ بعزرائيل منحدراً . فكلم خليل إدريس عزرائيل بما كلمه إدريس . فقال وأين إدريس ؟ فقال هو على ظهري . فقال ملك الموت : فالعجب ، بعثت وقيل لي اقبض روح إدريس في السماء الرابعة . فجعلت أقول : كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض ؟ فقبض روحه هناك . والله أعلم .

ونقل عبد الوهاب النجار في كتابه (قصص الانبياء) نقلا عن تاريخ الحكماء ما ملخصه : إن إدريس عليه السلام ولد في مصر بمدينة منف . وسموه هرمس الهرامسة . وهو باليونانية أرميس ومعناه عطارد . وعند العبرانيين (خنوخ) والعرب (أخنوخ) وسماه الله عزّ وجلّ في كتابه العربي المبين (إدريس) . وقيل ولد ببابل . وأخذ علم شيث بن آدم وهو جد جد أبيه . ولما كبر أدريس أتاه الله النبوة فنهى المفسدين من بني آدم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث . فاطاعه أقلهم . وخالفه جلهم . فنوى الرحلة عنهم . وأمر من أطاعه منهم بذلك . فخرج وخرجوا الى أن وافوا نهر النيل فقال لأصحابه (بابليون) أي نهر مبارك . فاطلق على تلك البلاد هذا الاسم . وبعد الطوفان نزل هنالك مِصر بن حام بن نوح عليه السلام فسميت البلاد باسمه . والله أعلم .

---

(١) عاش آدم في الأرض تسعمائة وثلاثين سنة مروج الذهب للمسعودي ص ٢٠٧ ج (١) .

وأقام إدريس ومن معه بمصر يدعون الخلائق الى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله عز وجل وتكلم الناس في زمنه باثنين وسبعين لساناً . وعلمه الله عز وجل منطقهم جميعاً . وعلمهم القراءة والكتابة والعلم . وهو أول من استخرج الحكمة . وعَلِمَ النجوم . وأفهمه الله أسرار الفلك . وأفهمه عدد السنين والحساب . . دعا إلى دين الله . وعقيدة التوحيد ، وعبادة الخالق ، وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح في الدنيا . وحَضَّ على الزهد في الدنيا . والعمل بالعدل . وأمرهم بصلاة ذكرها لهم على صفات بَيَّنَها . وأمرهم بصيام أيام معروفة من كل شهر . وأمرهم زكاة الأموال معونة للضعفاء . وغلظ عليهم في الطهارة من الجنابة . وحرم المُسكِرَ من كل شيء وشدد فيه أعظم تشديد. وجعل لهم أعياداً كثيرة في أوقات معروفة .

ما جاء في وصفه الخلقي

قيل إنه كان رجلاً أسمر تام القامة حسن الوجه كث اللحية مليح الشمائل ، عريض المنكبين ضخم العظام ، قليل اللحم براق العينين اكحلهما . مُتَأَنِّياً في كلامه ، كثير الصمت . إذا مشى أكثر نظره الى الأرض . كثير الفكرة . به عبسه . . . وكانت مدة إقامته في الأرض اثنتين وثمانين سنة .

وجاء في صحيفة ٣٤٨ من كتاب تاريخ الحكماء : زعم جماعة من العلماء أن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان إنما صدرت عن (هرمس) (ادريس) الساكن بصعيد مصر الأعلى . وهو الذي يسميه العبرانيون خنوخ النبي بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم . وقالوا إنه أول من تكلم في الجواهر العلوية . والحركات النجومية . وأول من بنى الهياكل[1] ومجد الله فيها . وأول من نظر في علم الطب . وإنه أول من أنذر بالطوفان . ورآى أن آفة سماوية تلتحف الأرض من الماء والنار . فخاف ذهاب العلم . فبنى الأهرام والبرابي[1] في صعيد مصر . وصور فيها جميع

(١) المعابد القديمة .

الصناعات والآلات . ورسم صفات العلوم حرصاً منه على تخليدها لمن بعده . والله أعلم .

وقد ذكر المقريزي في خططه (٢٠٧) ج ١ : إن الذي بنى الهرمين الكبيرين هو (سوريد بن سهلوق) أحد ملوك مصر قبل الطوفان . والله أعلم .

وأما عند أهل الكتاب فلا يوجد ذكر لادريس الا قولهم في سفر التكوين (وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه) .

نوح عليه الصلاة والسلام

هو نوح بن ملك بن متشولخ بن أخنوخ (إدريس) بن يارد ابن مهلائيل بن قاين بن أنوش بن شيث بن آدم[1] . عليه السلام . وأولاد نوح الذين اسلموا معه سام وحام ويافث . وولده الكافر يام كما في مروج الذهب للمسعودي . وقيل كنعان كما في البيضاوي وامرأته الكافرة واعلم .

[**الراوي**] : كان قوم نوح يعبدون الأصنام والأوثان والأوهام . ومنها يغوث ويعوق ونسر . فيتخذونها أرباباً من دون الله . ويرجون خيرها . ويخشون من شرها . وقد اعتنقوا الاباحية بأوسع معانيها . وحبذوا رأي قابيل العاق المجرم . ويفخرون بانتسابهم إليه .

فأرسل الله إليهم ذاك البطل المعمر، العاقل الشجاع. صاحب العزم المتين ، واللسان الطلق الزلق الغواص على مواضع الحجج . المؤيَّد بالوحي الألهي والمعزز بملائكة السماء . فدعاهم الى الله بنفس طويل . فكان بينه وبينهم محاورات ومحاورات (فكأنه كان منها) .

[**قال نوح**] : ﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلٰه غيره . إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴾[2] أخاف عليكم عذاب الهلاك بالطوفان والهوان في الدنيا . وعذاب النار والعار في الآخرة . يا قوم ؟ ما هذه الاحجار التي

---

(١) ابن هشام ج ١ ص ١ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ٥٩.

تعبدونها من دون الواحد القهار؟ فهي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنكم من الله شيئاً . يا قوم فكروا ملياً . إن الخضوع إلى أحجار صماء عمياء بكماء ترد عقولكم إلى خيال أو خبال .

[**صوت جماعي**] : ﴿ إنا لنراك في ضلال مبين ﴾[1] .

[**قينان**] : أتطمع أن نترك آلهتنا لقولك . ونهجرها لزعامتك ؟ إنك رجل ضال . أو تريد العطاء .

[**قال نوح**]: ﴿يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين : أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾[2] ﴿ يا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلّا على الله ﴾[3] رب العالمين.

[**أنوش**] : يا نوح أتحلم أن نترك آلهتنا لقولك ؟ ونترك سيادتنا لتشدّقك؟

[**قينان**] : يا نوح ما أجهلك أتأمرنا أن نترك وَداً منزل المطر . ونهجر سواعاً منبت الشجر ونعادي يغوث مفجر الأنهار .

[**صوت جماعي**] : ﴿ إنا لنراك في ضلال مبين ﴾ .

[**قال نوح**] : يا قوم استفيقوا من رقادكم . واعبدوا الله ربكم . ما لكم من إلّه غيره . بيده كل شيء فهو منزل المطر ، ومنبت الشجر ومفجر الأنهار . ومسير الليل والنهار ﴿ ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً * وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً * والله أنبتكم من الأرض نباتاً * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً * والله جعل لكم الأرض بساطاً * لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً ﴾[4] .

يا قوم : ليل داج . وسماء ذات أبراج . وقمر يَسْبَحْ . وشمس تسطع وأرض فجرت خلالها الأنهار . وأنبتت فيها الزروع والثمار . كل هذا يتحدث بلسان فصيح عن إلّه واحد . وقدرة عظيمة عجيبة.

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٦٠.

(٢) الأعراف الآيتان ٦١ و٦٢.

(٣) من الآية ٢٩ من سورة هود.

(٤) الآيات ١٥ ـ ٢٠ من سورة نوح.

[**كنعان**] : يا نوح من شؤمك قد أقفلت السماء أبوابها فلا غيث ولا طل[1] ومنعت الأرض خيراتها وعقمت النساء . فلم يلدن غلاماً واحداً من عدة سنين .

[**صوت**] : نعم كل هذا من شؤم نوح .

[**قال نوح**] : يا قومي : توبوا الى ربكم وارجعوا اليه و ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل الماء عليكم مدراراً * ويمْدِدْكُم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ﴾[2]

[**الجميع (الاشراف)**]: **(يصرخون ويضجون بأصوات مختلفة وعبارات منكرة وسباب وشتائم)**

[**قينان**] : يا نوح لقد أطلت في خطابك . وأطنبت في ثرثرتك (ويلتفت الى القوم) يا قوم اجعلوا أصابعكم في آذانكم حتى لا تسمعوا صوت نوحٍ المنكر . واستروا وجوهكم بثيابكم حتى لا تروا وجهه المكفهر .

[**أنوش**] : اسمعوا أيها القوم لقينان . واستروا الوجوه وصموا الآذان . ﴿ لا تذرُنَّ آلهتكم ولا تذرُنَّ وَداً ولا سُواعاً ولا يغوث ويعوقَ ونسراً ﴾[3] .

[**يام بن نوح (كافر)**] : دعوا أبي ولا يهمنكم شأنه فانه خَرِف أحمق .

[**واعلة زوجة نوح (كافرة)**] : هذا زوجي مجنون فلا يزعجنَّكم بثرثرته .

(فاصل)

ضعفاء القوم يؤمنون

[**الراوي**] : ثبت نوح على دعوته السنين الطوال . وظل يناضل ويساجل . ويقيم الحجج ويبسط البراهين حتى آمن بالله رباً وبه رسولاً بعض

---

(١) الطل: المطر الخفيف (الندى).

(٢) الآيات ١٠ ـ ١٢ من سورة نوح.

(٣) الآية ٢٣ من سورة نوح .

المستضعفين في الأرض . وما آمن معه إلا قليل وثبت وجوه القوم على كفرهم . « فكأني بمجرى الحوادث كما يلي» .

[**مهلائيل**][1] : ماذا ترون في دعوة نوح يا متشولخ ويا أخنوخ ؟

[**متشولخ**] : إنه والله يا مهلائيل يدعو الى مكارم الأخلاق ومحامد الصفات .

[**اخنوخ**] : نعم والله إنه يدعو إلى عبادة الله الواحد المعبود بحق الذي لا ينبغي أن تسجد الجباه إلا لعظمته . ولقد أفك والله قوم كذبوه . وظاهروا عليه .

[**مهلائيل**] : إن دعوة نوح دخلت في سويداء قلبي . ولماذا لا أعلن ذلك ؟ إني ذاهب إلى نوح لأعلن إيماني . والقضاء ينزل من السماء . والله يفعل ما يشاء .

[**متشولخ وأخنوخ**] : نحن معك نعلن ايماننا فيصيبنا ما يصيبك من السراء والضراء .

(فاصل)

[**مهلائيل وصحبه**]: السلام عليكم يا نبي الله .

[**نـوح**] : وعليكم السلام ورحمة الله . إني لأرى في وجوهكم الاسلام .

[**مهلائيل**]: يا نبي الله: إن قلوبنا قد اطمأنت لرسالتك. وأتينا نعلن إيماننا بالله رباً . وبك رسولاً . فما لنا عند الله عز وجل ؟

[**قال نوح**] : الحمد لله رب العالمين أن هداكم للايمان . وإن لكم عند الله النجاة من النقمة والدمار في الدنيا . ونعيم الجنة الخالدَ في الآخرة .

[**مهلائيل وأخنوخ ومتشولخ**] : ربحت البيعة : أبسط يدك نبايعك . وننصرك ولا نعصي لك أمراً .

[**الراوي**] : « ويتابع نوح عليه السلام دعوة القوم بثبات والحاح ليلاً ونهاراً وسراً وعلانية » . ويقف على حشد من القوم ويقول :

[**قال نوح**] : يا قومي : أما آن لكم أن تشهدوا أن لا إله إلا الله

(١) من المؤمنين بنوح عليه السلام مهلائيل . ومتشولخ واخنوخ .

وأنِّي رسول الله وتتركوا هذه الاحجارَ الصماءَ العمياءَ البكماءَ التي لا تدفع عن نفسها ضربة معول . فكيف تدفع عن غيرها ؟ ﴿ أَلهم أرجل يمشون بها . أم لهم أيد يبطشون بها . أم لهم اعين يبصرون بها . أم لهم آذان يسمعون بها ﴾[1] .

[**أنوش**] : يا نوح : ما أنت إلا بشر مثلنا . وواحد منا . تأكل الطعام وتمشي بالأسواق . ولو أراد الله أن يبعث رسولاً لبعثه ملكاً . ولَكُنا أصخنا لقوله وأجبنا دعوته .

[**قينان**] : يا نوح من هؤلاء الأراذل الذين اتبعوك ؟ وما هم إلا طَغامُ الناس وحُثالتُهم وأهلُ الصِناعات الخسيسة والحرف الدنيئة الذين لم تنضج أفكارهم . ولو كان أمرُك خيراً ما سبقونا اليه . ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾[2] .

[**كنعان**] : دعوني أكلمْ نوحاً . . يا نوح كيف نتبعك ونحن لا نرى لك ولصحبك علينا من فضل . لا في العقل والحِجا . ولا في بعد النظر . ولا في رعاية المصالح . ولا في معرفة الميعاد . فما أنتم إلا كاذبون .

[**قال نوح**] : أرأيتم لو أني كنت على بينة من ربي . وحجة شاهدة بصدق دعوايَ . فعميَ عليكم القصدُ واشتبه الأمرُ . وحاولتم ستر الشمس بأكفكم . أو طمس النجوم بأيديكم . فهل استطيع لكم إلزاماً . أو أملك لحملكم على الايمان سلطانا . فأفوض أمري إلى الله .

[**أنوش**] : يا نوح : إن اردت لنا هداية وتوفيقاً . وأردت منا نصراً مؤزراً فأطرد هؤلاء الأوباش عنك . الذين آمنوا بك . فانا لا نستطيع أن نسلك طريقاً سلكوه . فكيف نسير في دعوة يستوي فيها الشريفُ والوضيع . والملكُ والمملوك .

[**قال نوح**] : يا قوم : هذه دعوة عامة . دعوة العدالة والمساواة . دعوة شاملة لكم جميعاً . يستوي فيها الملك والمملوك . والرئيس والمرؤوس . والغني والفقير . والغبي والذكي . فالجميع أنصار الله . يا قومي فمن

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٩٥ .

(٢) الشعراء ١١١ .

ينصرني إن طردت أنصاري . ومن يمنعني من الله إن طردت أحبابَه . وماذا يكون جوابي عند الله إن قابلت إحسانهم بالإساءة . وإخلاصهم بالنكران . ألا إنكم قوم تجهلون . يا قوم : أخشى عليكم أن يمسكم بهذا العناد عذابُ الغريق في الدنيا . وعذابُ الحريق في الآخرة .

[**قينان**]: ﴿ يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ﴾[1] فان كنت تزعم أنك نبي الله . فانزل علينا حجارة من السماء أو أخسف بنا الأرض أو أتنا بالسيول العاتية كما زعمت . أو الصواعق المحرقة كما تتخيل .

« ضجيج من القوم يؤكدون طلب قينان » نعم نعم ائتنا بما أو عدتنا إن كنت من الصادقين .

[**قال نوح**] : إنكم تسرفون في الجهل . وتمعِنون في الحمق . ومن أنا حتى آتيكم بالعذاب . ما أنا إلا بشر مثلكم يوحىٰ إلي أنما إلهكم إله واحد . فلا أقول لكم عندي خزائن الله . ولا أعلم الغيب . ولا أقول إني ملك . ألا إن مَرد كل شيء الى الله . إن شاء هداكم . وإن شاء أمهلكم . وإن شاء عجل عليكم بالعذاب ﴿ انما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين * ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم . هو ربكم واليه ترجعون ﴾[2] .

[**كنعان**] : إلى متى يا قوم ونحن نحلم على نوح . وهو يهدد ويتوعد . إضربوه ضرباً مبرحاً . وإن لم ينته فارجموه . (**القوم ينهالون عليه ضرباً باليمين حتى أغمي عليه**) .

[**الجميع**] : (**بأصوات مختلفة**) ذقْ العذاب الاليم و﴿ لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ﴾[3] .

[**الراوي**] : « وهكذا مكث نوح في قومه الف سنة إلا خمسين عاماً . صابراً على أذاهم صامداً لاستهزائهم . ولكنهم لم يزدادوا على الأيام

---

(١) سورة هود آية ٣٢ .

(٢) سورة هود الآيتان ٣٣، ٣٤.

(٣) سورة الشعراء آية ١١٦ .

إلا عتواً وعناداً . ولم يظهر لنوح منهم بَريقُ أمل . وكلما انقرض جيل كافر اتى بعده جيل أكفر . يتواصَوْن بالكفر ويرثونه كابراً عن كابر . يأتي الوالد بولده الى نوح ويقول له : إن هذا الرجل صابىء مجنون عدو الإله . أوصاني أن لا اغتر به . فأوصيكم يا أولادي بذلك . فانقطع أمل نوح بإيمان أحد منهم فشكى الى الله عز وجل حالته الكئيبة » .

شكوى نوح عليه السلام

[قال نوح]: ﴿ قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً * فلم يَزدهم دعائي إلا فراراً * وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكباراً * ثم إني دعوتهم جهاراً * ثم إني اعلنت لهم واسررت لهم اسراراً ﴾[1] .

[الراوي] : ﴿ وأوحيَ إلى نوح إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ﴾[2] . (ولما علم نوح أن الله حقت كلمته . وقضى وحيه أن لن يؤمن أحد من قومه لم يكن آمن. وإن الله طبع على قلوبهم . ووضع عليها الاقفال فلن ينفع معهم وعظ أو تذكير . ولن يرجى منهم خير . نفذ صبره وقال) :

﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً * إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً ﴾[3] .

قصيدة بلسان حال نوح عليه السلام

يا من يرجى للشدائد كلها ... إني لغير جنابكم لا أهرع
إن نمت تحفظني وتكلؤني وإن ... أنا سرت روحي عنكمو لا تمنع
تبع الرجال لمالك أو حاكم ... ولقد تبعت الله فهو الانفع
لما رأيت الجمع حاربني طُغىً ... والظهر اثقل بالذي لا يدفع
ناديته انصرني وجد لي بالرضى ... يا من إليه المشتكى والمفزع

(١) الآيات ٥ ـ ٩ من سورة نوح.
(٢) سورة هود آية ٣٦ .
(٣) الآيتان ٢٦، ٢٧ من سورة نوح. وديّار: أي أحد يسكن داراً.

الحلقة الرابعة

نوح عليه السلام
صنع الفلك
نوح عليه السلام صنع الفلك

[الراوي] : استجاب الله سبحانه دعاء نوح عليه السلام . وإذا النداء من فوق العرش .

[المنادي من قبل الله عز وجل يقول] : ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴾ [1] يا نوح : لا تخاطبني في إمهال أحد من الكفار . فاني قد قضيت عليهم في الدنيا بالغرق والدمار . وفي الآخرة بالنار والعار .

[قال نوح] : أينكم يا أنصار الله : يا مهلائيل ويا متشولخ ويا أخنوخ .

[مهلائيل ومتشولخ واخنوخ] : لبيك لبيك يا نبي الله .

[قال نوح] : لقد انتصرت السماء لأولياء الله . وغضبت على أعداء الله . واوحى الله الي (أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون) كما أوحي إلي أن الفيضان والطوفان سوف يطغى على

---

(١) الآية ٣٧ من سورة هود .

كل شيء في الأرض . ولا نجاة إلا لَك ولأهلِك إلا من سبق عليه القول . ولمن آمن معك وركب في سفينتك .

[**مهلائيل**] : مرنا بأمرك . لننتهيَنَّ اليه ولو حال بيننا وبينه جمر القضاء [١] وشوك القتاد [٢] .

[**قال نوح**] : انت يا مهلائيل حاذق بالحدادة . فاصنع لنا الدُسُر [٣] واستعن بمن تريد من أهل الإيمان .

[**مهلائيل**] : أمرك مطاع يا نبي الله .

[**قال نوح**] : وانت يا متشولخ عليك تحضير الألواح من الخشب . واستعن بمن تريد من أهل الايمان .

[**متشولخ**] : امرك مطاع يا نبي الله .

[**قال نوح**] : وانت يا أخنوخ . عليك بتهيئة القار [٤] لطلي الفلك بعد إتمام صنعه .

[**أخنوخ**] : امرك مطاع يا نبي الله .

[**قال نوح**] : وانتم يا اولادي . يا سام ويا حام ويا يافث . عليكم مساعدتي بصنع الفلك .

[**سام وحام ويافث**] : أمرك مطاع يا نبي الله ووالدنا العزيز .

[**قال نوح**] : سيروا بنا جميعاً الى الصحراء . بجانب الأحراش الوفيرة . واستعينوا بالله عز وجل .

(فاصل)

صنع الفلك

[**قال نوح**] : هنا العمل . فليقم كل مؤمن بعمله ولنستعن بالله عز وجل .

---

(١) الغضا: نوع من الحطب الصلد.

(٢) شوك القتاد: نوع من الشوك الحاد.

(٣) المسامير .

(٤) القار الاسفلت .

[**المؤمنون**] : أمرك مطاع . . . أمرك مطاع . . يا نبي الله .

(اصوات قطع الخشب ونشره . . وصنع المسامير . . وتكديس الألواح من الخشب)

[**اخنوخ**] : ها قد تهيأ الكثير من الألواح والدسر والقار . فكيف تصمم الفلك يا نبي الله .

[**قال نوح**] : وها أنا أصنع الفلك كما أمرني الله عز وجل وأوحى الي : أن اصنع الفلك من الخشب . واطله بالقار . وليكن مثل جؤجؤ [1] الطير . وطوله ثلاثمائة ذراع . وعرضه خمسون ذراعاً وارتفاعه ثلاثون ذراعاً . بطبقات ثلاث [2] هيا بنا ننجز تصميم الفلك أيها المؤمنون **(الجد في صناعة الفلك . واصوات القدوم والمنشار وغيره من آلات النجارة)** .

(فاصل)

موقف الكفرة

(ضجيج القوم)

[**أنوش**] : يا قوم : هل بلغكم ما يصنع نوح وحثالتهُ ؟

[**صوت**] : تواترت الاخبار عن أنه يصنع سفينة استعداداً للطوفان كما يزعم . ويتخيل .

---

(١) جؤجؤ الطير صدره .

(٢) إن حجم سفينة نوح عليه السلام وابعادها لم يُنَصْ عليها في القرآن وإنما وصفت بأنها (الفلك المشحون) وبأنها (ذات الواح ودسر) اي مسامير . وإنما ذكر حجمها في التوراة . ففي التوراة التي بأيدي اليهود . تكوين (١٤) إصنعْ لنفسك فلكاً من خشبٍ جفرٍ . تجعل الفلك مساكن وتطليه من داخل وخارج بالقار (١٥) وهكذا تصنعه ثلاثمائة ذراع يكون طول الفلك . وخمسون ذراعاً عرضه . وثلاثون ذراعاً ارتفاعه (١٦) وتضع كُوىً للفلك (الكوىٰ المنافذ) وتكمله الى مد ذراع من فوق . وتضع باب الفلك في جانبه . مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجمله . وقال البغوي . وزعم أهل التوراة أن الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج وأن يطليه بالقار من داخله وخارجه وأن يجعل طوله ٨٠ ذراعاً وعرضه ٥٠ ذراعاً وطوله في السماء ٣٠ ذراعاً . والذراع الى المنكب .

[**قيتان**] : ما أجهله واحمق اتباعَه . سفينة تصنع في هضبة الصحراء ؟

[**كنعان**] : سيروا بنا نستهزىء به وبعمله .

(نَقْلة)

الكفرة أمام نوح وصحبه

[**كنعان**] : يا نوح : كنت تزعم قبل اليوم أنك نبي ورسول . فكيف أصبحت اليوم نجّاراً ؟

[**أنوش**] : ما بال سفينتك تصنعها بعيدة عن البحار والأنهار . أأعددت الثيران لجرها . أم كلفت الهواء بحملها ؟

[**قيتان**] : دعوه فلعله يريد حملها على ظهره . (**القوم يضحكون**) .

[**قال نوح عليه السلام**] : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) [1] ﴿ إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون * فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويَحل عليه عذاب مقيم ﴾ [2] سوف تندمون حين لا ينفعكم الندم عندما تأتيكم الأمواج كالجبال . ولات حين مناص [3] وتعقبها نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة .

(**والتفت نوح الى عمله**) .

[**الراوي**] : (واعرض نوح عن استهزائهم . ومر كريماً على لغوهم . وانصرف الى السفينة يقيم ألواحها ويصل أجزاءها . وهكذا استمر العمل بضع سنين [4] حتى استوت سفينة مكينة . ذات الواح ودسر . وجعل

---

(١) الآية ٦٣ من سورة الفرقان .

(٢) الآيتان ٣٨ و٣٩ من سورة هود.

(٣) اي ليس ذلك الوقت وقت مهرب .

(٤) قال ابن عباس اتخذ نوح سفينته في سنتين . وقيل استمر الصنع اكثر من ذلك . ولم يتعرض القرآن لمدة الصنع .

لها بأمر الله تعالى ثلاثة بطون . أعد البطن الأسفل للوحوش والهوام . والبطن الأوسط للطير والدواب والأنعام. والبطن الأعلى ليركب فيه هو ومن معه من المؤمنين وانتظر ما يكون من أمر الله تعالى . حتى جاءه صوت المنادي من قبل الله عز وجل . يا نوح يقول الله لك . اذا جاء أمرنا . وظهرت آيتنا . ورأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأهلك واصحابك في سفينتك [1] واحمل معك من كل نوع من الحيوان زوجين اثنين .

[**قال نوح**] : السمع والطاعة لرب العالمين . (**ينادي**)
يا أولياء الله وأحبابه .

[**اصوات**] : (**اصوات رجال ونساء**) لبيك لبيك يا نبي الله .

[**نوح**] : الأمارات ظهرت . والجو اكفهر . اشحنوا في سفينتكم المؤن والعلف وما تحتاجون اليه .

[**أصوات**] : أمرك مطاع يا نبي الله

(**أصوات الرعد ولمعان البرق**)

[**الراوي**] : واشتد البرق ، وقصف الرعد فارتعدت النفوس وبلغت القلوب الحناجر . فهرعت الحيوانات بامر الله تعالى إلى نوح وشحن نوح في سفينته من كل نوع من الحيوان زوجين اثنين . وانتظر الإذن والأمارة . واشتد الرعد . وكاد البرق يذهب بالابصار واظلمت السماء . وفار التنور .

[**امرأة**] : يا نبي الله . فار تنور [2] الخبز بالماء بدل النار .

[**قال نوح**] : يا عباد الله (اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم) [3] .

---

(١) اختلف في عدد من ركب في سفينة نوح واقرب الأقوال الى الصحة ما رواه المسعودي في مروج الذهب من أن نوحاً ركب في السفينة ومعه اولاده الثلاثة سام وحام ويافث وكناته الثلاث . واربعون رجلاً واربعون امرأة . وفي التوراة أن زوجة لنوح ركبت معه ونجت فتكون زوجة ثانية غير الكافرة .

(٢) التنور: فارسي معرب . وتنازع الناس في معنى التنور فقال البعض هو كناية عن اشتداد الأمر . والصحيح هو فوران تنور الخبز بالماء على غير العادة .

(٣) من الآية ٤١ من سورة هود.

(٤) الدسر: المسامير.

[**المنادي من قبل الله**] : ﴿ ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عبونا فالتقى الماء على أمر قد قدر * وحملناه على ذات الواح ودسر [٤] * تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر ﴾ [٥] .

(وهي تجري بهم في موج كالجبال)

[**الراوي**] : **(وهكذا تفتحت أبواب السماء بالماء . وتفجرت عيون الأرض . وبلغ السيل الزبا [٦] ثم جاوز القيعان والربا . وسارت السفينة باولياء الله بسم الله مجراها ومرساها مرة هي في ريح رخاء . وآونة في زعزعة نكباء . والأمواج تفتح بين طياتها للكافرين قبوراً . والزبد يخيط لهم أكفاناً . يغالبون الموت . والموت يغلبهم . ويصارعون الموج ولكن الموج يصرعهم . حتى طوتهم الأمواج طي السِّر بالفؤاد)** .

(استشفاع نوح بولده يام)

[**قال نوح**] : هذا ابني يام [١] يخوض اللجج ويدافع الموج . يا يام . . يا يام . . يا يام . اقبل إلينا يا بني . وآمن بربك الذي فتح ابواب السماء بالماء . وفجر الأرض ينبوعاً . ﴿ يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ﴾ [٢] .

[**يام**] : اليك عني . . اليك عني . . فإني سابح ماهر . وأني (سآوي الى جبل يعصمني من الماء) [٢] .

[**قال نوح**] : يا بني : انه (لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم) [٢] .

[**قال نوح**] : أسفاً قد حجزت الأمواج بيني وبين ابني يام . فما لِيَ إلا اللجوء الى الواحد العلام .

---

(٤) الآيات ١١ ـ ١٣ من سورة القمر.

(٥) الزُبا: الروابي. الآية ١٤ من سورة القمر.

(١) قال المسعودي في مروج الذهب اسم ابن نوح الكافر يام وقيل كنعان .

(٢) من الآيتان ٤١ و٤٢ من سورة هود.

(يا رب انك وعدتَ ووعدك الحق أنك تنجيني وأهلي ومن آمن) (رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وانت أحكم الحاكمين) [1] .

[**المنادي من قبل الله**] : يا نوح . يقول الله تعالى لك : إنه ليس من أهلك . ولا من خاص عشيرتك . فقد سبقت له الشقاوة . وحقت عليه كلمة الكفر . فلا تَعدَّ مِنْ أهلك الا من آمن بك . وصدق برسالتك . واستجاب لدعوتك ﴿ إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ [2]

[**قال نوح**] : استغفر الله . لقد أخطأت وأسأت . فان ابني يام ليس من أهليَ البررة . ولكنه من العاصين الكفرة . وإني دعوت ربي ان لا يذر على الأرض من الكافرين دياراً ﴿ رب اني اعوذ بك أن اسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين ﴾ [3] .

[**الراوي**] : ولما بلغ الشوط غايته . وطُويت صفحة القوم الظالمين . كفت السماء . وابتلعت الأرض الماء . ورست السفينة على الجودي [4] وقيل بعداً للقوم الظالمين .

استغفر الله الا من محبته ... فانها حسناتي يوم القاه
قل للمحب اذا زاد اليقين به ... صَبراً فحسبك باسم الله ترعاه
اذا أصبت بناس لا حلاق لهم ... فصد عنهم على صدق وقل يا هو
ارواحنا قال فيها الحق من قدم ... هاهم رجالي وان المقصد الله

---

(١) من الآية ٤٥ من سورة هود.
(٢) الآية ٤٦ من سورة هود.
(٣) الآية ٤٧ من سورة هود.
(٤) هو جبل شاهق بجزيرة ابن عمر قرب الموصل . وبينه وبين دجلة ثمانية فراسخ .

الحلقة الخامسة

هود عليه السلام

مقدمة عن وضعية قوم هود

هو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد[1] بن عوص بن ارم ابن سام بن نوح عليه السلام .

[**قبيلة عاد**] : منسوبة الى عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام . قال الكلبي[2] إرم هو الذي يجتمع إليه نسب عاد وثمود وأهل السواد وأهل الجزيرة . وكان يقال عاد إرم وثمود إرم . فأهلك عاد وثمود وابقي أهل السواد وأهل الجزيرة . وقال سعيد بن المسيب إرم ذات العماد دمشق . . وكان قوم عاد أهل جنات وزروع . وسموا بذات العماد لطول قامتهم . ولم يخلق مثلها في البلاد أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة في البلاد. وهم الذين قالوا: من أشد منا قوة . وقيل سموا بذات العماد بمدينة بناها شداد بن عاد بن عوص بن إرم وسماها باسم جده إرم .

---

(١) أولاد عاد الخلود وشداد وشديد على المشهور .

(٢) الكلبي هو هشام بن محمد الكلبي مؤرخ عالم بالانساب واخبار العرب كثير التصانيف من أهل الكوفة وله نيف ومائة كتاب وخمسون كتاباً توفي بالكوفة عام ٢٠٤ هـ الاعلام للزركلي .

ولا يستبعد أن يكون اسمهم أخذ من السببين معاً . وإن شداد بن عاد قيل بأنه ملك الدنيا كلها ودانت له ملوكها بالطاعة .

[**مساكن قبيلة عاد**] : في وادي القرى من الأحقاف[1] قال تعالى : (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف) وهي بلاد ما بين عُمان وحضرموت من أرض اليمن وفي شمالها الربع الخالي . وموضع بلادهم اليوم رمال ليس فيها أنيس بعد ذلك العمران والنعيم المقيم . ولم يتعرض أحد من الباحثين والمنقبين عن آثارهم . ولعل تحت الرمال من الثروة العلمية ما لو كشف لكان عظيم القيمة في عالم الآثار . وأبان عن مدينة عربية عظيمة مطمورة تحت تلك التلال من الرمل . وقد امتدت سيطرة قوم عاد الى سائر البلاد تقريباً .

[**عبادة قبيلة عاد**] : كانوا يعبدون ثلاثة أصنام اسم الأول صُداء . والثاني صَمود . والثالث هباء ولكنهم مع عبادتهم الاصنام يقرون بوجود الله . وأن الاصنام شركاء وشفعاء ، ومقربين الى الله زلفى . وفي وقت الشدة وخصوصاً عند انحباس الأمطار يدعون الله وحده ويطلبون منه الغيث . وكانوا يستغيثون عند البيت الحرام الذي بناه إذ ذاك نوح عليه السلام بعد الطوفان في مكانه الآن . وكان القائم على البيت في زمن قوم عاد العماليق . احفاد عَمْليق بن لاوز بن سام بن نوح عليه السلام . وكان رئيس العماليق معاوية بن بكر . وأمه من قبيلة عاد . وهو متزوج أيضاً من قبيلة عاد .

[**الملأ من قوم عاد (الزعماء**] : كان يتزعم قوم عاد عند مبعث سيدنا هود ، قِيلُ بن عنز . ونعيم بن عذال . وجهلة ابن الخبيري (خال معاوية بن بكر سيد العماليق) ولقمان بن عاد . ومرثد بن سعد بن عفير[2]

مجرى الأحداث قبيل مبعث هود

وكأني بمجرى الأحداث كما يلي:

---

(١) الحقف: المعوج من الرمل والجمع حقاف وأحقاف .

(٢) ولم يؤمن من هؤلاء الزعماء الا الاخير وهو مرثد بن سعد بن عفير ولكنه كتم إيمانه الى قبيل هلاك قوم عاد ونجى مع هود .

[**عاد**]: يا بني شداد! قد هلك أخوك شديد. وأخوك الخَلود خَلَدَ إلى الراحة ووقذته عبادة ربه فأنت أملي الوحيد في السيطرة على سائر البلاد وقهر سائر العباد .

[**شداد**] : أمرك يا والدي المطاع سَتجدني عند ظنك . وأنا ملك الدنيا وان هذه الأرض لا تسع أكثر من ملك واحد .

[**شداد**] : أين الرجال . . اين الخيول . . أين السيوف . . أين الرماح . . .

[**الرجال**] : لبيك لبيك يا شداد بن عاد . مرنا بامرك . .

[**شداد**] : جيش الى الشمال بقيادة عملاق بن عمليق . وجيش الى الشرق بقيادة ود بن عوص . وجيش الى الغرب بقيادة إرم بن الخلود .

[**عملوق وود وارم**] : لبيك لبيك . .

[**شداد**] : اسمعوا قولي ونفذوا أمري : خذوا العالم بالعَسْفِ والقهر والجبروت . فالرهبوت خير من الرحموت[1] فاسفكوا الدماء وقطعوا الأوصال . واقتلوا كل مخالف . واسحقوا كل معاند . فليس على وجه الأرض أجسامٌ كأجسامكم . ولا عضلاتٌ كعضلاتكم . ولا قوة تقف أمام قوتكم . وكل ذي بأس ينقسم لبأسكم انقسام الشجرة من الريح العاصفة .

[**عملوق بن عمليق**] : من أشد منا قوةً على ظهر الأرض وملكنا شداد بن عاد. هيا يا رجال .

« نقلة »

[**شداد**] : معاشر الزعماء (**اجتماع الملأ من القواد والنبلاء والزعماء**) : إني اريد أن ابني لكم مدينة اسميها باسم جدي إرم لم يخلق مثلها في البلاد . تضاهي جنة الله التي بشر بها نوحٌ عليه السلام . تكون مسكناً للوصيفات . والابناء والاحفاد . ومرتعاً للنبلاء والزعماء والقواد.

[**وُدْ بن عوص**] : حسناً تفعل : ملكٌ عزيزٌ جبار.

---

(١) هذا مثل عربي قديم ومعناه : لأن يرهب جانبك خير من أن ترحم .

[**الراوي**]: (وهكذا غزى شداد بن عادٍ البلاد . وقهر العباد . وفتك باهل العناد في كل ناد . فامتد ملكه الى ما شاء الله من البلاد . وتوارث السيطرة الأولادُ والاحفاد)[1] .

الاحداث قبيل بعثة هود

[**قيل بن عنز**] : يا نعيم ويا جهلة ويا لقمان ويا مرثد . اجتماع خاص لتدبير الملك .

[**نعيم وجهلة ولقمان ومرثد**] : مر بما تربد يا قيل فامرك مطاع .

[**قيل**] : يا قوم إنا أوتينا بسطة في الأجسام . وقوة في الأبدان . وفُضلنا على العالمين تفضيلاً . هذه العيون المتفجرة . والأرض الخصبة . والزروع الوفيرة . والبساتين المثمرة . والقصور الشامخة . فما علينا إلا إحاطة هذا الخير حتى لا يزول ويضمحل .

[**نعيم**] : مُرنا بأمرك .

[**قيل**] : أنت يا جهلة بن الخبير تعهد أمر الجيوش فإياك أن يرتفع

---

(١) ذكر المقريزي (وهو احمد بن علي المقريزي العلامة الكبير المتوفي عام ١٤٤٢ م) في كتابه الخطط عن المسعودي (وهو الرحالة الكبير والمؤرخ الجليل ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفي عام ٣٤٦ هـ صاحب كتاب اخبار الزمان . ومروج الذهب) قال : ذكر جماعة من أهل العلم أن الاسكندر المقدوني لما استقام ملكه في بلاده وسار يختار أرضاً صحيحة الهواء والتربة والماء حتى انتهى الى موضع الاسكندرية في مصر، فأصاب فيها أثر بنيان، وعمداً كثيرة من الرخام، وفي وسطها عمود عظيم مكتوب عليه بالقلم المسند (وهو القلم الأول من اقلام حمير وملوك عاد) : انا شداد بن عاد . شددت بساعدي الواد . وقطعت عظيم العماد . وشوامخ الجبال والاطواد . وبنيت ارم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد . وأردت أن ابني هنا مدينة كإرم . وانقل اليها كل ذي قدم وكرم . من جميع العشائر والأمم . وذلك اذ لا خوف ولا هرم . ولا اهتمام ولا سقم . فأصابني ما أعجلني . وعما أردت قطعني . ومع وقوعه طال همي وشَجَني . وقل نومي وسكني . فاعددت الإرتحال عن داري . لا لقهر ملك جبار . ولا لخوف جيش جرار . ولا عن رغبة ولا عن صغار. ولكن لتمام المقدار . وانقطاع الآثار . وسلطان العزيز الجبار . فمن رآى أثري وعرف خبري . وطول عمري ونفاذ بصري . وشدة حذري فلا يغتر بالدنيا بعدي فانها غرارة غدارة . خطط المقريزي (قيل إن شداد بن عاد عاش ألفي عام وملك اكثر الدنيا والله أعلم) ص ٢٧٦ : ج ١ .

رأسٌ على وجه الأرض . فاقطع كل رأس مرفوع . وابطش بطشة الجبابرة . حتى تهابَنا الأمم ابد الدهر .

[**جهلة بن الخبير**] : أمرك مطاع يا قيل بن عنز .

[**قيـل**] : وأنت يا نعيم بن عـذال تعهد أمـر الزروع والبسـاتين والعيون .

[**نعيم بن عزال**] : أمرك مطاع يا قيل بن عنز .

[**قيل**] : وأنت يا لقمان بن عاد تعهد القصور والعمران . وابنِ على كل جبل قصراً خالداً . وداراً للّهو والعبث فاخرة .

[**لقمان**] : أمرك مطاع يا قيل .

[**قِيل**] : وأنت يا مرثد بن سعد بن عفير تعهد الكتابة . ونقب عن العلوم والآثار .

[**مرثد**] : أمرك مطاع يا قيل . فما أبقيت لنفسك من الأعمال يا أمير القوم .

[**قيل**] : حسناً تكلمت . يجب أن يكون لكل منا عمل : فانا أبقيت لنفسي تعهد الآلهة . أبني لها المعابد . وأنظم العبادة . وأكون كرسول لها .

[**مرثد**] : حسناً ، حسناً . ولكن عملك أشرف الأعمال . لانك تقيم معابد شركاء الله ووزرائه وشفعائه في الأرض .

[**قيل**] : كلنا يشترك بهذا الفضل العظيم ما دمنا جميعاً نعبد صراء وصمود وهباء . فتفو[1] لها جباهنا . وتعفر في ثراها خدودنا . ونتوجه اليها بالشكر كلما وقعنا على خبر . ونفزع اليها كلما أصابنا خير .

[**جهد بن الخبير**] : **طبعاً . . طبعاً . ومن منا يستغني عن الآلهة طرفة عين ؟**

(**نقلة**)

[**قيل**] (**يقول أمام حشد كبير**) : يا قوم : اسمعوا وعوا . فإنـه لا يستديم للأمراء والنبلاء مجد الا بالعسف والقهر . فاضربوا ضرب الجبابرة ،

---

(١) عنا بعنو اذا خضع .

وابطشوا بطش العتاة[1] . وأذلوا الحثالة ، فان عزها يعكر الصفاء . وإياكم أن تسمنوا الكلب فينقلب عقوراً . واجيعوا الاكباد فتخضع . فالعبد إذا اعطيته كراعاً[2] طلب ذراعاً .

[**لقمان**] : حسناً أشرت يا قيل .

[**الراوي**] : ويسيرون على ذلك ردحاً[3] من الدهر . فيبطشون بطش الجبابرة . ويذلون الضعفاء منهم ومن غيرهم . ويعيثون في الأرض فساداً . ويبنون بكل ريع آية يعبثون .

ويتخذون مصانع لعلهم يخلدون[4] .

(نقلة)

[**مرثد بن سعد**]: (**والقوم مجتمعون**) يا قوم: ما بال هود ابن عبد الله منزوٍ على نفسه . وهو أوسطنا نسباً[5] وأكرمنا خلقاً . وأرجحنا حلماً . وأرحبنا صدراً . وأصبحنا وجهاً . فليته يحضر نوادينا ويكون قيِّماً على آلهتنا .

[**قيل بن عنز**]: يا مرثد بن سعد: إن هودَ بن عبد: ان هودَ ابن عبد الله بن رباح كأنه تأثر باسم ابيه عبد الله . فهو لا يعشق الا الله . ولا يعبد سواه وليس لشركاء الله عنده أدنى وزن .

[**القوم**] : صحيح . . صحيح : هود لا يعبد إلا الله .

[**مرثد بن سعد**] : ها هو قد أقبل .

[**قال هود**] : سلام عليكم .

[**القوم**] : وعليك السلام يا ابن عبد الله .

---

(١) العاتي: الجبار والمتجاوز للحد في الاستكبار.

(٢) الكراع: رجل الشاة.

(٣) قام ردحاً من الدهر أي طويلاً .

(٤) اي يبنون على رأس كل جيل يبسطون ايديهم عليه علامة للعبث واللهو . ويتخذون مصانع للماء . او قصور مشيدة .

(٥) ارفعنا شرفاً ومجداً .

[**قال هود** : هل لكم في عز الآخرة والأولى ؟ هل لكم في أن يديم الله عزكم ويرفع مجدكم ويديم ملككم ؟

[**قال هود**] : ﴿ يا قومِ اعبدوا الله ما لكم من إلـه غيره أفـلا تتقون ﴾[1] يا قومِ ما هذه الاحجار التي تنحتونها ثم تعبدونها وتلجؤون اليها . ما خطرها وما غناؤها[2] وما ضررها وما نفعها . إنها لا تجلب لكم نفعـاً . ولا تدفـع عنكم شراً . إنْ هـذا إلا ازدراء لعقولكم . وامتهـان لكرامتكم . فإني رسول الله إليكم . جئتكم بثلاث . أن تعبدوا الله رباً واحداً . وأن تتركوا عبادة الأصنام . وأن تكفوا عن ظلم الأنام .

[**قيل بن عنز**] : يا هود بن عبد الله . ما هذا الهذيان الذي تهذي به وتخوض فيه . وكيف تريدنا أن نعبد الله وحده من غير شركاء . إننا نعبد هذه الاصنام لتقربنا الى الله زلفى . وتشفع لنا عنده .

[**قال هود**] : يا قوم إنما الله إلّه واحد لا شريك له . وعبادته وحده هي جوهر العبادة ولبابها . وهو قريب غير بعيد . أقرب اليكم من حبل الوريد[3] .

[**جهلة بن الخبير**] : يا هود ما أنت إلا سفيه طائش الحلم . تسفه عبادتنا . وتعيب علينا ما وجدنا عليه آباءنا . ما أنت إلا رجل منا . تأكل كما نأكل . وتشرب كما نشرب . فلِمَ اختصك الله بالرسالة من بيننا . وآثرك بالدعوة علينا . ما نظنك إلا من الكاذبين .

[**قال هود**] : يا قوم ليس في سفاهة عقل . ولا حماقة رأي . ولقد عشت فيكم دهراً طويلاً . فما الذي أنكرتموه علي . وما الغرابة في أن يختص الله واحداً من قومه برسالته .

يا قوم إني لست بيائس من إيمانكم . ولا ضائق الصدر بسفهائكم . ففكروا بعقولكم تروْا أن الله واحد مـدبِّر لهذا الكون العجيب ، والخلْقِ الغريب ، والفلك الدائر ، والنجم الثاقب .

---

(١) سورة الأعراف آية ٦٥ .

(٢) الغناء: النفع.

(٣) حبل الوريد عرق تحت اللسان .

[**قيل بن عنز**] : إليك عنا يا هود . جئتنا وأمرنا واحد . تريد أن تفرق جمعنا لتكون لك السيادة علينا .

[**قال هود**] : سلام عليكم . وأفوض أمري الى الله . (ثم يذهب)

« **انتقال** »

[**قيل بن عنز**] : إليَّ يا قوم . . إليَّ يا قوم . . (**القوم يجتمعون**)

[**قيل**] : هذا ما كنت أتوقع من هود بن عبد الله بن رباح . فإن عداوته لآلهتنا قديمة . وإن لم يحضر لنا صلاة قط ، ولم يشرب معنا الخمر قط . ولم يشاركنا باحتفال الآلهة يوماً ما ؛ فإياكم أن تركنوا لهود عدو الآلهة ، فان خطره علينا أعظمُ خطر داهم . فالحذر منه الحذر والسلام .

[**لقمان بن عاد**]: ما أظن إلا أن هوداً يريد الزعامة والملك والمال . فنحن لا نقر بزعامته . ولا مانعَ أن نعرض عليه مالاً . لعله يريد بدعوته ثراءً .

[**نعيم بن عزال**] : يا قوم إن هوداً يذكر آلهتنا بسوء . فلا نقر له بجاه ولا نعطه مالاً ولئن تمادىٰ لنقتلَنَّه .

[**مرثد بن سعد**] : تظن يا نعيم أن قتل هود سهل هين لين . وهو صاحب الشجاعة والمنعة . فكروا يا قوم فيما يجمع شملكم ويلم شعثكم . (**ثم ينصرف القوم**)

« **فترة انتقال** »

[**مرثد بن سعد**] : (**يقول في نفسه**) والله إن هوداً على الحق . أحجارٌ ننحتها ثم نسجد اليها . فما غناؤها . إني على دين هود لا أعبد إلا الله . وما علي إلا أن اجتمع بهود سراً وأعلن له ذلك .

(فاصل)

[**قال**] : (**طرق باب**)

[**هود**] : من الطارق ؟

[**مرثد**] : عبد مؤمن من عباد الله .

[**قال هود**] : مرحباً بمن دخل بيتي مؤمناً . (**ويفتح الباب**) .

[**قال هود**] : مرحباً بمرثد بن سعد بن عفير .

[**مرثد بن سعد**] : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن هوداً نبي الله . يا نبي الله آمنت بك وصدقتك كما آمن أهل بيتي. ولكني أخشى القوم على نفسي ومالي وأهلي . فإن أحببت أكتم إيماني . وأناصرك سراً ما استطعت الى ذلك سبيلاً .

[**هود**] : حسناً تفعل . بارك الله فيك . وفي أمثالك . يا مرثد ادع الى الله سراً من وثقت به والله يكلأك بحفظه ورعايته .

[**مرثد**] : أمرك مطاع يا نبي الله .

(فاصل) « فترة انتقال »

(يقول أمام جمع كبير)

[**قيل بن عنز**] : يا قوم : بلغني أن دعوة هود بلغت كل بيت في عاد ، فاخشى أن يغترّ به بعض البسطاء فماذا ترون ؟

[**لقمان بن عاد**] : نأخذ على يده ونمنعه من نشر دعوته .

[**جهلة بن الخبير**] : إذا حضر هود فدعوني اليه حتى افحمه.

[**مرثد بن سعد**] : بلغني أن هوداً علم باجتماعنا وأنه سيحضر ويدعوكم الى الله .

[**مرثد**] : ها هو هود قد أقبل .

[**قال هود**] : السلام على من اتبع الهدى .

[**مرثد**] : وعلى هود السلام .

[**قال هود**] : يا قوم إنكم أهلي وعشيرتي وأحب الناس إليَّ و﴿ إني أخاف عليكم عذاب يوم كبير ﴾[1] وإني أتصبر فلا أصبر . لأن بوادر النقمة قد نزلت بكم . هذه السماء قد اقفلت أبوابها عنا لعنادكم . فآمنوا بالله واستغفروه يرسل السماء عليكم مدراراً[2] ويحددكم بأموال فوق

---

(١) الآية ١٣ من سورة هود.

(٢) يقال درت السماء بالمطر اذا كثر مطرها .

أموالكم . ويزدكم قوة الى قوتكم ﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح . وزادكم في الخلق بسطة[1] فاذكروا آلاء[2] الله لعلكم تفلحون ﴾[3] واعلموا أنكم بعد موتكم سوف تبعثون . فمن عمل صالحاً فلنفسه . ومن أساء فعليها. وما ربكم بظلام للعبيد. ﴿ يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون ﴾[4].

[قيل بن عنز]: يا هود بن عبد الله: لا شك أن واحداً من آلهتنا قد مسَّك بسوء. لأنك ذكرت الآلهة بسوء. فخولطت في عقلك فأصبحت تهذي بكلمات لا حقيقة لها إلا في خَلَدك[5] ولا ظل لها إلا في تفكيرك .

فما الاستغفار الذي يرسل الله بعده السماء . ويمد بالمال ويزيد في القوة . وما يوم البعث الذي تزعم أننا نعود فيه بعد أن نصبح عظاماً نخرة ، وجثثاً بالية . هيهات هيهات[6] لما تعد وتزعم . وما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا إلا الدهر .

[جهلة بن الخبير] : فما العذاب العظيم الذي تعدنا . وتتوقع أن نلقاه بمخالفتك . إننا لن نذعن لما تقول ولن نرجع عن عبادة آلهتنا . ولن ندع الجبروت والبطش . فإن فيهما الصولة والدولة . ﴿ فأْتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ﴾[7] .

[قال هود]: إني أُشهد الله أني قد بلغت وما قصرت. وجاهدت وما أحجمت، بجرأة وبسالة. وإني لا أهابكم جمعاً. ولا أخافكم بطشاً. فكيدوني كيداً ﴿ إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم * فان تولوا فقد أبلغتكم ما ارسلت به اليكم . ويستخلف ربي قوماً غيركم . ولا تضرونه شيئاً . إن ربي على كل

---

(١) زاده في الخلق بسطة اي في الطول والقوة على غيره .

(٢) آلاء: نعم.

(٣)من الآية ٦٩ من سورة الأعراف.

(٤) الآية ٥١ من سورة هود .

(٥) الخَلَد: بفتحتين البال والقلب يقال وقع ذلك في خلدي أي في قلبي. مختار.

(٦) هيهات: بعد.

(٧)من الآية ٢٢ من سورة الأحقاف.

شيء حفيظ ﴾[1] فاذكروا يا قومِ أن جعلكم خلائف الأرض من بعد إهلاك قوم نوح بالطوفان . فان كنتم بطاشين فالله أشد بطشاً وأشد تنكيلاً .

[**القوم بصوت واحد**] : ﴿ سواء علينا أَوَعَظْتَ أم لم تكن من الواعظين ﴾[2] ﴿ فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ﴾[3] .

[**مرثد بن سعد**] : يا قوم : لا أكتمكم حديثاً أرى أن نتبع دين هود . وأراه معقولاً أكثر مما نحن عليه . الا ترون أن السماء قد اقفلت أبوابها فلا تبض بقطرة ماء[4] .

[**قيل بن عنز**] : إليك عنا يا هود . فقد كدت تفرق جماعتنا . وإنا تطيرنا بك[5] ومُنِع عنا الغيث من وجهك وشؤمك .

[**قال هود**] : أفوض أمري الى الله .

(فاصل) « فترة انتقال »

[**قيل بن عنز**] : (**يقول امام جمع غفير**) : يا قوم هلكت الزروع . وعطشت العيال والانعام ، وأجدَبَت الأرض ثلاث حجج متواليات[6] فهلُمَّ نستسقي الله عند البيت الحرام . ضيوفاً عند إبن اختنا معاوية بن بكر سيد العماليق . فهو ابن اختنا كَلْهَدة بنت الخبير شقيقة جهلة بن الخبير . وهو صهرنا أيضاً . وألفوا الوفد من كل وجيه وشريف ونبيل .

[**جهلة بن الخبير**] : حسناً رأيت . إن ابن اختي كلهدةَ كثيرُ الرماد . يطعم الطير في الجو والوحش في رؤوس الجبال .

[**لقمان بن عاد**] : إنه لرأي سديد . فإني كأمير للبلاد فقد نفذ من بيتيَ الزاد . ولْيكن تأليف الوفد باسرع ما يكون .

(فترة انتقال)

---

(١) الآيتان ٥٦ ﴿ ٥٧ من سورة هود.

(٢) الآية ١٣٦ من سورة الشعراء .

(٣) من الآية ٢٢ من سورة الأحقاف.

(٤) اي لا تجود بقليل من الماء. القاموس.

(٥) تطيرنا: تشاءمنا.

(٦) حجج: سنين.

[**قيل بن عنز**] : سيروا بنا فقد تم تأليف الوفد .

[**نعيم بن عزال**] : جدّوا في السير فقد هلك العيال .

[**قيل بن عنز**] : ذاك البيت المقدس وراء تلك العقبة .

[**مرثد بن سعد**] : يا قيل : ألا نبدأ بحرم نوح عليه السلام فنستغيث الله سبحانه .

[**قيل**] : كلا نذهب أولاً الى ضيافة معاوية بن بكر سيد العماليق . وصاحب الكرم والجود يعقر لنا الجزر ونسقى الخمر . ونسمع غناء الجرادتين[1] وتلك داره بالتنعيم .

[**لقمان بن عاد**] : اليه إذاً .

[**قيل بن عنز**] : هذه دار معاوية بن بكر . وذاك معاوية في استقبالنا .

[**معاوية بن بكر**] : ضيوف كرام . وأصهار عظام . وأخوال بررة .

[**قيل**] : عم صباحاً يابن كَلْهدة بنتَ الخبير .

[**معاوية**] : عم صباحاً .

[**قيل**] : لقد هلك أخوالك وأصهارك من الجفاف ثلاث حجج متواليات . فأتيناك نستسقي عند حرم نوح عليه السلام .

[**معاوية بن بكر**] : ذاك بعد الضيافة ثلاثة أيام .

[**قيل بن عنز**] : حسناً . . حسناً بيت الكرم دخلنا .

[**معاوية**] : يا سرور[2] انحر الجزر . وعليَّ بالخمر العتيق . وعليَّ بالجرادتين[3] لتغنيا للضيوف الكرام .

[**الراوي**] : فمكث القوم عند معاوية شهراً كاملاً . في أكل وشرب وطرب . فمل معاوية منهم . ولا سيما قد بعثهم قومهم يستغيثون لهم من البلاء . فشغلوا بالأكل والشرب والغناء . فأسرَّ معاوية ذلك للجرادتين وقال

---

(١) الجرادتان جاريتان جميلتان مطربتان جداً كانتا لمعاوية بن بكر كل واحدة منهما اسمها جرادة .

(٢) سرور: رئيس عبيد معاوية .

(٣) الجرادتان امتان جميلتان مطربتان لمعاوية كما تقدم .

لهما لقد هلك إخواني وأصهاري . وهؤلاء مقيمون عندي في أكل وشرب وطرب . وهم ضيفي وقد نزلوا عليّ . والله ما أدري كيف اصنع . فإني أستحي أن آمرهم بالخروج لما بعثوا اليه . فيظنون أنه ضيق مني بمكانهم عندي . وقد هلك مَنْ وراءهم جهداً وعطشاً .

[الجرادة الكبرى]: يا مولاي . . قل شعراً نغنيهم به . ولا يدرون من قاله . لعل ذلك يحركهم . قال معاوية رأي حسن وأنشد ما غنَّين الجرادتين .

الا يـا قيـل ويحـك قم فـهينم ... لـعـل الله يـسـقـيـنـا غـمـامـا
فـيـسـقـي أرض عـاد إنَّ عـاداً ... قَـدَ امْسَـوْا لا يبينـون الكـلامـا
من العطش الشديـد فليس نرجـوا ... بـه الشيـخ الكبـير ولا الغـلامـا
وأنتم هـا هـنـا فيـما اشتهيتم ... نهاركـمـو ولَـيـلَـكـمو تمـامـا
فَقُبِّـحَ وفـدكـم مِن وفـد قـومٍ ... ولا لَـقَـوُا التـحيـة والـسـلامـا

(١) كناية عن الرأي الصائب .
(٢) هينم: ادعو.

الحلقة السادسة

هود وصالح عليهما السلام

قوم هود يستغيثون

[**قِيل بن عنز** : يا قوم : لقد بعثنا قومنا لنستغيث لهم بحرم نوح . فلهونا عن القصد بالأكل والشراب والطرب . حتى نبهتْنا الجرادتان بما غنتا . فـهلم بنا الى القصد .

« **انتقال** »

قِيل بن عنز : يا قوم : ارفعوا اكفكم حتى نستغيث .

[**مرثد بن سعد**] : (**اعلن إسلامه وقال**) : يا قوم : إنكم والله لا تُسْقَوْن بدعائكم ما دمتم عصاةً لنبيكم. ولكن إن اطعتم نبيِّكم وتبتم الى ربكم سُقيتم . فـأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن هوداً نبيُّ الله . وأبرأ إليك ربي من عناد قومي .

[**جهلة بن الخبير**] : يا معاوية بن بكر : احبس مرتداً فقد صبـأ واتبع دين هود .

[**مرتد**] : كلا : لا يحبسني أحد واني في بلد الله الحرام . وبيته الأمين . وكل منا يدعو وما دعاء الظالمين إلا في ضلال .

[**مرتد بن سعد**] : اللهم نجني من بلائك . واعطني سؤلي وحدي لا إله إلا أنت . لا شريك لك .

[**قيل**] : اللهم اعط قيلاً ما سألك .

[**لقمان بن عاد**] : اللهم جئتك وحدي في حاجتي فاعطني سؤلي .

[**نعيم بن عزال**] : ها هي السحب قد أقبلت. والجو اكفهر . هذه سحابة بيضاء وتلك سحابة سوداء وبعدها سحابة حمراء . فاختر يا قيل يا رئيس الوفد لقومك أي سحابةٍ من الثلاث .

[**قيل بن عنز**] : اللهم اني اختار السحابة السوداءَ فإنه عارض ممطرنا متجه إلى أوديتنا . فسيروا يا قوم ننهب الأرض نهباً حتى نصل الى أوديتنا فنسقي الزروع ونملأ الآبار .

[**جهلة بن الخبير**] : اركبوا وجدوا في السير .

(القوم يركبون الا مرتد بن سعد)

[**لقمان بن عاد**] : مالك لا تركب يا مرتد ؟ .

[**مرتد**] : اركبوا واذهبوا الى الهلاك والدمار . فاني معتصم ببيت الله عز وجل .

[**قيل بن عنز**] : جدوا السير

السيرَ السيرَ . . هذه أوديتنا قد دخلناها . اللهم السحابةَ السوداءَ الممتلئةَ بالماء .

(اصوات الرعد . والبرق الخلب . والريح العقيم) .

[**قيل**] : ويلاه ويلاه ويلاه الرياح العاتية تحمل الفرس والفارس ، والظعينة وما تركب، ويلاه ويلاه . . هلكنا مع الهالكين.

(نقلة)

[**قال هود**] : يا عباد الله هذه السحابة السوداءُ قد اقبلت . فيها عذاب أليم . سيروا بنا الى ساحل البحر كما أمرني ربي . وابشروا فلن يصيبكم سوء أبداً وانتم عباد الله المخلصون .

[**صوت**] : وأين مرتد بن سعد يا نبي الله ؟

[**قال هود**] : قد اعتصم ببيت الله فنجى مع الناجين . ونحن نجونا والحمد لله رب العالمين .

(نقله)

[**عاد بن جهلة بن الخبير**] : يا قوم هذا عارض ممطرنا قد اتجه الى اوديتنا .

[**وُدْ بن قيل**]: البِشر لنا والهناء والسرور.

(اصوات رعد ولمعان برق وريح هوجاء بدون ماء) .

[**مهددة بنت الخبير**] : ويلي . . ويلي : إن في العارض الشرارَ والنارَ وغضبَ العزيز الجبار .

[**الراوي**] : **(وصعقت وولولت . وولول معها النساء واقبلت الريح العقيم العاتية التي عصتِ الملائكة فخرجت بدون معيار ولا مكيال . تحمل الجملَ والجمال . والظعينة وما تركب وتلطمهم في الجدران والصخور . وهكذا سبع ليال وثمانية أيام حسوماً)** .

هلاك قوم عاد

[**قرآن كريم**]: ﴿ واما عادٌ فاهلكوا بريح صرصر عاتيةْ * سخرها عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ حسوما فترى القوم فيها صرعى . كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾ (١) .

فلما رأَوْا عارضاً مستقبلَ أوديتهم قالوا هذا عارضٌ ممطرنا . بل هو ما استعجلتم ريحٍ فيها عَذابٌ اليمٌ تدمر كل شيىء(٢) بأمر ربها. ﴿ فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ﴾ (٣) .

---

(١) الآيتان ٦ ـ ٧ من سورة الحاقة .

(٢) اي تدمِّر كل شيء مرت عليه .

(٣) الآية ٢٥ من سورة الأحقاف.

فترة انتقال

صالح عليه الصلاة والسلام

مقدمة :

« عاد الثانية وهي قبيلة ثمود »

[الراوي]: نسب صالح عليه السلام: هو صالح بن عبيد ابن آسف بن ماشخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود .

نسب ثمود: وأما ثمود فهي القبيلة التي منها صالح عليه السلام سميت باسم جدها ثمود بن عامر [١] بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام . وإرم هو الجد الجامع لعاد وثمود . وكانت قبيلة ثمود من المعمرين [٢] .

[مساكن ثمود] : كانت مساكن ثمود بالحِجر (بكسر الحاء) وموقعها بين الحجاز والشام الى وادي القرىٰ في الجنوب الشرقي من أرض مدين . وهي مقابلةٌ لِخليج العقبة . ومدائن صالح ظاهرة الى اليوم . ومن أماكن ثمود قصر البنت (كَمكَمْ) وقبرُ الباشا . والقلعة والبرج . وهنالك بيتِ للملك ذو حُجُرات به ردحة كبيرة وهو منقور في الصخر . وهنالك مكان يدعى فخ الناقة . وكانت عادٌ قبل هلاكها مستعمرةً لقبيلة ثمود . ثم ورثت ثمودُ أرضَ عادٍ بعد هلاكها . فاصبحتْ ثمودُ في سعةٍ من العيش والرخاء . وعمروا الأرض وزرعوا وغرسوا . وشادوا القصور . وشقّوا الصخور [٣] .

دين ثمود: تدين قبيلة ثمود بعبادة الأصنام. وأنهم يعترفون على الله ويشركون معه الأصنام لتقربهم الى الله زلفى كقبيلة عاد ومن اصنامهم .

---

(١) قال المسعودي في مروج الذهب ابن عابر بالباء بدل الميم .

(٢) اي كانوا من اصحاب الأعمار الطويلة . قال الخازن في تفسيره . قيل إن أحدهم كان يبني المسكن من المدر (اللبن) فينهدم والرجل حي ، لذلك نحتوا من الجبال بيوتاً لعلهم يخلدون .

(٣) ليس الغرض من هذا المؤلف التحقيقات التاريخية لأن كتابته مسرحية . راجع في ذلك اخبار الزمان للمسعودي والخازن والالوسي . وقصص الانبياء للنجار .

اللات وعَمْنَدْ . ومنوت . وقيس . وذو الثرى وهُبَل . ومن آثارهم ما وجد مكتوباً على قبر بالخط المسماري . هذا القبر الذي بنته كَمكَمْ بنتُ وائلة بنت حرم وكُلَيْبة لأنفسهن وذريتهن في اشهر طيبة من السنة التاسعة للحارث ملك النَبْطيين . واللاتُ وعمنْد ومَنُوتُ وقَيسُ تلعنُ من يبيعُ هذا او يشتريه و يرهنه . . او يدفن فيه أحداً غير كمكم وابنتها وذريتها . ومن يخالف ما كتب عليه يلعنه ذو الثرى وهُبَل ومنوت . . ولغتها كانت اللغة العربية كلغة قوم عاد

سياسة ثمود: كان رئيس ثمود جَندع بن عمرو بن خراش. باسم رئيس أو ملك .

القائمون على الأصنام: ذؤاب بن عمرو بن لبيد. والحباب ابن عامر .

كاهن ثمود: رَباب بن ضمير.

من النساء المحرضات على عقر الناقة: عنيزة بنت غانِم (ام غنم) زوجة ذؤاب بن عمرو صاحب الأصنام وهي امرأة عجوز مسنة كافرة ماكرة، لها بنات حسان، وعندها مواشي كثيرة.

تمام المقدمة: ومن النساء المحرضات على عقر الناقة. صدوق بنت المحيا [1] وهي جميلة وغنية ذات مواش كثيرة .

اشقى الأولين: الذي تولى عقر الناقة. وهما شقيان مصدع ابن مهرج. وقدار بن سالف، ومن صِفات قدار أنه كان أحمر الوجه، ازرق العينين، قصير القامة.

من الذين آمنوا مع صالح: رئيس القوم جندع بن عمرو ابن خراش ومبدع بن هرم وكثير من المستضعفين . قيل بلغوا أربعة آلاف ونجوا جميعاً من العذاب مع صالح .

---

(١) هذه رواية قصص القرآن للنجار وقال الخازن هي صدقة بنت المختار . وفي إحدى الروايتين تصحيف .

مكانة صالح في قومه قبل النبوة: هو من أشرفهم نسباً. وأوسعهم حلماً. وأصفاهم عقلاً. مرشح لرآستهم عند الجميع. وكأني بمجرى الأحداث كانت كما يلي:

خطبة

[جندع بن عمرو بن خراش] (رئيس القوم يقول والقوم مجتمعون): يا آل ثمود إن بني عمنا عاد قد يكون هلاكهم لأنهم لم يقوموا بتعظيم الآلهة كما ينبغي. فبعدَ أن كنا تابعينَ لهم ورثنا أرضَهم وديارَهم وعمرناها أكثَر مما عمروها. وفجرنا العيون. وغرسنا الحدائقَ والبساتين. وشيدنا القصورَ. ونحتنا من الجبال بيوتاً لنأمنَ غوائلَ الدهر ونوائب الحُدْثان[1]. ونحن في سَعة من العيش، ورَغَدٍ ونعمةٍ وترف. وما علينا الا أن نبسط نفوذنا على كل حي من أحياء العرب والعجم ما استطعنا الى ذلك سبيلاً. وليكنْ شعارنا: القوةُ والقهرُ والجبروت.

[ذؤاب بن عمرو بن لبيد] (صاحب الأصنام): يا جندَع ابن عمرو: أنت أميرنا وابن أمرائنا. وأمرك مطاع. وكلامك نافذ ما دمت تعظم الآلهة وتنفذ أوامرَها. وإن اللاتَ وعَمْندَ ومنوتَ[2] يلعنون من يخالف أمرك.

[رباب بن ضُمَيْر]: (كاهن ثمود) : يا قوم لقد أصابني ذعر شديد ما عليه من مزيد. فما رأيتُ مثل اليوم. رأيت ما أذهب عني النوم.

[جندع بن عمرو] : وما ذاك يا رباب بن ضمير يا كاهن ثمود.

[رباب بن ضُمَيْر] : رأيت غَيماً أزرق[3]، تلبد كثيراً ثم أبرق، وأرعد طويلاً ثم أصعق. فما وقع على شيء إلا أحرق.

[جندع بن عمرو] : فما تكهنك في ذلك؟ يا كاهن ثمود.

---

(١) وثمودَ الذين جابوا الصخر بالواد. اي قطعوا الصخر واتخذوه منازل. والحدثان حوادث الدهر.

(٢) اللات وعمند ومنوت. من اسماء اصنامهم.

(٣) الغيم: السحاب كما في القاموس.

[**رباب بن ضمير**] : أرى أن قوم عاد هلكوا لتساهلهم في أمر الآلهة . دعونا نضرع الى اللاتِ وعَمْنَد ومنوتَ . ثم ندعو عند قيس وذي الثرى وهبل [1] فلا يصيبنا ضيم ومهما تراكم الغيم .

[**جندع بن عمرو**] : سيروا بنا :

« فاصلة انتقال »

[**قال صالح بن عبيد**] : الي يا قوم . . الي يا قوم . . الي يا قوم :

(**القوم يجتمعون فيخطب فيهم صالح فيقول**)

[**قال صالح**] : إني منكم ومن أوسطكم نسباً كما تعلمون . فأحب نفعكم . وأسعى في خيركم . ولا أضمر لكم سوءً . ولا أريد بكم شراً .

[**جندع بن عمرو**] : هذا منك لا ينكر يا صالح بن عبيد .

[**ذؤاب بن عمرو**] : ومن ينكر حِلْمَ صالح وحبَّه لآل ثمود .

[**رباب بن ضمير**] : لا أحد ينكر على صالح خلقاً من اخلاقه .

[**قال صالح**] : إني رسول الله اليكم بين يدي عذاب أليم . أنْ لا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له فهو الذي خلقكم من تراب . وعمر بكم الأرض ، واستخلفكم فيها بعد قوم عاد ، وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة . وإن هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله لا تملك لكم ضراً ولا نفعاً . ولا تغني عنكم من الله شيئاً . فاستغفروا ربكم ثم توبوا اليه مما اقترفتم من الذنوب . فالله ممن دعاه قريب ، ولمن سأله مجيب .

[**جندع بن عمرو** (**رئيس القوم**)] : يا صالح بن عبيد : أنت من أوسطنا نسباً كما قلت . وأوسعنا حِلماً . وأصفانا عقلاً (يا صالحُ قد كنت فينا مرجواً قبل هذا . اتنهانا أن نعبدَ ما يعبدُ آباؤنا . وإنّنا لفي شك مما تدعونا اليه مُريب) [2] .

خيبت آمالنا يا صالح . كنا نرى فيك مخايل الرشد والسداد . وكنا

---

(١) اللات وعَمند ومنوت وقيس وذي الثرى وهبل : اسماء اصنام لقبيلة ثمود . كما تقدم .

(٢) الآية ٦٢ من سورة هود .

نأمل أن تكون لنا سيداً أو مستشاراً . وذلك لا يكون الا إذا وافقتنا في الدين . وعظمت الآلهة .

[**قال صالح**] : ﴿ قال يا قوم أرأيتمُ إن كنتُ على بينةٍ من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيتُه فما تزيدونني غيرَ تخسير ﴾ (٣) .

[**قال صالح**] : يا قوم سلام عليكم . فكروا بعقولكم . وارجعوا الى رشدكم . واني غير يائس من هدايتكم . ولا أطلب منكم مالاً ولا نوالاً . فحسبي رضاءُ رب العالمين . (ثم ينصرف) .

(فاصل)

[**الراوي**] : وهكذا ظل صالح دؤوباً على دعوته والملأ في كفر وعناد . فدعى جندع الى اجتماع عظيم فكان ما يلي :

[**مسعود**] : لبيك يا مولاي .

[**جندع**] : عليَّ بالملأ (١) ولا تَدَعْ أحداً من الأمراء والنبلاء والوجهاء الا دعوته لاجتماع خطير .

[**مسعود**] : أمرك يا مولاي . (**ثم يصرخ مسعود**) .

[**مسعود**] : يا معاشر الأمراء . والنبلاء والوجهاء : إن أمير البلاد جَنْدَعَ بن عمرو يدعوكم لاجتماع خطيرٍ وخطب جلل .

(**فاقبل القوم يتوافدون**)

[**اصوات**] : أمر الأمير مطاع . . لبيك يا أمير البلاد ووارث عرشِ عاد .

[**جندع**] : ماذا ترون في دعوة صالح . يا أُمراءَ الحجر . فان أمره قد استشرى (٢) ودخل كل بيت في ثمود وسمعت بأن كثيراً من الضعفاء قد

---

(١) الآية ٦٣ من سورة هود عليه السلام .

(٢) الملأ : جماعة الوجهاء .

(٣) استشرى : استطار واستفحل .

اتبعوه . فأخشى من شر مستطير[1] .

[**ذؤاب بن عمرو**] : (**صاحب الأصنام**) : إن صالحَ بنَ عبيد منا تعظيمه وتبجيله فحمله ذلك على ادعاء النبوة . يا قوم خذوا على يده قبل أن يستفحل أمره . فاخشى أن يدَّعيَ الألوهية .

[**الحباب بن عامر** (**صاحب الاصنام أيضاً**)]: يا قوم ينبغي أن نضرب على يد صالح بيد من حديد . لأنه عدو الآلهة . فانه يخرج من بيت فيدخل بيتاً . يدعو المستضعفين لدعوته . فقد بلغني انه اتبعه كثير منهم ؛ امثالِ مبدعٍ وكاملٍ وجميلٍ .

[**رباب بن ضميرة**] : (**كاهن ثمود**) : يا قوم ينبغي أن ندعوَ صالحاً فنناقشه لعلنا نقنعه بالعدول عن دعوته فانه العليم الحليم اللطيف .

[**جندع بن عمرو**]: رأي الكاهن فوق الآراء. عليَّ بصالح ابن عبيد يا مسعود.

[**مسعود**] : أمرك يا مولاي .

(**انتقال**)

[**حباب بن عامر**] : (**صاحب الاصنام**) : ها هو مسعود قد اقبل وبصحبته صالح بن عبيد .

[**جندع بن عمرو**] : يا قوم عظموا صالحاً عند دخوله فإنه ليس بحقير .

[**ذؤاب بن عمرو**] : هذا الذي غر صالحاً منا . كيف نعظمه وهو يحتقر الآلهة ؟

[**جندع بن عمرو**] : عظموه ولو ظاهراً والا فلا تحقروه .

[**الحباب بن عامر**] : أمر الرئيس مطاع . . ها هو صالح قد أقبل .

(**ضجة**)

[**قال صالح**] : السلام على من اتبع الهدى . . .

---

(١) مستطير: مستعجل.

[**جندع بن عمرو**] : ما هذا يا صالح . تجول من بيت الى بيت بدعوتك النابية عن الحق ، البعيدة عن الصدق. وإنّا نستغرب صدورها عنك وانت الراجح عقلاً ، الصائب رأياً .

[**رباب بن ضمير**] : (**الكاهن**) : يا صالحُ عهدناك ثاقبَ الفكر . وقد كانت تلوح عليك مخايلُ الخير ، وإماراتُ الرشد . وكنا ندخرك لملمات الدهر . تضيء ظلماتِها بنور عقلك ، وتحل معضلاتها بصائب رأيك . فنطقتَ هُجراً ، وأتيتَ نُكراً . ما هذا الدين الذي تدعونا اليه ؟

[**ذؤاب بن عمرو**] : (**صاحب الأصنام**) : يا صالح كيف تنهانا أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا . وقد نشأنا وترعرعنا عليه ﴿ إنا لفي شكٍ مما تدعونا اليه مريب) .

[**قال صالح**] : يا قوم ﴿الا تتقون . إني لكم رسولٌ أمين . فاتقوا الله واطيعون. وما أسجلكم عليه من أجر إن أجريَ الا على رب العالمين﴾[1] فإني لا أطلب منكم مغنماً ولا ملكاً ولا رِئاسة. فأنصحكم لوجه رب العالمين .

[**ذؤاب بن عمرو**]: يا صالح. انك قد خولطت في عقلك، وضاع صوابك . ما أظن الا أن أحدَ الكهنة قد سلط عليك شيطانه ، أو أعمل فيك سحره . فاصبحت تهرِف بما لا تعرف ، وتنطق بما لا تفقه .

[**الحباب بن عامر**] : يا صالح . ما انت الا بشر مثلنا . ولست فأفضلنا . وفينا من هو أحق منك بالنبوة . فما حَمَلك على ادعاء النبوة الا طلب الرئاسة. فلا نقر برئاستك أبداً.

[**جندع بن عمرو**] : يا قوم دعونا من المهاترات . واني أعلن عن اجتماع عام لكل ثمودي وثمودية . وموعده يومَ العيد الأكبر . وأتحدى صالحاً على رؤوس الأشهاد ، بمعجزة من اكبر المعجزات . فانه يزعم ان ربه قادر على كل شيء . فماذا تقولون ؟

[**القوم**] : رضينا . . رضينا . . رضينا .

---

(١) الآيات ١٤٢ ـ ١٤٥ من سورة الشعراء .

[**الحباب بن عامر**] : إن صالحاً قد تضعضعت أوصاله . وانقطعت حجته .

[**جندع بن عمرو**] : وانت ماذا تقول يا صالح ؟

[**قال صالح**] : إن أعطيتموني العهودَ والمواثيقَ بأن تؤمنوا بالله وحده ، وتكفروا بأصنامكم اذا أراكم الله من الآيات ما تطلبون ، فاني راض والله المستعان .

[**جندع**] : ونحن رضينا وعاهدناك .

[**القوم**] : تحديناك وعاهدناك . . تحديناك وعاهدناك . . تحديناك وعاهدناك . . الى العيد . . الى العيد . . الى العيد .

قصيدة لسان حال صالح عليه السلام .

إلهي أنت للولهان أهل ... ومنك الجود والفضل الجزيلْ .
إلهي باتَ قلبي في همومٍ ... وحالي لا يُسَرُّ به خليلْ
إلهي حفني باللطف يامَنْ ... له الغفران والفيض الجليلْ
إلهي صرت مِن وجدي أنادي ... أنا الظامي الاسير انا الذليلْ

الحلقة السابعة

صالح عليه السلام

« استعداد القوم للعيد »

[**رباب بن ضُمَيْر**] : يا ذؤاب بن عمرو : أحضر للعيد سائر الأصنام . وسائر الخدام .

[**ذؤاب بن عمرو**]: حباً وكرامة. فقد هيئت لعدو الآلهة كل كيد. وهذه زوجتي أم غنم، عُنَيْزَة بنت غانم، قد حشدت ما استطاعت من النساء الحسان اللاتي لوجوههن تفعل الآلهة كل شيء. ومنهن بناتي الحسان، وصدقة بنت المحيا ، ربةُ المال والجمال .

[**رباب بن عمرو**] : حسنا فعلت .

« فترة انتقال »

[**ذؤاب بن عمرو**]: يا عنيزة يا ام غنم.

[**عنيزة**] : لبيك يا أبا غنم .

[**ذؤاب**] : حرضي الغواني على اجتماع العيد حيث نتحدىٰ صالحاً على رؤوس الاشهاد حتى تنقطَع حجته. وتبطلَ دعوته. ويجرَّ ذيل الخيبة والعار .

[**عنيزة**] : إبشر يا أبا غنم فقد هيئت كل غانية . وها أنا أدعوهن للاجتماع .

[**عنيزة**] : (**تصرخ**) : يا صبحة . يا وضحة . . يا نوره . . يا صدقة . . الى العيد . . الى العيد . .

[**الراوي**] : وهكذا تم اجتماع آل ثمود يوم عيدهم الأكبر رجالاً ونساء . وشيوخاً وأطفالاً بأوسع نطاق . وأوفر حشد وكأني بهم تتم بينهم وبين نبيّ الله صالح بن عبيد المحاورة الآتية :

[**جندع بن عمرو**] : يا ذؤاب بن عمرو ويا حباب بن عامر : انتما صاحبي الاصنام . فادعيا آلهتنا أن لا تستجاب لصالح بن عبيد دعوة أبداً . والشعب يؤمن .

[**ذؤاب بن عمرو**] : (**يلوذ بالآلهة ويقول**) : يا لاتُ . ويا عَمْنَدُ . ويا منوتُ . ويا فيسُ . ويا هُبلْ . ويا ذا الشرى نسألكم جميعاً أن لا يستجاب لصالح بن عبيد دعوةٌ أبداً .

[**جندع بن عمرو**] : يا صالح إن كنت نبياً كما تزعم فمر هذه الصخرة المنفردة التي تدعىٰ الكائبة أن تلد ناقة ضخمةً عشراءَ . ثم مر الناقة أن تلدَ أمامنا وعلى الفور فصيلا ضخماً يشبه أمه . كما نشترط عليك أن تكفيَ هذه الناقة أهلَ الحجرِ لبناً . فان فعلت ذلك آمناً بك وصدقناك .

[**القوم**] : انقطعت حجة صالح : تاه رشد صالح . . حار صالح في أمره . .

[**قال صالح**] : يا قوم : هذه الآية والمعجزة هي الفاصلة بين الايمان والكفر . وبين السعادة الأبدية والبلاء والدمار والنار وغضب العزيز الجبار . فهل بايعتموني على ذلك ؟

[**القوم**] : بايعناك . . بايعناك . . بايعناك .

[**قال صالح**] : مهلاً حتى أصلي لله ركعتين .

[**الراوي**] : صلّى صالح لله تعالى ركعتين ودعى الله العلي القدير القادر على كل شيء بتصديق نبوته ، واظهار آيته طِبْقَ ما طلبوا ، فتمخضت

الصخرة الكائبة عن ناقة ضخمة عشراءَ . ثم تمخضت الناقة فولدت فصيلاً يشبه أمه .

[**جندع بن عمرو**] : (**يصرخ**) : يا قوم انظروا بأم أعينكم . هذه الصخرة الكائبة تتمخض كما تتمخض الناقة العشراءُ . ها . . ها . . قد ولدت ناقة عشراءَ . . ما أضخمَ هذه الناقةَ . إنها لناقةٌ سوداءُ الحدق حمراءُ الوبر . (ضجيج الشعب مسلم وكافر) : آية عظيمة . . شيء يدهش العقول . الله . الله .

[**جندع بن عمرو**] : ها . . ها . . إن الناقة تتمخض ايضاً . . ها ها . . قد ولدت فصيلاً يشبه أمه .

[**جندع بن عمرو**] : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن صالحاً نبي الله . . .

[**اصوات**] : (**يصرخون**) لا إله إلا الله صالحٌ نبي الله . . لا إله إلا الله صالح نبي الله . .

[**قال صالح**]: ﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بيِّنة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكلْ في أرض الله. ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ﴾[1].

﴿ قال : هذه ناقة لها شربٌ ، ولكم شربُ يوم معلوم * ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذابُ يومٍ عظيم ﴾[2] .

يا قوم يومَ شرب الناقة لا يجوز لاحد أن يشربَ . وتأكل من كلأ الله المباح لا يجوز لأحد أن يمنَعها . وهي تِردكم صباحَ مساءَ. تحلبون منها ما يكفيكم. فإياكم ثم إياكم أن تتعرضوا لها بأذى، فيكون عندها هلاككم. وقد أعذر من أنذر . وسلام على من اتبع الهدى .

[**جندع بن عمرو**] : آمنا بك وصدقناك . . وعلى الطاعة بايعناك .

[**اصوات**] : بايعناك . . بايعناك . . بايعناك . .

[**ذؤاب بن عمرو بن لبيد**] : (صاحب الاصنام] : ما هذه الفَرِيَّة

---

(١) الآية ٧٣ من سورة الأعراف .

(٢) الآيتان ١٥٥ ـ ١٥٦ من سورة الشعراء.

التي افتريْتَها[1] يا جندعَ . والانشقاق الذي أحدثته . فقد أوهنت الصف . واقتدى بك المستضعفون . فقد بهرك صالحٌ بسحره ؟ .

[**الحباب بن عامر**][2] :

يا جندع إذاً لا ترضى اللاتُ وعَمندَ ومنوتُ . ويغضب عليك ذو الشرى وهبل[3] فما صالح الا ساحر يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم .

[**رباب بن ضمير (الكاهن)**] : يا جندع بن عمرو . ويا ايها المخدوعون من المستضعفين : ﴿ أتعلمون أن صالحاً مُرسَل من ربه ﴾[4] .

[**جندع بن عمرو والمؤمنون**] : نعم ﴿ انا بما أُرسل به مؤمنون ﴾[4] .

[**ذؤاب والحباب ورباب**] : ﴿ إنّا بالذي آنتم به كافرون ﴾[4] .

[**ذؤاب بن عمرو**] : يا جندع إذاً قد غضبت عليك الآلهة وعزلتك . وإنّا قد عزلناك .

[**الحباب بن عامر**] : يا ذؤاب بن عمرو : انت رئيس البلاد بعد عزل جندع بن عمرو .

[**الراوي**] : وهكذا مكثت الناقة بينهم زمناً . تأكل في أرض الله من الكلأ المباح . وترد الماء يوماً تشربه جميعاً . وتدعه يوماً فلا ترده . وتمر بدور الحجر صباحَ مساءَ فيحلبون منها ما شاؤوا من لبن فيشربون ويدخرون . ثم تصدر الناقة من غير الفج الذي وردت منه[5] . فهم على ذلك في سعة ودعة . غير أن الناقة رفعت من شأن صالح . وثبتت مركزه . وأحطت شأن الاصنام وأربابها . واضرت بمركز المستكبرين . كما اضرت بأرباب المواشي الاقطاعيين . وكأني بمجرى الاحداث كما يلي :

---

(١) الفرية : اشد الكذب .

(٢) هو صاحب الاصنام ايضاً .

(٣) هذه اسماء اصنامهم كما تقدم .

(٤) من الآية ٧٥ من سورة الأعراف .

(٥) الفج الطريق الضيق بين الجبال .

[**ذؤاب بن عمرو**] : ما هذه الجلبة[1] يا حباب بن عامر ؟

حباب بن عامر] : (صاحب الاصنام) يا ذؤاب بن عمرو يا رئيس البلاد قد أوقعنا اللات في ما ليس بالحُسبان . فهذه الناقة ترد الماء يوماً كاملاً لا تدع منه قطرة ماء . وتصيِّف بظهر الوادي فتهرب منها سائر المواشي . فتبقى الناقة في خصب منفردة . وتشتّي في بطن الوادي . فتهرب منها المواشي كذلك . يا لها من بلية .

[**ذؤاب بن عمرو**] : يا حباب ادع الى حشد حاشد في القلعة والبرج ندرس الأمر قبل استفحاله .

[**حباب**] : حسناً يا رئيس البلاد . (يصرخ) الى القلعة . الى القلعة . . لحشد حاشد يا آل ثمود . (**ويتوافدون حتى تقتظ القلعة بالحضور نساء ورجالاً**)[2] .

(فاصل)

[**ذؤاب بن عمرو**] : يا قوم : هذه الناقة قد قضَّت مضاجعنا . ناصَفَتْنا الماء منفردةً بيوم ، ولسائر ثمودَ ومواشيها يومٌ . وتأتي الكلأَ الخصب ، فتنفر منها المواشي فتنفرد بالكلأ . فأروني ماذا ترتؤون ؟

[**حباب بن عامر**] : إن الناقة كما أضرتنا بالشراب والكلأ فقد عززت مركز صالح في ثمود . وانهار مركز الآلهة .

[**مَنْدع بن هرم**] : (**مؤمن يكتم إيمانه**) : يا قوم : أليست الناقة تكفي أهلَ الحجر باللبن .

[**عنيزة بنت غانم**][3] : واللات يا مندع بن هرم لم يستفد من الناقة إلا الحثالة المستضعفون وأكثرهم من أتباع صالح . فهذا اللبن قد كسد عندنا

---

(١) الجلبة اختلاط الصوت .

(٢) وهو شدة الحر .

(٣) هي زوجة ذؤاب بن عمرو عجوز ماكرة كافرة ماكرة لها بنات حسان لها دَوْر كبير في عقر الناقة .

فلا يشتريه أحد لاكتفاء الناس بلبن الناقة هذه الناقة يجب أن تعقر .

[**رباب بن ضمير**] : ومن يجرُؤ على عقر الناقة . وصالح ينذرنا بأشد العذاب عند مسها بسوء !!

[**صدوق بنت المحيا**][٦] : دعونا من تهديد صالح . ما هو الا من الكاذبين . فان اللبن قد كسد عندنا . وبقيت مواشينا في جَدبٍ لاستئثار الناقة بالخصب . يجب أن تعقر الناقة . فالقول ما قالت عنيزة .

[**عنيزة بنت غانم**] : يا قوم قديماً كان يقالْ : الحيلة للرجالْ . فإن عجزتم عن عقر الناقة فالنساء ستحتالْ. سأكيدَنَّ لناقة صالح مكيدة لا تخطر على بالْ .

(فاصل)

[**عنيزة بنت غانم**] : (**تطرق باب صدقة بنت المحيا ليلاً**) يا صدوق . . يا صدقة . .

[**صدوق**] : من الطارق ؟

[**عنيزة**]: **بنت غانم أم غنم**.

[**صدوق**] : قدمتِ أهلاً ووطئت سهلاً . لا بد لقدومك في ساعة متأخرة من الليل من أمر خطير .

[**عنيزة**] : طبعاً أمر خطير ، وأخطر من كل خطير . لا أكتمك حديثاً يا صدقة . إني لا ابغض على وجه الأرض شيئاً بغضي لصالح وناقته . وأضرم نار الحقد في قلبي كسادُ لبننا ، وتضرر مواشينا . فها إن القوم اكتفَوْا بلبن الناقة . وليس وراء مواشينا الا الذبح .

[**صدوق**] : وأنا قد أصابني من الضرر ما ألمَّ بِكِ . وإني أضمر لصالح وناقته كل عداء . ولكن ماذا عسانا أن نفعل .

[**عنيزة**] : نفعل كل شيء . ونستطيع أن نعقر الناقة .

[**صدوق**] : وكيف ذلك يا عنيزة .

---

(١) امرأة جميلة ذات وجاهة ومال ومواشي ولها دور بارز في عقر الناقة .

[**عنيزة**] : أنت من أجمل نساء ثمود واغناهن . وقد رغب فيك النبلاء والأمراء فامتنعت، وبالجملة قد خطبك البطل المغوار مِصْدَع بن مِهْرَج فامتنعتِ . فأرى أن تعرضي نفسك عليه بدون مهر إذا هو عقر الناقة . فانه لا يتأخر لحظة واحدة .

وأنا قد خطب إليَّ بنتي صبحةَ الصباح التي تضارعك في الجمال . خطبها الكثير . ولكن قِدارَ بنَ سالف[1] هام في حبها فامتنعتُ من إجابة طلبه . فالآن أجيبه وبدون مهر على أن يتعاون مع مصرع بن مهرج على عقر الناقة .

[**صدوق بنت المحيا**] : **حيلة عظيمة . من ماكرة عظيمة يا عنيزة . هيا بنا الى التنفيذ .**

(فاصل)

[**صدوق بنت المحيا**] : يا مصدع . . يا مصدع (تنادي مصدعاً وهو مار في الحجر)[2].

[**مصدع بن مهرج**] : أهلاً بمنية القلب !!

[**صدوق**] : أراكَ قطعت زيارتي .

[**مصدع**] : قطعتها منذ انقطع نياط[3] قلبي لانقطاع أملي .

[**صدوق**] : لا تقطع الأمل فقد وجد اليه سبيل !!

[**مصدع**] : يا لات يا ذا الشرى[4] أرشديني الى السبيل[5] .

[**صدوق**] : أنا لك بجمالي ومالي. ولا أطلب منك بدلاً ولا أسألك عطاءً إن عقرت ناقة صالح .

---

(١) هو شاب وجيه احمر الوجه أزرق العينين متهم في نسبه .

(٢) الفج اصله الطريق الضيق بين الجبال .

(٣) النياط عرق مستبطن الصلب .

(٤) صنمان لثمود كما تقدم .

(٥) السبيل: الطريق.

[**مصدع**] : ولكن من يجرؤ على عقر ناقة صالح . وصالح ينذر من مسها بسوء بأشد البلاء .

[**صدوق**] : لست منفرداً في الميدان يا مصدع . هذه عنيزة بنت غانم (أم غنم) تجعل بنتها الحسناء (صبحة الصباح) لِقِدار بن سالف جائزة على عقر الناقة . وليس تهديد صالح بشيء .

[**مصدع**] : حسناً وأنا على استعداد .

(فاصل)

[**الراوي**]: وهكذا تألفت العصابة من أشقى الأولين قدار ابن سالف ومِصدع بن مِهْرَج وسبعة آخرين . فكان الأشقياء تسعة . فكمنوا للناقة في الفج الذي تمر فيه . وانهالوا عليها بالنبل حتى عطبت ثم اجهزوا عليها بالسيف . حتى بردت .

ثم أعلنوا عقر الناقة ودعوا أهل الحجر إلى اقتسام لحمها فاقتسموه وأكلوه . ولم يبق أحد من آل ثمود الا أكل من لحمها إلا من آمن مع صالح . لذلك عمهم الله بعذاب غليظ .

لو بكت عيناك يا باغي دما ... ما تقدمت الينا قدما
كيف يصفو لك عيش بعدما ... نشر الغدر عليك العلما
نُحْ على العيش الرغيد أسفاً ... واسكب الدمع عليه والدما
إنما تصفو الحياة لامرىء ... حفظ العهد وراع الذمما

---

(١) تقدم أنها هي ام غنم العجوز الكافرة الماكرة زوجة ذؤاب بن عمرو خادم الآلهة ورئيس القوم بعد عزل جندع بن عمرو .

الحلقة الثامنة

صالح وإبراهيم عليهما السلام

صالح عليه السلام

[**الراوي**] : كان صالح عليه السلام قد بنى لنفسه وصحبه مسجداً خارج الحجر . فبلغه الخبر بعقر الناقة . فأسرع الى الحجر غاضباً لله عز وجل . فوجد القوم يقتسمون لحم الناقة . فكأني بالمشهد الآتي :

[**قال صالح**] : ويلكم من الله يا أعداء الله . انتهكتم حرمة الله ، فابشروا بعذاب الله .

[**قدار بن سالف**] : ومتى ذلك العذاب يا صالح [1] .

[**قال صالح**] : أين الفصيل ؟

[**مصدع**] : غلبنا الى الجبل وكنا نريد أن نلحقه بأمه ونقتسم لحمه .

[**الراوي**] : نظر صالح الى الفصيل . فلما رآه بكى صالح والفصيل حتى سالت منهما الدموع ورغى الفصيل ثلاثاً ثم انفجرت الصخرة فدخل الفصيل فيها .

[**قال صالح**] : رغا الفصيل ثلاثاً . فلكم يا أعداء الله بكل رغوة

---

(١) يقول ذلك استخفافاً وسخرية . وهو ومصدع اشقى الأولين . ومجرما عقر الناقة .

أجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب . تصبحون غداً يوم مؤنس [1] ووجوهكم مصفرة . ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة . ثم تصبحون يوم شِبار ووجوهكم مسودة . ثم يصبحكم العذاب يوم أول (يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) .

[**قال صالح**] : يا مبدع بن هرم : ادع المؤمنين أجمعين بالخروج من الحجر الى المسجد .

[**مبدع بن هرم**] : يا معاشر المؤمنين رجالاً ونساءً ، شيوخاً وأطفالاً . الى المسجد الى المسجد .

[**الراوي**] : يجتمع المؤمنون في المسجد استعداداً للرحيل من دار الظالمين . ثم يرحلون [2] قبل نزول العذاب ولم يصب احدهم بأذى . قال تعالى : ﴿ وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ [3] ﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز ﴾ [4]

« **فاصل** »

[**قدار بن سالف**] : يا مصدع بن مهرج : يزعم صالح بأن العذاب نازل بنا بعد ثلاثة أيام هلُم بنا فلنقتل صالحاً وأهله قبل الثلاث . فإن كان صادقاً عجلنا به قبلنا . وإن كان كاذباً كنا قد ألحقناه بناقته .

هلاك ثمود

[**مصدع**] : كيف نواجه رهطه يا قدار ؟

---

(١) كانوا يسمون الأيام في زمن صالح الأحد أول والاثنين أهون والثلاثاء دبار والأربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شبار . وعقروا الناقة يوم الاربعاء .

(٢) قيل ذهب صالح ومن آمن معه الى حضر موت او الى مكة وتوفي فيها ودفن هو وهود في حجر اسماعيل . وقيل كان مقر هود في دمشق في المسجد الأموي والله اعلم .

(٣) الآية ٥٣ من سورة النمل .

(٤) الآية ٦٦ من سورة هود .

[**قدار**] : نخرج علناً الى السفر فنكون في الغار . ونقتله مع أهله وهم نيام ثم نقول لرهطه ما شهدنا مهلِك أهله وإنا لصادقون .

[**مصدع**] : حسناً علينا بالعصابة السبع

[**الراوي**] : ﴿ ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ﴾ [1] وأتوه وأهله ليلاً ليغدروا بهم وهم نيام فدفعتهم الملائكة بالحجارة . فكانوا صرعى قبل جميع القوم .

(**فاصل**)

[**صدوق بنت المحيا**] : يا عنيزة سيري بنا الى بيت صالح لنشهد مصرعَه وأهلَه. فقد أخبرني مِصدع أن الليلة الماضية آخر حياة صالح وأهله.

[**عنيزة بنت غانم**] : هذا كان برأيي وتدبيري . هيا بنا . . هذا بيت صالح .

[**صدوق**] : ويلاه جثث قتلى مبعثرة حول بيته .

[**عنيزة**] : ويلي . . ويلي . . ويلي . هذه جثة قدار بن سالف . عروس صبحة .

[**صدوق**]: ويلي. . ويلي وهذه جثة مصدع بن مهرج هامدة. وهذه جثث بقية الرهط السبع.

[**عنيزة وصدوق**] : (**يولولون ويقولون**) : إن صالحاً قد قتل أحبابنا .

(**فاصل**)

[**عنيزة**] : يا ذؤاب : قم واستمع ما فعل صالح بالأحباب . فقد قتلهم جميعاً !!

[**ذؤاب بن عمرو**] : يا عنيزة اشتغلي بنفسك فها إنَّ وجهك قد اصفر كأنما طلي بنبات الورس الأصفر [2]

---

(١) الآيتان ٥٠ و٥١ من سورة النمل.

(٢) الورس بوزن العلس نبات اصفر ينبت باليمن .

[**عنيزة**] : وانت يا ذؤاب قد اصفر وجهك . ويلي . . ويلي . . واللات قد صدق صالح ونزل بنا العذاب . سر بنا يا ذؤاب لنرى وجوه الناس في الحجر .

(فاصل)

[**ذؤاب**] : ويلاه ويلاه . قد اصفرت وجوه الناس أجمعين.

[**الراوي**] : **(وهكذا : نساء يولولون ورجال يبكون . . ويصيحون قد مضى من الأجل يوم وبقيَ يومان . . . . وفي اليوم الثاني احمرت وجوه الناس جميعاً كأنما طليت بالدم فصرخ الناس قد مضى من الأجل يومان . . وفي اليوم الثالث اسودت وجوه الناس كأنما طليت بالقار (الأسفلت) .**

[**ذؤاب بن عمرو**] : يا قوم هلم بنا نقضِ على صالح قبل أن يُقْضى علينا .

[**حباب بن عامر**] : سيروا فاليوم آخر أيامكم .

(فاصل)

[**ذؤاب بن عمرو**] : هذا مسجد صالح ليس فيه أنيس .

[**رباب بن ضمير**] : هذا والله تأويل رؤياي من قبل . فقد قلت لكم : رأيت غيماً أزرق تلبد ثم أبرق، وأرعد طويلاً ثم أصعق ، فما وقع على شيء إلا أحرق . وهذا الغيم الازرق المتلبد وهو آخر أيام ثمود .

[**الراوي**] : (وإذ بصيحة أقوى من الرعد العاصف ، قد تبعتها رجفة فقطعت نياط قلوبهم في صدورهم ثم أتت صاعقة فاحرقتهم جميعاً [1]

---

(١) كان تدمير قوم صالح بالصاعقة . وقد عبر الله تعالى عنها بالصاعقة . وبالطاغية . وبالرجفة . وبالصيحة وكل ذلك يصدق على الصاعقة . لأن الصاعقة تكون مصحوبة بصوت عظيم . وقد تكون مصحوبة برجفة أشبه بالزلزلة . وقد تكون في مكان ويطغى تأثيرها الى مكان آخر . والصاعقة عبارة عن استفراغ كهربائي يحصل بين كهربائيتين مختلفتين بالايجاب والسلب . أو كان ذلك صوت جبريل . فالله أعلم .

(صوت رعد عنيف)

[قرآن كريم] : ﴿ كذبت ثمود بالنذر . فقالوا أبشرا منا واحداً نتبعه ـ إنا إذاً لَفي ضلال وسعر * أألقيَ الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر * سيعلمون غداً من الكذاب الأشِر * إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر * ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر * فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر * فكيف كان عذابي ونذر . إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتَظِر ﴾[1] .

« إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام »

بسم الله الرحمن الرحيم

[الراوي]: مقدمة: نسب الخليل إبراهيم: هو إبراهيم ابن آزر[2] بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عبير بن أرفخشد ابن سام بن نوح عليه السلام . وبين نوح وابراهيم ٨٩٠ سنة على ما في التوراة . والله أعلم .

والدته: إيمتالي.

ولادته: ولد في قرية تدعى فدام آرام ويطلق عليها أور. والعاصمة بابل[3] والموقع بين دجلة والفرات . ولكنه بعد نبوته هاجر إلى

---

(١) الآيات ٢٣ ـ ٣١ من سورة القمر. وقوله تعالى فكانوا كهشيم المحتظر. فالمحتظر هو الذي يصنع حظيرة لمواشيته . والهيثم هو الورق اليابس تدوسه البهائم . فهكذا شبه الله حالهم بعد هلاكهم .

(٢) ذكر في التوراة أنه إبراهيم بن تارح . وهذا مخالف لما في القرآن الكريم والحديث فلا يعوّل عليه . وإن صح فيكون لوالد الخليل إسمان . آزر وتارح . كيعقوب واسرائيل . اسمان لسيدنا يعقوب عليه السلام . فلا حاجة للتأويلات التي أوردها المفسرون .

(٣) والخبر المنقول بأنه ولادة الخليل في برزة لا يعول عليه . وأما برزة فهي موضع خيامه ومسكنه عند هجرته الى الشام على ما يأتي .

حاران [1] ثم الى حلب ودمشق وفلسطين ومصر والحجاز . فهو نبي عالمي كسيدنا الرسول الأعظم محمد ﷺ .

ملك بابل: هو نمروذ بن كنعان بن كوشك. كان قابضاً على زمام الحكم وحاكماً بأمره مستبداً برأيه . ولما رآى الجهل فاشياً في رعيته ادعى الالوهية وطلب من الشعب عبادته مع الآلهة فعبدوه ، كما كان شأن كثير من ملوك ذلك الزمن ، كالفراعنة .

عباده أهل بابل: كان أهل بابل يعبدون الأصنام والملك كما كانت هذه عبادة اكثر أهل الأرض عند بعثة سيدنا ابراهيم . وكبير أصنامهم مردوخ ومن أصنامهم (نانا): و (شَمَّاسْ) و (عشتار) وغير ذلك .

« ولادة ابراهيم عليه السلام »

[**الراوي**] : وكأني بحجري الأحداث عند ولادة ابراهيم كما يلي :

[**آزر**] : (**تناول عشاءه ولبس عباءته واستعد للخروج وقال**) : تصبحين على خير يا إيمتالي :

[**ايمتالي**] : أتخرج في مثل هذه الساعة من الليل يا آزر ؟ إني أخشى عليك .

ولادة ابراهيم عليه السلام

[**آزر**] : نعم ولن أعود قبل أن يشرق علينا ربنا (نانا) [2] آخر الليل . فلا تخشينَ بأساً .

---

(١) وتدعى حران وهي معروفة الآن وهي بلدة قرب سروج وأرقة شمالي الفرات . قال تعالى من سورة الأنبياء الآية ٥١ وما بعدها ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده وكتابه عالمين: إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفين: قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين: قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا: أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين: قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين ﴾.

(٢) (نانا) يزعمون انه إله القمر و (شِماسْ) إله الشمس و (عشتار) الهة الزهرة وهي عندهم آلهة اللذة. تقوم مقام القمر عند غيابه. ويتقرب إليها العاهرات المقدسات بتقديم أجسادهن للشباب قرباناً لعشتار آلهة اللذة. وكبير الآلهة عندهم هو كوكب المشتري . =

[**إيمتالي**] : لماذا تجافي فراشك يا آزر ؟

[**آزر**] : يا حبيبتي : إن كبير الكهنة في بابل ـ تقدست روحه ـ بعث إليَّ لأصنع تمثالاً لإلٰهنا مردوخ رب الأرباب لعيده الأكبر . وإني ذاهب الى بيت ابي ناحور لينظر في النجوم وينبئنا بأفضل وقت للسفر . وبما يخبئه لنا القدر . حتى أسافر الى بابل .

[**إيمتالي**] : حسناً . أبوك ناحور بارع بالنجم والسحر والعلم .

[**آزر**] : (**ضمها إلى صدره وقال**) : أبي أبرع من تعلم السحر والتنجيم في أور . بل لا أظن أن في بابل من يسمو إلى علمه .

[**إيمتالي**] : خذني معك إلى بابل . فإني في شوق إلى الركوع في معبد مولانا (مردوخ) العظيم .

[**آزر**] : (**يضحك وهو يصوب نظره الى بطنها الحبل ويقول**) : في السنة القادمة يا حبيبتي . وأرجو الا يكون في بطنك ما يمنعك من الركوع . مثل الآن . .

[**إيمتالي**] : كنت أرجو أن أقدم قرباناً لرب الارباب . وإلٰه الآلهة (مردوخ) فارجوك يا آزر اذا ما وصلت الى بابل أن تقدم الى رب الأرباب قرباناً عني لعله يغفر لي سيِّآتي، ويبارك في عمري .

[**آزر**] : حسناً ، سأفعل . نامي يا حبيبتي في رعاية البعول السادة الكرام ، آلهتنا العظام [1] .

[**الراوي**] : (**وانطلق آزر الى الباب ، واغلقه على زوجته برفق ، وسار الى بيت أبيه (ناحور) العالم الجليل وهو يراقب كوكب المشتري رب الارباب (مردوخ)** [1] **ونقر باب ابيه برفق**) .

[**ناحور**] : أدخل .

[**آزر**] : (**يدخل آزر على أبيه ناحور ويقول**) عم مساء يا أبي .

= ويسمون تمثاله (مردوخ) . إذاً إن التماثيل عندهم تمثل الكواكب . ويطلقون على مجموعها البعول جمع بعل . وهو الرب . ويطلق على الزوج ايضاً .

(١) المرجع السابق.

[**ناحور**]: آزر. . . مرحباً بك يا بنيّ. ما الذي جاء بك في هذه الساعة؟ .

[**آزر**]: (**قال ويده في يد أبيه ناحور**): أرسَل إليَّ كبير كهنة إلهنا مردوخ لأصنع تمثالاً للإله في عيده الكبير . فجئت لتشير علي بما أفعله .

[**ناحور**] : (**يقلب كف ابنه آزر ويقول**) : أصابع صانع ماهر . علمتك كيف تصنع التماثيل فتفوقت عليّ. وصرت أمهر صانع في البلاد حتى أن كبير الكهنة يبعث في طلبك ليكون لك شرف صنع تمثال إلهنا مردوخ في عيده الأكبر .

[**آزر**] : إنما الفضل لك يا أبتِ .

[**ناحور**] : أنا فخور بك يا بني . أنت نعمة عظمى . أنت مبارك يا آزر . سيكون لك شأن عظيم . يا بني رأيت في المنام أن نوراً أضاء السماء والأرض خرج من صلبك . إسمع نصيحتي يا بني! قدم الخضوع لإلهنا كل يوم بالتضحيات والصلوات والبخور . ليكن قلبك نقياً أمام ربك .

[**آزر**] : إني يا أبت عبد مطيع .

[**ناحور**] : يا بني خذ شاة . وسر بنا في عِماية الصبح الى المعبد لنقدم الشاة قرباناً للآلهة ثم أنظر لك في كبد الشاة ما يخبئه لك القدر .

[**آزر**] : أمرك يا والدي العزيز آتيك باكراً وبيدي الشاة .

(فاصل)

[**آزر**] : عم صباحاً يا والدي . .

[**ناحور**] : يا صباحاه . حسناً حسناً . وهذه شاة غبراء . لا عيب فيها . سر بنا إلى المعبد يا بني . والآلهة تحرسك .

[**الراوي**] : (**ثم يسيران الى المعبد فيدخلان الى المذبح فيقرأ ناحور من الطلاسم ما يقرأ ثم يذبح الشاه فينظر في كبدها ويقول**) :

[**ناحور**] : الطريق الى بابل آمن . . ولكن . . ولكن . .

[**آزر**] : ماذا ترى يا أبي .

[**ناحور**] : سحب داكنة تحجب وجه (نانا) وكسوف يغشي وجه (شماش) وأصناف الآلهة تخر على وجوهها . خطب نازل بالآلهة . شر مستطير . أنت تحجب الآلهة .

[**آزر**] : يا أبت إني محب للآلهة . وكيف أقارن بين النور الذي رأيته في منامك يخرج من صلبي ليضيء السماء والأرض وبين أصنام الآلهة التي انكفأت على وجوهها يجللها الخزي والعار ؟ .

[**ناحور**] : إني تحيرت أيضاً . سر يا بني الى بابل والآلهة تحرسك .

[**الراوي**] : ودع آزر زوجته إيمتالي . وتركها في رعاية تمثالين كبيرين لمردوخ ونانا ولحق بالقافلة الى بابل . . ثم قام بصنع تمثال مردوخ . وشارك باحتفالات العيد . ثم كر راجعاً الى فدام آرام .

(فاصل)

[**الراوي**] : ارتفع صراخ مولود في بيت آزر[1] فقد وضعت إيمتالي . وانجبت ولداً ذكراً . كانت قبل وضعها خائفة قلقة تخشى آلام الوضع لأنها بكرية . ولكنها وضعت حملها بدون شعور ألم فقد طاف بها نعاس لذيذ . واستيقظت منه على بكاء وليدها .

[**الوليد**] : واع . . واع . . واع .

[**الجارية (حوريت)**] : مبروك الغلام يا سيدتي إيمتالي . متى وضعت ؟

[**إيمتالي**] : عند شروق فجر ربنا (شِماش) وضعت . وبدون قابلة ولا ألم . وضعت غلاماً ذكراً كالشمس في رابعة النهار . إذهبي وبشري جده ناحور يا حوريت .

[**حوريت**] : وسأنال جائزة البشارة .

(فاصل)

---

(١) ذكر كثير من المفسرين والمؤرخين : أن الملك نمروذ بن كنعان بن كوشك دعا الناس الى عبادته . وكان له كهان ومنجمون فاخبروه بأنه يولد في بلده هذه السنة غلام يغير دين أهل الأرض . ويمنع الناس من عبادة البشر والأصنام فقام بالاحتياط ليقضي على الغلام المذكور . وذُكرت روايات عن هذا الاحتياط . في بعضها . أن آزر كان من (العاميلو) اي رجال الدولة والدين . حيث كان صانع الاصنام . وذكر محمد بن اسحاق المؤرخ العظيم : أن الحَبَل لم يظهر على إيمتالي . وبكلا الروايتين لم تراقب إيمتالي . فولدت في بيتها . وذلك شبيه لما حصل عند ولادة موسى عليه السلام والله أعلم .

[**ناحور**] : يا حوريت هل وضعت إيمتالي ؟

[**حوريت**] : نعم وضعت ذكراً لكأنه القمر .

[**ناحور**] : اذهبي الى سيدتك وسآتي وشيكاً . ولك قلادة من ذهب . وهذه هي القلادة . واني سأذهب الى المعبد لأصلي شكراً للآلهة وسأوافي إيمتالي والوليد بعد قليل .

(فاصل)

[**ناحور**] : مبروك يا إيمتالي . والف مبروك . سميته « ناحوراً » وصليت للآلهة عسى أن تتقبله بقبول حسن .

[**إيمتالي**] : ناحور اسم عزيز علينا حبيب لقلوبنا . . ولكن . .

] **ناحور**] : ولكن ماذا . .

[**إيمتالي**] : اء . . اء . . كنا اتفقنا أنا وآزر أن نطلق اسم ناحور على أول اولادنا الذكور .

[**ناحور**] : وما الذي حدث ؟

[**إيمتالي**] : جائني هاتف في المنام وقال لي : سمه (ابراهيم) . . وهذه مشيئة الآلهة .

[**ناحور**] : حسناً تفعلين (إبراهيم) معناه أبو القبائل . . ابو الأمم . واني رأيت في منامي أن نوراً خرج من صلب ابني آزر أضاء السماء والأرض .

(اخذ الغلام بين يديه وجعل يتأمله ويقول) : قمر يا إبراهيم . ابراهيم إسم عظيم . سيكون لك مع الآلهة شأن عظيم يا إبراهيم . سيقرن اسمك بالسماء سيتألق نجمك بالقبة الزرقاء .

(فاصل)

قصيدة

نبي كريم طاهر ومطهر ... رؤوف حليم خاشع متواضع

بشير نذير صادق ومصدق ... سراج منير في دجى الفَيّ لامع

إمام البرايا قبلة الدين والهدى ... وكعبة فضل للمحاسن جامع

أبان أصول الدين بالحكمة التي ... تضاهي ثنا الأقمار وهي طوالع

الحلقة التاسعة

(طفولة ابراهيم عليه السلام)

[**إيمتالي**] : يا حوريت . . يا حوريت . .

[**حوريت**] : أمرك مولاتي .

[**إيمتالي**] : سمعت جلية بالطريق انظر لعل سيدك آزر قد أقبل ليرى مولوده الحبيب .

[**حوريت**] : لقد قلدني سيدي ناحور قلادة ذهبية بشارة بسيدي إبراهيم. وأنا متلهفة الى قلادة اخرى من سيدي آزر . ها هو قد أقبل ودخل الدار . . سلامة وبشرىٰ بولدك إبراهيم .

[**آزر**] : مبـروك وألف مبروك المـولود المبـارك . ولكن من سماه إبراهيم وما سمعت بهذا الاسم أبداً .

[**إيمتالي**] : جاءني هاتف في منامي وقال لي سمي الغلام ابراهيم فانه ينير الغبراء والزرقاء .

[**آزر**] : حسناً أعطني إياه (قبَّله وقال) حبيب . حبيب يا إبراهيم . وجهك كالقمر ليلة البدر .

[**الراوي**] : ومرت الأيام ووضعت إيمتالي ولدين ذكرين . فاوفت بوعدها للسيد الكبير . وسمت أكبرهما (ناحوراً) وسمت الآخر (هاران)

تيامنا باسم الجد (ناحو) والعم (هاران) . وشب إبراهيم وترعرع بفرق واضح مدهش من أمثاله بالسن . وأخذ يكثر التسآل عن كل شيء يراه . فيريد أن يتذوق معناه ، بذكاء وافر وعقل مذهل . لذلك اصطفاه جده ناحور ، ليعلمه القراءة والكتابة وسائر العلوم التي يعلمها . وفي أوقات فراغه يجلس أمام والده آزر . ويناقشه عن التماثيل التي يصنعها

[**إبراهيم**] : (**دخل مع ابيه آزر وأمه ايمتالي إلى المعبد الخاص وقال**) ما هذه الدمى التي تصنعها يا أبي الحبيب ؟

[**آزر**] : هذه ليست دمى لِلَعب الأطفال بل هي تماثيل للآلهة العظام .

[**إبراهيم**] : هذا تمثال امرأة أهي آلهة أيضاً ؟

[**آزر**] : نعم يا حبيبي هذه (عشتار) آلهة اللذة .

[**إبراهيم**] : ومن هذا يا أبي ؟

[**آزر**] : هذا الآله إنليل الذي أحدث الطوفان . الذي رويت لناقصته .

[**يا أبي لماذا أغرق البلاد وأهلك الناس ؟**

[**آزر**] : لأن الناس ضلوا ، بغوا في الأرض ، عصوا الآلهة .

(**ثم ركع آزر وإيمتالي لمردوخ رب الأرباب كما يزعمون**)

[**إبراهيم**] : لماذا تركع يا ابي لهذه التماثيل ؟

[**ازر**] : لأنها الآلهة التي خلقتنا .

[**إبراهيم**] : أنت الذي صنعتها يا أبي بيدك . أنت الذي تخلقها كل يوم .

[**آزر**] : (**يضم إبراهيم الى صدره ويقبله معجباً بذكائه ويقول**) : ما أعظم ذكاءك يا حبيبي يا ابراهيم . أنا أصنّع رموزاً للآلهة . أجسمها لأعين الناس . أما الآلهة فهي في السماء جالسة على عروشها . أتعرف يا بني كوكب المشتري؟

[**إبراهيم**] : نعم أعرفه عرفني به جدي ناحور . كما عرفني كثيراً من الكواكب .

[آزر] : هذا هو كبير الآلهة مردوخ . وهذا التمثال الذي صنعته إن هو إلا رمزُ كبيرِ الآلهة . أرأيت القمر يا إبراهيم؟

[ابراهيم] : نعم أعرفه . هو الذي ينير الأرض غالب أيام الشهر .

[آزر] : إن الإله (نانا) إله مدينتنا . وهذا تمثاله . أرأيت الشمس يا إبراهيم؟

[إبراهيم] : نعم يا ابي اعرفها . انها الكوكب المضيء الوهاج . الذي يعطينا الدفء والحرارة والنور نهاراً.

[آزر] : إنها الإله (شِماش) وهذا تمثاله .

[إبراهيم]: ولماذا تعبد يا أبي كل هذه الآلهة؟

[آزر]: لأنها خلقتنا ورزقتنا. وأسبلت حمايتها علينا.

[إبراهيم]: ومن خلق هذه الآلهة يا أبتاه؟

[آزر] : **(تحيَّر آزر كيف يرد الجواب فتجاهل السؤال)** : سر بنا يا بني الى المعبد الرئيس في المدينة لِتَرىٰ عظمة الآلهة .

[إبراهيم] : سر بنا : فاني لم أفقه معنى هذه الآلهة .

(يسيران في الطريق فيلفت نظر إبراهيم نساء متبرجات يجلسن على قوارع الطرق)

[إبراهيم] : من هؤلاء النساء وما شأنهن ؟

[ازر] : **(ضم آزر ابنه المراهق الى صدره وقبله وقال)** : يا بني هؤلاء العاهرات المقدسات اللائي وهبن اجسادهن للرجال يتمتعن بهن قرباناً للآله (عشتار) آلهة اللذة . قريباً يا بني ستعرف المعنى الكبير لهذه التضحية .

[الراوي] : **(فيدخلان المعبد الكبير المقدس . وكان حرمه فسيحاً . وارتفاع بنائه شاهقاً وقد أمَّه الناس من كل الطبقات . يحملون القرابين والهدايا . ثم يخرون ركعاً للآلهة . يبكون او يتباكون . وركع آزر وقال لابنه اركع يا براهيم . ولكن ابراهيم وقف شامخ الانف رافع الرأس فلم يركع)** .

[آزر] : لماذا لم تركع يا بني يا حبيبي لربنا (مردوخ) وآلهنا (نانا) ؟

[**إبراهيم**] : لم أفهم معنى الركوع لهذه الصخور والاخشاب . إنها مثل الاخشاب التي تنجرها بقدّومك يا أبتاه. وأنتم تدعونها ، وتطلبون منها السعادة . فكيف تستجيب دعاءكم وهي أخشاب وأحجار .

[**آزر**] : لا تزال صغيراً يا بني . فانك لم تدرك بعد معنى العبادة . ولو كان جسمك جسمَ الشباب ، ووجهُك وجهَ القمر . انظر هذه البوابة يا ابراهيم . أعرفتَها ؟

[**إبراهيم**] : نعم .

[**آزر**] : في كل صباح أحمل تماثيل الآلهة التي أصنعها وبعها هنا للناس عند بوابة المعبد وستباركك الآلهة . وترضى عنك العاهرات المقدسات .

(فاصل)

[**آزر**] : قم يا حبيبي يا إبراهيم فقد أحضرت لك الآلهة حتى تبيعها . هذا تمثال ربنا مردوخ . وهذا تمثال الاله (نانا) وهذا تمثال الآلهة (عشتار) آلهة اللذة، فبع هذه الأصنام أمام بوابة المعبد الكبير.

(فاصل)

[**إبراهيم**] : **(يحمل الأصنام براً بوالده حتى إذا بلغ بوابة المعبد جعل ينادي)** .

من يشتري ما يضره ولا ينفعه . من يشتري الضرر . . من يشتري الخشب؟ .

[**راجو**][1] : اسمع يا لوجال هذا الفتى كيف يستهزىء بالآلهة وما يقول عنها .

[**إبراهيم**] : الخشب . الحطب . الضرر . الدمى . . من يشتري ما يضره ولا ينفعه ؟

[**راغو**] : اسكت يا سفيه قبل أن أنهال عليك ضرباً باليمين .

[**لوجال**] : دعه لانتقام الآلهة فانها ستنزل به أشد العقاب .

---

(١) راجو ولو جال وراغوا: من أشراف القوم . وكان لوجال صاحب آزر .

[راجو]: نخشى ان تعمنا بالعقاب إن تركناه يسخر منها.

[**لوجال**] : دعه فانه فتى لعل الآلهة تهديه .

[**إبراهيم**] : الحطب . الخشب . الضرر . الدمى . اللعب .

[**وضحة**][1] : اسكت يا فتى ما أجمل وجهك وأقبح ما تقول بحق الآلهة لولا أنها عطوف لأنزلت بك العذاب الاليم .

[**إبراهيم**] : الحطب . الخشب . الضرر . الدمى .

[**وضحة**] : إن فيك غرور الشباب وتمرده . تعال معي أعلمك كيف تتذوق حب (عشتار) وحب الآلهة الأخر.

[**إبراهيم**] : من يشتري ما يضره ولا ينفعه ؟

[**وضحة**] : يعني (عشتار) آلهة اللذة .

[**إبراهيم**] : ادفعي ميناً من الفضة . وخذي أكبر الضرر . وعجلي فاني ذاهب لأسقي الآلهة . (**ثم ادلى رؤوس الأصنام الى الماء وقال**) إشرب يا مردوخ . اشرب يا نانا إشربي يا عشتار .

[**لوجال**] : أنظر يا راجو . هذا الفتى هو ابراهيم ابن صديقي آزر بن ناحور . أنه لشجاع وسيكون له نبأ مع ابيه وقومه والآلهة جميعاً .

(فاصل)

[**ناحور بن آزر**][2] : أين كنت يا إبراهيم . إني ابحث عنك .

[**إبراهيم**]: أين أبي يا ناحور.

[**ناحور**] : إن أباك عند جدنا ناحور فانه مريض .

[**الراوي**] : (فيسرع إبراهيم الى بيت جده ناحور فيجده مثقلاً بالمرض . وعنده ابناه آزر وهاران والعائلة . فيفتح ناحور عينيه بصعوبة ويقول) :

[**ناحور**] : إبراهيم . إبراهيم . اقترب مني يا بني حتى أضمّك الى صدري . واقبلك قبلة الوداع . فإني لم أنجب تلميذاً مثلك . (**فيضمه ويقبله ثم يلتفت الى آزر ويقول**) :

---

(١) عاهرة مقدسة .

(٢) شقيق ابراهيم سمي جده . وهاران اخوه سميّ عمه .

[**ناحور**] : يا آزر : احفظ ابنك ابراهيم سيكون له نبأ عظيم ، ذكاء متوقد ، إرادة قوية ، علم وافر . لا يقر شيئاً غير مقنع . يبحث عن حقائق الأمور . شاكّ في الآلهة .

[**إبراهيم**] : في نفسي سؤال أريد أن أسألك إياه يا جدي .

[**ناحور**] : سل ما شئت .

[**إبراهيم**] : أي إلّه كان رب أبينا نوح عليه السلام ؟

[**ناحور**] : يا بني يا إبراهيم . . احفظ عني : كان أبونا نوح عليه السلام لا يعبد الا (إنليل) وهو الله بلغة آبائنا العرب . وبعد مدة طويلة تطورت الآلهة .

[**آزر**] : يا إبراهيم دع جدك فانه مثقل .

[**ناحور**] : دع ابني إبراهيم يحادثني . فان الحياة تسري بعروقي من محادثته . **(ثم يرفع يديه ويضم ابراهيم ويقول)**

[**ناحور**] : يا آزر : إن ذهبتُ الى الأرض التي لا رجعة منها[1] فقد تركت حفيدي ابراهيم . فإنه النور الذي سيبهر القبة الزرقاء .

(ثم يشتد مرض ناحور ويفارق الحياة)

(فاصل)

« ابراهيم يرعى الغنم »

[**إبراهيم**] : أرجوك يا أبي أن تأذن لي برعي الغنم . فإني لا أريد أكل الحرام .

[**آزر**] : وأي مال حرام يا بني ؟

[**إبراهيم**] : الذي يجنى من بيع التماثيل .

[**آزر**] : طبعك غريب يا إبراهيم . إعمل ما تريد .

[**الراوي**] : يستقل إبراهيم بنفسه . فيرعى المواشي ويتجر بها ويكوِّن شخصيته . ويستقل برأيه . ويتفرغ للتفكر في ملكوت السماوات والأرض .

---

(١) كانوا لا يعتقدون باليوم الآخر .

[إبـراهيم] : (يقول في نفسـه) وكثيراً مـا ينطق : سـماء زرقاء صافية . ولكنها لو دامت صافية لما نزلت منها الأمطار . إن هذا الكون حي . إن الروح التي تسري فيه هي من روح الآله. يا رب السماوات والأرض قلبي يعرفك . روحي تشعر بك . ولكن أريد أن أهتدي اليك .

ها هو كوكب المشتري الذي يسمه قومي مردوخ . أهذا ربي ؟[1] . كلا إنه يأفل[2] ها قد أفل وغاب . وأنا لا أحب الآفلين .

هذا القمر بازغاً . أهذا ربي ؟ كلا فانه عن قريب يأفل . . ها قد أفل وغاب ﴿ لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ﴾[3].

يا رب إني أحبك . أريد ان أعرفك حق المعرفة . أهذه الشمس هي ربي فهي أكبر من القمر والكواكب . كلا فهي عن قريبٍ تأفل وتغيب . ها قد أفلت . إن ربي هو الله رب آدم ونوح . هو الذي يسير الشمس والقمر . والنجوم مسخرات بأمره . فهو رب الارباب . يا قوم إني بريء مما تشركون . ﴿ إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً . وما أنا من المشركين ﴾[3] .

(ولسان حال إبراهيم يقول) :

أربّاً واحداً أم الف رب ... أدين اذا تقسمت الأمور
فلا نانا أدين ولا ابنتيها ... ولا صَنَمَيْ بني قومي أزور
عرفت وفي الليالي معجزات ... وفي الايام يعرفها البصير
بان الله قد أفنى رجالاً ... كثيراً كان شأنهم الفجور

---

(١) العرب كثيراً ما تحذف همزة الاستفهام، والاستفهام هنا انكاري ينكر به على قومه عبادة الكواكب وهذا الذي اختاره من الأقوال الكثيرة في التفاسير .

(٢) يأفل يغيب .

(٣) الآيات ٧٧ و٧٩ من سورة الأنعام.

الحلقة العاشرة

زواج ابراهيم عليه السلام وبعثته

زواج إبراهيم

[**سارة** [1]] : (**تصادف ابراهيم وهو يرعى الغنم**) : عم صباحاً يابن العم يا إبراهيم .

[**إبراهيم**] : يا صباح الخير .

[**سارة**] : لقد ملكت علي قلبي بصراحتك وجرأتك بالأمس في مخاطبة أبيك وقومك ، بعد أن كنت غاية أملي . وانطبعت صورتك في قلبي ، واستولت على خيالي ، فلم أتمالك نفسي دون مصارحتك . فإني انتظر اليوم الذي تطلب به يدي من عمك هاران .

[**ابراهيم**] : شكراً : هو هذا اليوم مساءً . بعد أن أحضرت (الترهاتو) [2] من عمل يدي . من المال الحلال .

[**سارة**] : يا مرحباً يابن العم . وها أنا أبشر أمي لنكون باستقبالك .

---

(١) سارة بنت هاران . وماران عم ابراهيم كما ان هاران شقيق ابراهيم وهو والد لوط عليه السلام .

(٢) الترهاتو هو المهر بلهجتهم التي هي مفصولة .

[سارة تبشر امها] : (ويداعبها الخيال وتستولي عليها أحلام اليقظة فتقول) :

يا اماه ما معنى سارة .

[نورة] : معناها اميرة يا بنيتي . وانت أجمل من أية أميرة في قصر أي ملك .

[سارة] : صحيح . وهذا ابن عمي ابراهيم أجمل واعظم من ملوك الدنيا . إنه أنبل منهم جميعاً . أيها العريس الحبيب الى قلبي جمالك الباهر حلوٌ كالشهد . أيها الأسد الحبيب إلى فؤادي أسرت مهجتي . فدعني أقف بين يديك أملأ عيني بجمالك الفتان . انا أعرف كيف أدخل الى قلبك السرور .

[الراوي] : وبدأت مراسيم الزواج . ووضع إبراهيم اثنا عشر شاقلاً من الفضة في صفحة وقدمها لِـعَمِّهِ هاران فتناولها العم وهو سعيد . . . وهكذا تم الزواج المبارك الميمون . . وبعد مدة وجيزة تزوج هاران أخو إبراهيم (ملكة) اخت سارة [1] فانجبت له لوطاً . وبعد زواج إبراهيم . وفي وسط هذه البيئة الفاسدة . وفي مملكة نمروذ بن كنعان بن كوشك الطاغية المتأله المستبد بعث الله عز وجل إبراهيم عليه السلام لهداية قومه بعد أن عَرفَ الله عز وجل بثاقب رأيه . وقوة إدراكه وإلهام ربه . فأدرك أن هذه الأصنام التي يعبدها أبوه وقومه لا تغني عنهم من الله شيئاً . . وبينما كان يناجي ربه على ظهر جبل أور في ظلام الليل وحيداً فريداً . إذ غمر المكان نور ساطع . وهبت نسائم رقيقة تحمل الرحمة . وسرى في الوجود تسبيح الملائكة . وبَدَا [2] أن الأرض تتأهب لاستقبال وحي السماء . والقي في روع إبراهيم أنه سيلقى ربه . ففاضت عيناه بالدمع . وثَبَتَ فؤاده . وشرح

---

(١) وقيل ان ناحور أخو ابراهيم هو الذي تزوج ملكة اخت سارة . وناحور هذا اسلم مع ابراهيم ولكنه لم يهاجر معه . وأما هاران فهو ابو لوط . ومات كافراً كما سيأتي .

(٢) بدا يبدو ظهر .

الله صدره للإسلام . إذ أوحى الله إليه : إني أنا الله رب العالمين . ورآى جبريل عليه السلام فقال له : أسلم . فسجد ابراهيم لله تعالى وقال : أسلمت لرب العالمين .

بعثة ابراهيم عليه السلام

فأوحى الله الى ابراهيم ما أوحى . وبين له الحياة، والموت، والمبعث، والنشور، وأمره بالتبليغ. عاد إبراهيم إلى بيته وبادر بالصلاة شكراً لله .

[**إبراهيم**] : الله اكبر . . الله اكبر . . الله اكبر . .

[**سارة**] : لمن تصلي يا إبراهيم وليس أمامك صنم ولا تمثال ؟

[**قال ابراهيم**] : إني تبرأت من الأصنام والتماثيل . وأسلمت لله رب العالمين .

[**سارة**] : من علمك هذا الدين ؟ يا إبراهيم.

[**قال إبراهيم**] : يا سارة : إن ربي هداني الى صراط مستقيم . ديناً قيّماً. وأوحى اليّ ما أوحىٰ . وقد بعثني رسولاً لأدعوَ الناس لعبادته وحده . وأنتِ أحب الخلق إليّ. فادعوك الى الله رب العالمين .

[**سارة**] : يا ابن العم : طالما أنت أسلمت . وبعثكَ الله لهداية قومك . فأنا أسلمت لرب العالمين . وآمنت بك وصدقتك . فانت الصادق الأمين . رب إني ظلمت نفسي بعبادة الأصنام أشهد أن لا إله الا أنت . وأن ابراهيم عبدك ورسولك . وأسلمت مع ابراهيم لله رب العالمين .

[**لـوط** [1]] : وانا أسلمت لله رب العـالمين . واتّبعت ملة عمي إبراهيم .

[**قال ابراهيم**] : الحمد لله . . الحمد لله الذي هداكما للاسلام . وها أنا ذاهب لأبلغ ابي وأمي رسالة الله رب العالمين .

---

(١) هو لوط بن هاران بن آزر . اي ابن اخي ابراهيم وأمه ملكة أخت سارة . وتبناه ابراهيم لأنه لم يأته اولاد اذ ذاك وفي هذه الفترة كان صغيراً .

(ثم دخل دار والديه [1] فقابل أمه ايمتالي فقال) .

«فاصل انتقال»

[**قال إبراهيم**] : يا أماه . إني أدعوكِ إلى عبادة الله وحده لا شريك له . فقد أرسلني ربي بشيراً ونذيراً .

[**إيمتالي**] : وآلهتنا يا إبراهيم ؟

[**قال إبراهيم**] : إنما تعبدون من دون الله أوثاناً . وتخلقون إفكاً .

[**ايمتالي**] : يا بني يا إبراهيم دع عنك هذا . فانه يثير غضب النمروذ ايلي [2] فينزل بنا أشد العذاب . وانا عاكفة على عبادة الأصنام .

[**قال إبراهيم**] : أتعبدون ما تنحتون . يا أماه! اعبدوا الله واتقوه . إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً ، ولا حياة ، ولا أنفسهم ينفعون .

بعثة ابراهيم عليه السلام وموقفه مع أبيه

[**إيمتالي**] : يا بني إني تابعة لأبيك أعبد ما يعبد فدونك وإياه .

[**قال إبراهيم**] : حسناً : وها هو أبي في منجره يصنع التماثيل . وإني ذاهب اليه . (**فأتاه**) .

[**قال إبراهيم**] : عم صباحاً يا أبتاه .

« **إنتقال** »

[**آزر**] : يا صباح الخير والسعادة يا إبراهيم .

[**قال إبراهيم**] : يا أبت : إن الله أرسلني لأدعوَ الناس لعبادة الله وحده . وأوحىٰ اليَّ ما أوحىٰ . وعلمني من لدنه علماً . وأتاني حظاً من المعرفة . فاتبعني يا أبتِ أهدك صراطاً سوياً .

[**آزر**] : ما هذا الدين الذي تأمرني به يا إبراهيم . أغرك مني أنك

---

(١) لم يتزوج ابراهيم في دار ابيه كراهية للاصنام بل بنا لنفسه دوراً متواضعة بناها بيديه . حيث كان يحسن البناء .

(٢) اي الرب نمروذ .

كنت تعيب الآلهة التي أصنعها بيدي فأتحملك . فقد تماديت في غِيك. ورجوت أن اكون تابعاً لك .

[**قال إبراهيم**] : يا أبت إنه قد جاءني من العلم ما ليس لك . وأوحى الله إليّ بواسطة جبريل ما أوحى . وعلّمني من لدنه علماً . فلا تستنكف أن تتابعني . وإن كنت لا أبلغ سنك . فأنا أجِلك وأحترمك .

[**آزر**] : أنا لا أعبد الا هذه الأصنام معبودة الآباء والاجداد .

[**قال إبراهيم**] : يا أبت : إن الآباء والأجداد كانوا في ضلال مبين . وإن الشيطان يزين لكم عبادة هذه الأصنام فعبادتها عبادة للشيطان . يا أبت لا تعبدِ الشيطان . فإنه عدو للانسان والرحمن . وإن الشيطان يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير . في يوم آتٍ لا ريب فيه . يكون الحَكَمُ فيه ربُّ العالمين . ويكون الخلق فيه فريقان ؛ فريق في الجنة ، وفريق في السعير .

[**آزر**] : يا إبراهيم : إننا بعد الموت . والنزول في الأرض السفلىٰ التي لا رجعة منها[1] أنزعم أننا نعود فنثاب أو نعذب ؟ هيهات . . هيهات .

[**قال إبراهيم**] : نعم : إننا سنموت كما ننام . وسنبعث كما نستيقظ . ونجازىٰ على أعمالنا . في جنة أبدِيَة أو نار سرمدية .

[**آزر**] : وهل آباؤنا وأجدادنا يحييهم الآهك. فيثابون أو يعذبون ؟

[**قال إبراهيم**] : نعم . إنه ليحيي الموتى وهو على كل شيء قدير .

[**آزر**] : فهل رأيت إحياء ربك الموتى بعينك ؟

[**قال إبراهيم**] : إن ربيَ قادر أن يريني كيف يحي الموتى . يا أبت إن ربي قد خلق الخلق أول مرة وهو قادر أن يعيده. وهو أهون عليه. وهو على ما يشاء قدير.

---

(١) كان القوم ينكرون البعث . وعبادتهم للنمروذ والآلهة لاطالة عمرهم في الدنيا ووفر السعادة فيها . والبعث مخصوص للملك وحاشيته . نسل الآلهة . لذلك اذا مات الملك . يجب أن يدفن في مدفن كبير . يدخل فيه معه زوجته وحاشيته والقواد . فيسكرون ويدقون على الطبول المقدسة . ثم يتجرعون السم ويدفنون مع الملك .

[آزر] : يا إبراهيم: إن مردوخ ونانا وعشتار أقدر من إلاهك لو أرادت الإبداع والايجاد .

[قال إبراهيم] : ما قدرة هذه الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر . ولا تضر ولا تنفع . ولا تملك حياة ولا موتاً . ولا تخلق ذبابة ولا بعوضة . بل أنت تصنعها بيدك . وتدق رأسها بقدومك .

[آزر] : يا إبراهيم : ما أراك تستنكف عن عبادة البعول الكرام إلا لأن أباك يصنعها بيده . وتُدِرُّ عليه الارزاق . وتفيض البركة في داره . فاعبدها يا ابراهيم تبارك في عمرك . وتوسع في رزقك . وتيسر من أمرك .

[قال إبراهيم] : يا أبت كيف تبارك في عمري وهي جماد لا تملك حياة لنفسها . وكيف توسع الرزق وتيسر الأمر وأني اشاهد خُرءَ الذباب على رؤوسها لا تستطيع له منعاً ، ولا دفعاً .

[آزر] : لقد جادلت فاكثرت الجدال يا إبراهيم . وتطاولت على نانا ومردوخ وعشتار . (اراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنّك واهجرني ملياً) [1]

[قال إبراهيم] : (سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً) [2] .

[قارىء] : ﴿واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبياً * اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً * يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً * يا ابت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً * يا أبت إني أخاف أن يمسّك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً * قال : أراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم ولئن لم تنته لأرجُمَنَّك واهجرني ملياً * قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفياً *﴾[3]

---

(١) واهجرني ملياً . اي اهجرني زمناً طويلاً .

(٢) انه كان بي حفياً . بليغاً بالبر والالطاف . وهذا من ابراهيم توديع . ومتاركة . ومقابلة للسيئة بالحسنى . وانما كان من ابراهيم عليه السلام هذا الالحاح . قياماً ببر ابيه . ولأن اباه من رجال دين الاصنام . فاسلامه له ما بعده .

(٣) الآيات ٤١ ـ ٤٧ من سورة مريم.

قصيدة لسان حال ابراهيم

رضاك خير من الدنيا وما فيها ... يا مبدع الخلق قاصيها ودانيها
وحق حبكَ ما قصدي الديار ولا ... الأموال من عرض الدنيا فأقنيها
فنظرة منك يا سؤلي ويا أملي ... أشهى الي من الدنيا وما فيها
وليس للنفس آمال تؤملها ... سوى رضاك فذا أقصى أمانيها

محمد حمزة

الحلقة الحادية عشرة

دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه وتحطيمه الاصنام

المقدمة:

[الراوي] : لقد أثارت مناقشة آزر في قلب ابراهيم عليه السلام حب الكشف الجلي عن إحياء الموتى حتى ينتقل من علم اليقين إلى عين اليقين. فدعىٰ الله تعالى القادر على كل شيء أن يجليَ له هذه المعجزة ليبلغ عن الله عز وجل ما علم ورآى (فقال)

[إبراهيم] : (رب ارني كيف تحيي الموتى)

[المبلغ عن الله عز وجل] : (أو لم تؤمن) ؟

[قال إبراهيم] : (بلى ولكن ليطمئن قلبي) .

[المبلغ عن الله عز وجل] : (يا إبراهيم: إن الله تعالى قد استجاب دعاءك فخذ أربعة من الطير فاذبحهن . وانتف ريشهن . ثم قطعهن ارباً ارباً. واخلط اللحم والعظم والدم والريش. وقسم الخليط الى أربعة أقسام. وأجعل على كل جبل منهن جزءً. وأمسك رؤوسهن بيدك. ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم.

[الراوي] : أخذ إبراهيم طاووساً وديكاً وحمامةً وغراباً . وذبحهن وفعل بهن ما أُمِر.

[**قال إبراهيم**] : أيتها الطيور تعالين باذن الله . الله أكبر . الله أكبر قد تطاير الريش . واللحم . والعظم والدم وأقبل من رؤس الجبال كأنه جراد منتشر. الله أكبر. قد عاد كل جزء إلى صاحبه وسرت فيه الحياة وأتى إلي سعياً على قدميه ، بتذلل وخضوع لله عز وجل . أشهد أن الله على كل شيء قدير ، وأنه يحيي الموتى وإليه النشور .

دعوة إبراهيم العامة

[**الراوي**] : (**دخل إبراهيم دار والده فوجد أمه إيمتالي فقال**)

[**قال إبراهيم**] : أين أبي يا أماه ؟

[**إيمتالي**] : اليوم عيد ربنا (نانا) فذهب ليركع مع الراكعين .

[**قال إبراهيم**] : إذاً إني ذاهب إلى المعبد لأدعوَ الناس إلى عبادة الله الواحد القهار .

[**إيمتالي**] : يا بني : إياك أن تذهب الى المعبد وتعلن دعوتك . فإن الآلهة تغضب عليك وتنتقم منك . وإن في المعبد تمثال النمروذ إيل ابن كوشك ، الملك الإله نسل الآلهة ، الذين هبطوا من السماء إلى الأرض بعد الطوفان ليفرضوا على الأرض حكم السماء . فإنْ عَلِم بك النمروذ ينزل بك أشد العذاب .

[**قال إبراهيم**] : إني ذاهب الى المعبد ، ومبلغ رسالَة ربي ، وبه أستعين وعليه أتوكل .

[**الراوي**] : (سار إبراهيم في الطريق المقدس . وقد جلست على جانبيه العاهرات المقدسات . وقد وفد الرجال والنساء الى المعبد يحملون الهدايا والنذورَ . ودخل ابراهيم الى حيث تقوم أصناف الآلهة . تمثال النمروذ في أعلى مشكاه وحوله تماثيل نانا ومردوخ وعشتار . فوجد الناس ركعاً للآلهة . فقال : بعزيمة صارمة وقلب سليم :)

[**قال ابراهيم**] : ماذا تعبدون ؟ أإفكاً آلهة دون الله تريدون ؟ فما ظنكم برب العالمين ؟ ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟

[**راجو (كاهن)**] : وجدنا آباءنا لها عابدين[1] .

---

(١) لا حجَّة لهم من عقل أو منطق . بل محض التقليد الأعمىٰ .

[**قال إبراهيم**] : لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين .

[**راغو (كاهن آخر)**] : أتنتقص آلهتنا وتسب أصنامنا بالحق أم أنت من اللاعبين ؟

[**قال إبراهيم**] : بل جئتكم بالحق . إن ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . فقد جئتكم بالدين القويم والحق المبين .

[**أُوْرِيجَالِلُو[1] كبير الكهنة**] : (بصوت ضخم) : أيها الصابىء : إن مردوخَ هو رب الأرباب . وإلّه الآلهة وفاطر السمات والأرض . وإن نانا وشماس وعشتار والبعول الآخر الكرام أعوانه وممثلوه ، وممثل الجميع النمروذ إيل، يُبرمون كل الأمور. فارجع عن غِيك وإلا سينالك العذاب الأليم.

[**آزر**] : إن الكهنة وزعيمهم (أُوريجَالِلُو) يأمرونك أن تعتنق دين الآباء والاجداد . فأطع الأوامر يا بنَيّ تكن من المكرمين .

[**قال إبراهيم**] : يا قوم إني بريء مما تشركون . إني وجهت وجهيَ للذي فطر السماوات والأرضَ حنيفاً وما أنا من المشركين .

[**لوجال**] : ما أنت إلا بشر مثلنا . فأت بآية[2] إن كنت من الصادقين .

[**(القوم)**] : نريد آية . . نريد آية . . نريد آية .

[**قال إبراهيم**] : إنما الآيات عند الله . وهو قادر على كل آية . وهو على ما يشاء قدير .

[**آزر**] : ويل لك يا إبراهيم من غضب الآلهة ، ويل لك من مردوخ ، ويل لك من نانا ويل لك من عشتار ، ويل لك من نمروذ إيل .

[**قال إبراهيم**] : أتخوفونني من حجارة صماءَ وخُشُبٍ مسندة . ﴿ فإنهم عدو لي إلا رب العالمين. الذي خلقني فهو يهدين. والذي هو يطعمني ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين. والذي يميتني ثم يحيين. والذي

---

(١) هو كبير الكهنة .

(٢) الآية هنا المعجزة الخارقة للعادة دلالة على صدق الأنبياء . ومن اكبر الآيات نجاة ابراهيم من النار كما سيأتي .

أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾[1] .

[لوط] : (صرخ بحماس) أنا لوط بن هاران : أشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن إبراهيم نبي الله . يا قوم ما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم .

[أُورِيجَالِلُو]: (صاح): انصروا آلهتكم من الكذاب الكبير قبل أن يفتن الناس، لئن سَحَرَ هذا الفتى فسيسحركم جميعاً . كذاب كبير وكذاب صغير . (ودفع إبراهيم في صدره) كذاب . . كذاب .

[القوم]: (باصوات جماعية): كذاب . . كذاب . . كذاب .

[قال إبراهيم] : رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين . رب إنهم يكذبون . .

[الراوي] : (وعاد إبراهيم إلى البيت وأضمر في نفسه أمراً خطيراً)

[قارىء] : ﴿ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وآباؤكم الأقدمون * فانهم عدوٌّ لي إلاّ رب العالمين * الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذي يميتني ثم يحيين * والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين * ﴾[2].

(فترة انتقال)

تحطيم الأصنام

[الراوي] : (قبيل الفجر غصت مدينة أور[3] بالوفود من كل مكان. رجالاً ونساء، شيوخاً وأطفالاً، للمشاركة بعيد (نانا) الكبير، يسوقون الهدايا والنذور . وباشر الطباخون بإحضار الطعام لوضعه أمام الآلهة لتباركه؛ ويأكل الشعب ما زاد عن الآلهة بعد الرجوع من العيد .

---

(١) الآيات ٧٦ ـ ٨٢ من سورة الشعراء.

(٢) الآيات ٧٥ ـ ٨٢ من سورة الشعراء.

(٣) مدينة أور وتدعى فدام آرام هي مسقط رأس سيدنا إبراهيم عليه السلام على التحقيق .

وماجت المدينة بالأنعام ، والكهنة والكاهنات ، والجنود ، والقضاة . واصطف الشعب على جانبي الطريق المقدس الذي سيمر منه الملك الآله نمروذ[1]، ودقت الطبول المقدسة).

[**ناحور**][2] : يا هاران . يا هاران . خذ عائلتك وسر بنا لنبارك لأبينا آزر بالعيد الكبير . ونتخذ أماكننا بجانب الطريق المقدس . حيث يمر نمروذ . لعله يبارك لنا في أعمارنا وأعمار أبنائنا .

[**هاران**] : أمرك يا ناحور . سر بنا فقد غصت المدينة بالزوار .

[**الراوي**] : **(يسيرون إلى بيت والدهم فيستقبلون آزر وإيمتالي بالترحاب . وإذ يدخل إبراهيم على العائلة) .**

[**العائلة**] : إبراهيم سيشاركنا بالعيد .

[**إيمتالي**]: نمروذ ايل بارك لي فيهم وأطل أعمالهم.

[**قال إبراهيم**] : يا أماه : إن نمروذ ليس بإله حتى تدعيه . ما هو إلا بشر . فاخلصي العبادة لله وحده وادعيه فانه يجيب المضطر إذا دعاه .

[**هاران**] : سر معنا يا إبراهيم إلى عيدنا . فسترى أن ديننا يعجبك .

[**إيمتالي**] : يا بني تعال معنا إلى الطريق المقدس حيث الآن سيمر النمروذ فنركع له لعله يصلحك .

[**قال إبراهيم**] : أنا لا أركع إلا الله رب العالمين .

[**آزر**] : أطع أمك يا بني وسر معنا . ركعت أو لم تركع .

[**ناحور**] : سر معنا يا أخي .

[**إبراهيم**] : (نظر في السماء[3] وقال) : إني سقيم[4] .

[**إيمتالي**] : معافى يا بني .

---

(١) ناحور هذا هو شقيق ابراهيم . وناحور ايضاً جد ابراهيم . وهاران هنا اخو ابراهيم ووالد لوط . وهاران ايضاً عم ابراهيم صِنو أبيه ووالد زوجته سارة.

(٢) اي كما يزعمون .

(٣) النظر بالسماء على عادتهم مجاراة لهم .

(٤) سقيم النفس . كاسف البال . من اشراك اهله وقومه .

تحطيم الاصنام

[آزر] : سيروا بنا . سيروا بنا . قريباً يصل موكب النمروذ ايل

(فترة انتقال)

[آزر] : قفوا هنا بجانب (العاميلو)[1] فنحن منهم، وشيكا سيصل الملك .

[ناحور]: هؤلاء تلامذة المدارس قد أقبلوا.

[هاران]: وهؤلاء الجنود بملابسهم العسكرية . وفي أيديهم الحراب يحافظون على النظام .

[آزر] : وهذه فرقة الموسيقى والمنشدون المقدسون .

[آزر] : (صرخ) ها . ها . . وها هو الملك النمروذ إيلي[2] في عربته وعلى رأسه تاج الملك . وقد أرسل شعره على كتفيه . ويغطي كتفه الأيسر جلد ماعز وخلفه الوزراء وقواد الجيش .

[آزر] : إركعوا يا أولادي .

[إيمتالي] : ألا فليطل الملك عمري وعمر أولادي .

[الراوي] : (وارتفعت الترتيلات والابتهالات وسار الموكب الى المعبد الكبير يتقدمه النمروذ . وكان باستقباله عند مدخل المعبد (الأوريجاللو)[3] ودخل النمروذ المعبد الكبير. وتفقد الآلهة والطعام الموضوع أمامها . وقدم لها الخضوع . ثم تابع الموكب سيره الى ساحة الاحتفال الكبرى ، بالعيد الأكبر . وخلت المدينة من الناس إلا من إبراهيم وسارة ولوط عليهم السلام . فخرج إبراهيم من داره حذِراً يترقب حتى دخل المعبد . فلم يجد فيه أحداً إلا التماثيل المنحوتة من الصخر . والمنجورة من الخشب . وفي وسط تلك الاصنام كبيرهم مردوخ قائماً من الصخر بأذنيه

---

(١) كانوا يقسمون الشعب الى اربعة اقسام . حاشية الملك وهم (كما يزعمون) رسل الآلهة نزلوا بعد الطوفان من السماء ليفرضوا على الأرض حكم السماء ثانياً : (العامليو) وهم موظفوا الدولة ورجال الدين ثالثاً (المسكينوا) وهم بقية الشعب الاحرار . رابعاً : العبيد المملوكين .

(٢) يقصدون بإيلي الإله كما يزعمون .

(٣) تقدم ان الاوريجاللو (كبير الكهنة) .

الكبيرتين اللتين ترمزان الى الحكمة . وقد وضع أمام الاصنام موائد الطعام الكثيرة وأوان النبيذ والخمور . فتقدم من الاصنام مستهزئً وقال)

[قال إبراهيم] : ألا تأكلون ؟ ما لكم لا تنطقون . تباً لكم ولمن يعبدكم من دون الله . هاه انقلب يا (نانا) المهان . هاه انقلبي يا عشتار الحقيرة. هاه انقلب يا شماش الذليل. ما لك لا تنطق ولا تشفع يا مردوخ .

[الراوي] : **(وهنا أخذت إبراهيم ثورة الغضب لله ولدين الله، فاخذ معولاً وانهال على الأصنام ضرباً باليمين)**

[إبراهيم] : هاه . . هاه . . هاه . . هاه . خذ هذا الضرب على رأسك يا تمثال نمروذ . هاه خذ هذا الضرب على رأسك يا شماش . هاه خذ هذا الضرب على رأسك يا نانا . .

[قال إبراهيم]: ستلم هذا الفأس يا مردوخ فان كنت تنطق فاشهد عليَّ بتحطيم أعوانك . وإن عجزت فبعجزك فُعِل باعوانك ما فعل . وها أنا ذاهب الى بيتي قرير العين . والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء .

[قارىء] : ﴿ ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين * إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون * قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين * قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين * قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين * قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين * وتالله لأكيدَنَّ أصنامكم بعد أن تولوا مُدْبرين * فجعلهم جذاذاً الا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون * ﴾[1] .

(لسان حال إبراهيم)

فما أخشى بحول الله قوماً ... وإن كثروا وأجمعت الزحوفُ
إذا ما أقبلوا جمعاً علينا ... كفاني حدهم رب رؤوف
سموت بيوم عيدٍ للمعالي ... سريعاً ما تُضَعْضِعُني الحتوف
كسرت بعولهم لله ربي ... عليه توكلي ربٌ لطيف

---

(١) الآيات ٥١ ـ ٥٨ من سورة الأنبياء.

الحلقة الثانية عشرة

محاكمة ابراهيم العلنية
والحكم عليه بالاعدام حرقاً ونجاته من النار

عودة النمروذ من العيد

[**النمروذ**] : (**يقول بصوت ضخم مليء تكبراً وتجبراً**) : أين رئيس الجند ؟

[**القائد**] : ها انا بين يديك مولاي رب الارباب[1] (**وركع له**) .

[**النمروذ**] : اجعل عن يمين كِبريائنا تمثال (نانا) المصنوع من الذهب ، وعن يسارنا (الاوريجاللو)[2] والكهنة ورجال الدين . وخلف ظهرنا (العاميلو)[3] ولتنساب الألحان المقدسة بجانبيّ الطريق المقدس.

[**القائد العام**] : أمرك يا مولاي . كل ما أمرت به حاضر مهيأ .

[**القائد العام**] : (**يصرخ**) معاشر (العاميلو) : مولاي ملك

---

(١) كما يزعمون .

(٢) تقدم أن الاوريجاللو كبير الكهنة .

(٣) العاميلو رجال القصر والوزراء ورجال الدولة . وقواد الجيش .

الملوك ، ورب الأرباب[1]، سيمر بالطريق المقدس الى المعبد الكبير . فالى المحل المقدس .

[الراوي] : (وسارت المسيرة بالموسيقى العسكرية والألحان المقدسة متجهة الى باب المعبد. حيث لا يجوز أن يُفتَح البابُ الا أمام الملك. لقدومه الميمون)

(ويفتح الباب)

[النمروذ] : (شهق) : ما هذا المنظر الفظيع ؟ من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين .

[اوريجالِلو] : (نهق وقال) ويلاه . . ويلاه . من تجرأ على حمى الآلهة وفعل هذا الفعل النكير .

[النمروذ] : لا بد أن أعرف من فعل بآلهتنا هذا الفعل النكير .

[اوريجـاللو] : (يسجد للملك ويقـول) : سمعنا فتى يـذكرهم (بسوء) يقال له إبراهيم .

[آزر] : (بصوت خافت) إهي . . إهي . . إهي . يا ذلاه . . يا ذلاه . يا هاران . يا هاران كيف نلوذ بالفرار ؟

[هاران] : غير ممكن أن يقوم إبراهيم بهذا العمل الفظيع .

[الشعب] : الآلهة محطمة . . الآلهة ممزقة . . الآلهة معفرة . . من تمادىٰ من تجرأ . . حرقوه . . حطموه . . اقتلوه . . . .

انتقال

[آزر] : دخيلك يا هاران خـذ بيدي فقـد ترنحت . حتى نشق طريقنا بين هذه الجموع الثائرة . التي تتوعد إبراهيم بالويل والثبور .

[النمـروذ] : الآن الآن **(فـأتـوا بـه عـلى أعـين النـاس لعلهم يشهدون) :** أين القائد الأعلى للجيش ؟

[القائد] : (سجد للملك وقال) : ها أنا بين يديك يا مولاي .

[النمروذ] : الآن اقبض على إبراهيم . وكبله بالحديد والأغلال .

---

(١) كما يزعمون .

ولتُألف المحكمة من القاضيين الكبيرين للدولة . ومن كبيرة كاهنات المعبد . وليجتمع الشعب الثائر في هذه الساحة (**فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون**) .

[**القائد**] : أمرك يا مولاي . وها أنا ذاهب بنفسي لأقبض على إبراهيم . وانفذ الأوامر .

[**الراوي**] : (**وانطلق القائد والجنود الى بيت ابراهيم ليقبضوا عليه . وعلى أثرهم آزر وعائلته**) .

[**آزر**] : أسفاً عليك يا بني يا إبراهيم. تحديت السادة البعول ، وسخرت من كبيرهم مردوخ آله الآلهة .

[**هاران**] : إن اخي إبراهيم لم يستمع الى نصيحتي . ولو خرج معنا لرضيت عنه الآلهة وأطالت عمره . فهو الآن هالك لا محالة .

[**الراوي**] : (**وقبض الجنود على إبراهيم. وكبلوه بالحديد والأغلال . وساقوه الى أعماق السجون انتظاراً للمحاكمة**) .

[**سارة**] : (**ارتسم على وجهها الهلع**) : يا رب إبراهيم كن لإبراهيم .

[**لوط**] : أتعلمين ان إبراهيم مرسل من ربه ؟ يا خالة .

[**سارة**] : نعم . أشهد أنه من المرسلين .

[**لوط**] : ﴿ ومن يَقْنَطُ من رحمة ربه إلا الضالون ﴾ [1] ان ربه لن يتخلى عنه .

[**سارة**] : يا رب ابراهيم كن لأبراهيم .

فترة انتقال

[**اوريجالو**]: (**وقد رآى الجنود يسوقون ابراهيم فصرخ**): انصروا آلهتكم . انصروا آلهتكم . . .

[**لوط**] : ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا ، واليك المصير .

[**الراوي**] : (**وانعقدت المحكمة في ساحة المعبد . بإشراف النمروذ**

---

(١) الآية ٥٦ من سورة الحِجْر .

نفسه . ورآسة قاضيين كبيرين وكبيرة الكاهنات . وجلس النمروذ يحف به وزراؤه ورجـال الدين والدولة .

محاكمة ابراهيم العلنية

وجلس الشهود عن يمين المحكمة . والشعب ثائر على ابراهيم . وآزر وإيمتالي والعائلة في كرب عظيم . وبدأت المحاكمة العلنية. وتقدم للشهادة راجو وزاخو . وكأني بالمحاكمة تسير كما يلي :

[القاضي الأول] : الشاهد الأول . الكاهن راجو .

[راجو] : نعم .

[القاضي] : أقسم باليمين المعظم أن تقول الحق .

[راجو] : أقسم بمردوخ العظيم إلّه العدل أن أقول الحق .

[القاضي] : أتعلم أنه لو ثبت عليك الكذب بعد أداء اليمين لحكم عليك بالموت .

[راجو] : أعلم .

[القاضي] : حسن . قل لنا ما تعلم عن تحطيم آلهتنا . هل رأيت إبراهيم وهو يحطمها ؟

[راجو] : كلا . ولكن في أحد الأيام إذ كنت في المعبد جاء إبراهيم وقال لنا : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ قلنا له (وجدنا آباءنا لها عابدين) قال (لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين) .

[القاضي] : الشاهد الثاني : الكاهن زاخو .

[زاخو] : نعم . **(وكانت شهادته طبقاً للشاهد الأول) .**

(التشاور بين القضاة)

[القاضي] : هذه الشهادة لا تدين ابراهيم .

[القاضي] : عليَّ بابراهيم .

[الراوي] : **(فقام ابراهيم مهيباً . وتقدم رافع الرأس ثابت الخطى قوي الأعصاب حتى أن النمروذ اعتدل لرؤيته . ولاح في وجهه الاهتمام الشديد) .**

[**القاضي**] : أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم (**وأشار الى الحطام**) .

[**قال إبراهيم**] : (بل فعله كبيرهم [1] هذا) (**وأشار الى مردوخ**) (فاسألوهم إن كانوا ينطقون)

(**القضاة يتشاورون بصوت خافت**)

[**القاضي الأول**] : لقد صدق : إن مردوخ رب الأرباب كره أن يعبد معه غيره . ففعل ما فعل .

[**رئيسة الكهنة**] : إن ما يقول ابراهيم حق .

[**القاضي الثاني**] : إنكم انتم الظالمون . لأنكم تركتم المعبد بدون حارس .

[**القاضي الأول**] : كلا إن ابراهيم أراد خداعنا فطلب منا الرجوع الى الآلهة الصماء البكماء فهي لا تسمع ولا تبصر ولا تنطق . (**ثم التفت الى ابراهيم**) .

[**القاضي الأول**] : يا ابراهيم (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) .

[**قال إبراهيم**] : (افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم . أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) .

[**النمروذ**] : إن ابراهيم اعترف ضمناً بأنه محطم الأصنام . لعيبه لنا ولآلهتنا . فليمثل أمامي أناقشه الحساب .

[**الراوي**] : (**فتقدم إبراهيم الى النمروذ جليلاً مهيباً . ووقف منتصب القامة . ولم يركع كما يفعل القوم . فحقد عليه النمروذ . وانتاب آزر وايمتالي والعائلة الهلع، بيد أن لوطاً وسارة شعرا باعتزاز مغلف بالحزن**) .

[**النمروذ**] : ما هذه الفتنة التي أيقظتها. وما هذه النار التي أشعلتها. وهل تعرف إلهاً غيري. فأنا اصرف الأمور وأدبرها.

---

(١) هنا احسن الاجوبة . بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون . علق الجواب بالشرط . فانتفى الشرط وانتفى المشروط . وقوله فاسألوهم معترضة . فالعبارة صدق . أو ان قوله بل فعله الخ . اطلقه على سبيل التهكم . والتهكم إنشاء لا يحتمل الصدق والكذب .

فمن ربك الذي تدعو إليه يا إبراهيم؟ وهل هو أجدر مني بالعبادة .

[**قال إبراهيم**] : ربي رب السماوات والأرض الذي فطرهن . ربي الذي يحيي ويميت . فهو وحده الذي يعطي الحياة ويسلبها . وينشىء الخلق ويميته ثم يحييه للعرض والحساب.

[**النمروذ**] : انا أحيي وأميت .

[**قال ابراهيم**] : كيف أنت تحيي وتميت يا نمروذ؟

[**النمروذ**] : آخذ الرجلين قد استوجبا القتل في حكمي فأقتل أحدهما فأكون قد أمَتّه. وأعفو عن الآخر فأكون قد أحييته.

[**قال إبراهيم**] : (إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) .

[**الراوي**] : (**فبهت الذي كفر . ودهش وتحير ولم يبد جواباً وساد الصمت**) .

[**آزر**] : (**بصوت خافت**) : يا إيمتالي . . يا إيمتالي : لقد حكم إبراهيم على نفسه بالموت ، حطم الاصنام ، وسفه الأحلام ، وافحم الملك .

[**لوط**] : (**بصوت خافت**) : لقد أنتصر إبراهيم على الملك .

[**القاضي الأول**] : (**يصرخ**) : المحكمة برآسة النمروذ الملك الآله. بناء على أن ابراهيم حطم الاصنام ، وعاب الآلهة ، وسفه الأحلام ، وتطاول على الملك الاله؛ فالمحكمة تقول : (حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين)

[**اوريجاللو**] : وهذا حكم الكهنة (حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين)

[**الشعب**] : حرقوه حرقوه . . حرقوه حرقوه . .

[**النمروذ**] : مصدق . . وهذا حكم الملك الآله. إليَّ بالقرار حتى أوقعه .

[**الراوي**] : (**انهارت ايمتالي . وبكى آزر . وعلا الظلام وجوهَ العائلة . واقبل الجنود وقادوا إبراهيم الى أعماق السجون . وهوت سارة الى الأرض . ولوط يقول لها**) .

[**لوط**] : يا خالة : يا سارة : لا تقنطي من رحمة الله . لا تقنطي من رحمة الله . إن ابراهيم على الحق . وإن رب ابراهيم قادر على كل شيء . فهو قادر على نجاة ابراهيم .

نار إبراهيم برد وسلام

[**النمروذ**] : ضعوا إبراهيم في أعماق السجون . وابنوا له بنيان الاتون . والقوه في الجحيم . وعلى القائد الأعلى تنفيذ الاوامر .

[**القائد الأعلى**] : (**صرخ**) هيا يا بناؤون . ابنوا حظيرة نار ابراهيم . وعلى جميع الشعب جمع الحطب . .

انتقال

[**صبحة**] : يا وضحة هيا بنا لنحتطب لنار ابراهيم لترضى عنا عشتار والآلهة الكرام .

[**وضحة**] : أمرك يا صبحة . وانا غزلت بثلاث شاقلات . وسأشتري بهن حطباً لنار إبراهيم.

[**نورا**] : انذر لك يا مردوخ إن شفيت لي ولدي (تارح) لأحتطبن لنار إبراهيم.

[**راجو**] : يا زاخو تعال معي نقطع الحطب من بستاني لنار إبراهيم.

انتقال

[**النمروذ**] : هل تم بناء الحظيرة وإملاؤها حطباً يا قائد الجند ؟

[**القائد**] : نعم : كل ما امرت به يا مولاي قد تم .

[**النمروذ**] : ألا فليجتمع الشعب ، وليشهد الانتقام . وها أنا سأحضر الانتقام بنفسي انتصاراً للآلهة العظام .

أضرموا النار . . أضرموا النار . . .

[**الراوي**] : **(ثم اشعلوا النار فاندلعت ألسِنة اللهب الى السماء حتى كاد الطير من شدة وهجها يحترق . وصارت جحيماً تشوي الوجوه . وتحيَّروا كيف يقذفون إبراهيم في النار فهُدُوا الى صنع المنجنيق . واشرف**

النمروذ على الحرق بنفسه . وجيء بإبراهيم من سجنه مقيداً بالحبال مغلولاً بالاغلال فضج المكان بهتافات السخط والوعيد من الشعب . والاشفاق من آل إبراهيم).

[النمروذ] : ضعوا إبراهيم في المنجنيق، واقذفوه في الجحيم .

[اوريجاللو] : حرقوه وانصروا آلهتكم . . حرقوه وانصروا آلهتكم . .

[الشعب] : **(بأصوات جماعية)** حرقوه . . حرقوه . .

[آزر] : آه . . آه . . آه . .

[ايمتالي] : ولداه . . ولداه . . ولداه . .

[سارة] : إمسكني يا لوط . . إمسكني يا لوط فقد ناءت بي قدماي .

[لوط] : ثقي بالله يا خالة . حسبنا الله ونعم الوكيل . حسبنا الله ونعم الوكيل .

[إبراهيم] : حسبي الله ونعم الوكيل . . حسبي الله ونعم الوكيل . لا إله إلا انت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك .

[جبريل] : **(بصوت كالصدى)** هل لك حاجة يا إبراهيم ؟

[قال إبراهيم]: أما منك فلا.

[جبريل] : إذاً سل ربك يا إبراهيم.

[قال إبراهيم] : حسبي عن سؤالي علمه بحالي . حسبيَ الله ونعم الوكيل .

[الراوي] : **(ثم وضع ابراهيم في المنجنيق واطلق في الهواء فوقع في الجحيم. فضاعت أنّات آل إبراهيم في صيحات الفرح والانتقام من قبل الشعب) .**

[المنادي من قبل الله تعالى يقول] : ﴿ يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ .

[الراوي] : **(ومرت الساعات والسنة اللهب تتراقص ثم أخذت تخف رويداً رويداً . واقترب لوجال : من الجحيم ينظر . فأسلم وصاح في فزع) .**

[**لوجال**] : يالله . . يا الله : رأيت إبراهيم حياً في النار . رأيت إبراهيم حياً في النار . بثيابه لم يحترق منه إلا الوثاق .

[**لوط**] : (**يصرخ**) يا لها من آية . . يا لها من آية : إبراهيم حيٌّ في النار . ابراهيم حيٌّ في النار . طلبوا منه آية فهذه أعظم آية عرفها الإنسان .

[**سارة وايمتالي**] : إبراهيم حيٌّ في النار . ابراهيم حي في النار (**يزغردن**)

[**لوجال**] : يا راجو يا زاخو : رأيت إبراهيم حياً في النار .

[**الراوي**] : (**وضج الشعب بحياة ابراهيم . وسرىٰ الخبر سريان النار في الهشيم** .) .

[**النمروذ**] : أإبراهيم حي في النار ؟ أنا لا أصدق . أنا لا أصدق . النار تحرق الطير في كبد السماء فلا تقوى على حرق ابراهيم . انا لا أصدق حتى انظر بعيني .

[**النمروذ**] : (**اقترب من النار ونظر من أعلى البرج فقال**) ومردوخ إن ابراهيم حي جالس في روضة في كبد النار . فيها الورود والرياحين . وهناك رجل مثله في الشبه يحادثه وكأنهما في فسحة .

[**النمروذ**] : (**صرخ**)يا إبراهيم . . يا إبراهيم .

[**قال إبراهيم**] : نعم .

[**النمروذ**] : إن إلهك لعظيم . بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار .

[**قال إبراهيم**] : نعم وإنه لأعظم من كل عظيم وأقدر من كل قادر . جبار السماوات والأرض يفعل ما يشاء وينفّذ ما يريد .

[**النمروذ**] : هل تستطيع أن تخرج من النار وتقبل إليّ؟

[**قال إبراهيم**] : نعم : وها أنا خارج باذن الله الواحد القهار . إن ربي قال للنار : يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم .

[**قال إبراهيم**] : حسبيَ الله ونعم الوكيل . حسبيَ الله ونعم الوكيل (**وما زال يكررها حتى دنا من النمروذ**) .

[**النمروذ**] : إني مقرب إلى إلهك قرباناً يا إبراهيم . لما رأيت من قدرته وعزته . واني ذابح له أربعة آلاف بقرة.

[**قال ابراهيم**] : لا يقبل الله منك ما دمت على دينك . حتى تدخل في دين الله عز وجل .

[**النمروذ**] : لا استطيع ترك ملكي . ولكن سأذبحها لألهك . وعليك الأمان يا ابراهيم .

الله :

هو أولٌ هو آخر هو باطنٌ هو ظاهرُ
هو واحدٌ هو مالك هو عالمٌ هو قادرُ
هو خالقٌ هو رازق هو عادلٌ هو آمرُ
هو محسن متفضل هو راحم هو غافرُ

الحلقة الثالثة عشرة

هجرة ابراهيم عليه السلام بعد الآية العظمى

« إبراهيم بعد الآية العظمى »

[الراوي] : (خرج إبراهيم عليه السلام من النار مرفوع الرأس ثابت الجنان . وقد هانت في عينيه قوى الأرض جميعاً . وراح النمروذ الذي يخر الناس سجداً تحت قدميه يقلب نظره في إبراهيم . بعد أن هبت عليه ريحُ الخوف . فذاك الخارج من النار عليه هيبة وجلال وإشراقة تعنو لها الجباه . فقد أسلم كثير من المستضعفين والعبيد . وكتموا إيمانهم . واعلن الكثير إيمانهم . منهم لوط وساره . (فكأن الاحداث تسير كما يلي)

[أوريجاللو] : أيها الملك الإله . لا يهمنك خروج إبراهيم سالماً من النار . هذا سحر يؤثر . هذا سحر يستمر . هذا سحر مبين .

[النمروذ] : سر يا إبراهيم الى بيتك عليك الأمان . وإن غادرت هذه المدينة أكون لك من الشاكرين .

[الراوي] : (عاد آل إبراهيم الى بيوتهم يحفون إبراهيم بالفرح والسرور . ونشط ابراهيم ولوط وساره بالدعوة الى الله عز وجل . ولكن الشيطان والحسد يوغران كثيراً من الصدور) .

[**لوط**] : يا جدي يا آزر . يا جدتي يا إيمتالي ويا أبي ويا عمي : إننا سعداء بعمي إبراهيم. صاحب الآية العظمى. فينبغي أن نؤمن بالله وبابراهيم نبي الله. ونؤازره في نشر دعوته فنكون أوفر الناس به حظاً.

[**هاران**][1] : لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي إبراهيم . .

[**هاران**] : يا ابتاه . إن مردوخ هو رب الارباب[2] وإله الآلهة. وهو قادر على أن يجعل النار علي برداً وسلاماً كما جعل رب ابراهيم النار برداً وسلاماً على ابراهيم . وها أنا مؤجج ناراً ومقتحمها وطالب النجاة من مردوخ .

[**إيمتالي**]: إياك يا بنيَّ يا هاران أن تفعل لعل مردوخاً لا يرضى بهذا العمل . أو كان منشغلا عنك ببعض شؤونه .

[**هاران**] : مردوخ أقوى من ذلك . لا بد من أن القي نفسي في النار . ويحميني مردوخ .

[**آزر**] : دع عنك هذا يا هاران .

[**الراوي**] : **(ثم ذهب هاران في جنح الليل الى مكان قفر . وجمع حطباً واشعل فيه النار . ودعى الآلهة والقى بنفسه في النار . فلسعته واشتعل بثيابه . وجعل يعوي عويّ الكلاب ويصرخ حتى فاضت روحه الى النار . ولم تقو إيمتالي على تحمل هذه الفاجعة ففارقت الحياة . وظل ابراهيم وفياً لوالده فضمه لعائلته رغم إصرار آزر على كفره)** .

[**الراوي**] : فأقام إبراهيم عليه السلام بعد معجزة النجاة من النار في أور[3] هو والذين آمنوا معه ما شاء الله أن يقيموا وكانوا أثقل شيء على النمروذ . وهو يتربص بهم الدوائر . وينتظر أن تحين الفرصة للانتقام . فضاقت نفس إبراهيم . فدعى الله تعالى وقال : اللهم اخرجنا من هذه القرية الظالمي أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً .

---

(١) والد لوط واخو ابراهيم .

(٢) اي كما يزعمون .

(٣) اور وتدعى فدام آرام كما تقدم .

فأذن الله له في الهجرة . فآذن لوطاً والمؤمنين[1] واستعدوا للسفر . (**فكأن أحداث الهجرة كانت كما يلي**) :

[**ملكة**][2]: أراك منهمكاً يا بني يا لوط في تحضير أمتعة تشبه أمتعة السفر .

[**لوط**] : نعم : إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم .

[**ملكة**] : يا بني يا لوط : لقد ذهب أبوك هاران الى الأرض التي لا رجعة منها . وأنت تتركني وتهاجر .

[**لوط**] : أزمع عمي إبراهيم على الهجرة يا أماه . وإني معه من المهاجرين . فأدعوك إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له وأن تهاجري معي . وإن بقيت على عبادة الاصنام فانا بريء منك ومما تعبدين من دون الله .

فترة انتقال

[**ما لي أراك يا ابراهيم تتهيء للسفر ؟**

[**قال إبراهيم**] : إني مهاجر الى ربي إنه هو العزيز الحكيم .

[**آزر**] : يابني احملني معك . فلم أعد أطيق الوحدة . فهذه أمك إيمتالي قد ماتت. ولحقت أخاك هاران. وإن القوم ينظرون إليَّ نظرة الازدراء والاحتقار .

[**قال إبراهيم**] : يا أبت : أحملك معي على الرحب والسعة . ولعل الله أن يهديَكَ للاسلام . يا أبت آمن برب السماوات والأرض وما بينهما تكن من السعداء في الدنيا والآخرة .

[**آزر**] : سؤومِنُ لك يا إبراهيم . خذني معك .

[**قال إبراهيم**] : (**في فرح**) : قل يا أبت اشهد أن لا إله إلا الله وأن إبراهيم عبده ورسوله .

[**آزر**] : هذه الآن ثقيلةٌ على لساني ولعلها تخف . يا بني : ألم تقل

---

(١) اكثر أتباع ابراهيم عليه السلام كانوا من المستضعفين والعبيد . آمنوا بالله رباً وبابراهيم نبياً . ووهبوا أنفسهم لأبراهيم .

(٢) هي ملكة بنت هاران بن ناحور أخت سارة وام لوط بن هاران بن آزر .

لي سأستغفر لك ربي . إنه كان بي حفِيّاً؟[1].

[قال إبراهيم]: نعم يا أبتاه سأستغفر لك ربي. وما أملك لك من الله من شيء.

[قارىء] : ﴿ رب هب لي حكماً والحقني بالصالحين[2] * واجعل لي لسان صدق في الآخِرين * واجعلني من ورثة جنة النعيم * واغفر لأبي إنه كان من الضالين * ولا تخزني يوم يبعثون * يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾[2] .

[الراوي]: وقام إبراهيم يصلي في المحراب. ويدعو الله أن يُسلم أبوه. وذلك أحب شيء إلى نفسه. وحمل أباه رغم كفره. ثم سارت أول قافلة للمهاجرين في سبيل الله . حيث يشاء الله . يقلون الخيام ويسوقون الانعام .

قافلة الإيمان تسير في البلاد

[الراوي] : وهكذا كانوا يسيرون سير الرعاة . يقفون للصلاة والطعام والراحة حتى حطوا عصا الترحال في حاران[4] ونصبوا خيامهم في ساحة واسعة قريباً من المدينة على طريق القوافل المنطلقة بتجارة بابل الى الشام والحجاز ومصر والعائدة اليها بخيرات تلك الاقاليم . وكان إبراهيم عليه السلام إذا جن الليل يوقد ناراً يدعو بها الضيفان الى طعامه . فلم يأكل وحده مذ خرج من أور الكلدانيين . ويدعو كل من نزل بخيامه إلى الله عز وجل . فمضافته مضافة الدعوة إلى الله **(وكأني بالأحداث تسير كما يلي)** .

[قال إبراهيم] : آذن يا لوط للصلاة .

[لوط] : الصلاة الصلاة يا عباد الله .

---

(١) حفي به: بالغ في اكرامه وإلطافه والعناية بأمره .

(٢) الآيات ٨٣ ـ ٨٩ من سورة الشعراء.

(٣) حكماً: كمالاً في العلم والعمل استحق به خلافة الحق. ورياسة الخلق. أو قوة أستطيع بها تبليغ رسالة الله .

(٤) وهي بلدة قرب سروج وأرفة شمال الفرات . وتعرف الآن حران . وهي غير حران العواميد طبعاً التي بحرج دمشق .

[مشهد] : (وقاموا للصلاة واصطفوا جميعاً خلف إبراهيم عليه السلام إلا آزر انتبذ مكانا قصياً . وانتهز فرصة قيامهم للصلاة وانطلق الى المدينة يسعىٰ يسأل عن معبد مردوخ ونانا وسين وعشتار . إلى أن عثر على المعبد فاندمج مع عبدة الأصنام) .

[قال إبراهيم] : يا سرور (رئيس العبيد)

[سرور] : لبيك يا خليل الرحمن .

[قال ابراهيم] : قم مع العبيد في رعي المواشي ولا تغفلوا عن ذكر الله عز وجل وعن الصلاة .

[سرور] : أمرك مطاع يا خليل الرحمن .

[قال إبراهيم] : وأنت يا سارة عليك برعاية النساء والأطفال . والأشراف على تجهيز الطعام . وأنت يا لوط سر بنا الى مجامع الناس ندعو إلى الله عز وجل .

[لوط] : أمرك مطاع يا خليل الرحمن .

[ابراهيم] : (ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير . ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم) .

[مشهد] : (ودخل إبراهيم ولوط معبد مردوخ وسين وعشتار فوجدوا الناس ركعاً لمردوخ ووجد أباه آزر مع الراكعين) .

[قال إبراهيم] : يا قوم ماذا تعبدون . أإفكاً آلهة دون الله تريدون. فما ظنكم برب العالمين. يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تعقلون .

[كبير الكهنة] : هذه الآلهة وجدنا آباءنا لها عابدين . وإنّا لا نعبد إلا ما عبد الآباء والأجداد .

[قال إبراهيم] : لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين . اتعبدون ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنكم من الله شيئاً .

[كبير الكهنة] : يا قوم : هذا هو إبراهيم الذي حدثتكم عنه بأنه يريد أن يجعل الآلهة إلهاً واحداً وحطم الأصنام ونجىٰ من النار بسحره . وتحدى النمروذ الملك الإله. وتطاول عليه . والآن قد أتى إليكم ليفتنكم عن

دينكم . فإياكم أن تركنوا إليه .

[**الشعب**] : كلا لا نترك مردوخ ولا سين . . اقتلوا عدو الآلهة . وانصروا آلهتكم .

[**قال إبراهيم ولوط**] : ﴿إنا برُآء منكم ومما تعبدون من دون الله . كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوةُ والبغضاء ابداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾

[**قال إبراهيم**] : يا رب العالمين : إني بريء من أبي . إني بريء من عمل أبي . إني بريء من المشركين أجمعين . رب من اتبعني فانه مني . ومن عصاني فانك غفور رحيم .

فترة انتقال

[**قال إبراهيم**] : يا سارة أين أبي لم أجده في خيمته ؟

[**سارة**] : ها هوَمُمدَّد في ظل الخيمة يعاني من مرض أصابه فجأة .

[**إبراهيم**] : (يسير إليه إبراهيم ويقول) معافى يا أبي ماذا تشكو ؟

[**آزر**] : اشكو جميع جسدي .

[**قال إبراهيم**] : يا أبتِ: هذه الدنيا لا تدوم لأحد من العالمين . فاختم حياتك بالسعادة الأبدية . آمن بالله عزّ وجلّ تكن من السعداء في الدنيا والآخر .

[**آزر**] : (يغير الحديث ويقول) : ليتني أرى أخاك ناحور يا إبراهيم[1].

إبراهيم عليه السلام في حاران

[**قال إبراهيم**] : أخي ناحور آمن بالله تعالى رباً . وبي رسولاً . واعتذر عن الهجرة . فآمن أنت يا أبي .

[**مشهد**] : **(ثم اشتد بآزر مرضه ومات وهو عدو لله ورسوله)**

[**قارىء**] : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو

---

(١) ناحور بن آزر بن ناحور شقيق ابراهيم اسلم معه ولم يهاجر محافظة على أمواله ومن نسله كانت رفقة زوجة نبي الله اسحاق وراحيل ام يوسف عليهما السلام . فرفقة بنت بتوئيل ابن ناحور بن آزر وراحيل بنت لابان بن بتوئيل .

كانوا أولي قربىٰ من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم * وما كان استغفار ابراهيم لابيه إلا عن موعدة وعدها إياه . فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه . إن إبراهيم لأواه حليم * ﴾[1] .

إنتقال

[الراوي] : (تقاطرت الناس من القوافل القادمة إلى حاران على خيام إبراهيم . فكان إبراهيم وعبيده يقدمون لهم الطعام والشراب . ودارت الأحاديث عن البلاد التي وفدوا منها . فراح كل منهم يروي عجائب ما شاهد في تلك البلاد . فكانت مضافة إبراهيم كما يلي) :

(ندوة في خيام إبراهيم)

[أبو فاتح] : إني يا أيها الربع قادم من وادي النيل من بلاد العجائب . فيها الاهرام الشامخة . وأبو الهول الجاثم . ومعابدها الكثيرة . قريبة الشبه بمعابد بابل .

[أبو الربيع] : ماذا يعبد المصريون يا أبا فاتح يا مبارك ؟

أبو فاتح][1] : يعبد المصريون آلهة كثيرة يا أبا ربيع .

[أبو ربيع][2] : أيعبدون مردوخ وشماس وعشتار ونانا كأهل بابل .

[أبو فاتح] : كلا . بل يعبدون رع وأزريس ورمسيس وتوت وأمون .

[أبو سعد][3] : شيء عجيب يا هالربع إني قادم من الحجاز . وقد نزلت بواد غير ذي زرع لاستريح . فقابلت رجلاً كبير السن عرفت أنه من الصابئة . قال لي أنه كان في ذلك الوادي بيت مقدس بناه أبونا آدم عليه السلام للعبادة . ثم جدده إدريس ثم أتى عليه الطوفان فجدده نوح ثم جرفته

---

(١) الآيتان ١١٣ ـ ١١٤ من سورة التوبة .

(٢) ابو الربيع من دمشق وابو سعد من الحجاز وابو فاتح من مصر .

(٣) من مصر .

(٤) من دمشق .

(٥) من الحجاز .

السيول . فسألته من هذا إدريس ؟ فقال هو أول من خط في القلم . وأول من خاط الثياب ولبس المخيط . وأول من علّم الناس الزراعة . وأول من نظر في علم النجوم والحساب . وأنه جاء بالقوانين من السماء . ثم رُفع هو إلى السماء .

[**أبو فاتح**] : قد يكون إزريس الذي يعبده المصريون هو نفس إدريس الذي ذكرته يا أبا سعد . قد علمنا من الأساطير أن ازريس دعا في مدينة ضف في مصر إلى عبادة إلّه واحد هو في السماء .

[**أبو ربيع**]: إنها أساطير تنسجها خيالات الناس ثم يستغلها الكهان.

[**أبو سعد**] : لا يمكن أن ينسج شيء من لا شيء . لا بد من أن يكون لهذه الأساطير أصل من الأصول .

[**الراوي**] : **(كان إبراهيم عليه السلام يقدم للقوم الطعام والشراب واللبن . ولكنه كان يصغي لحديثهم فعلم أنهم على علم . وقد وسعت الرحلات مداركهم فقال)** :

[**قال إبراهيم**] : يا قوم : إن إدريس كان صدّيقاً نبياً . أرسله الله لهداية الناس .

[**أبو ربيع**] : من هذا (الله) يا شيخنا المبارك . فإني كثيراً ما اسمع هذا الاسم ولكني لم أقف على حقيقته .

[**قال إبراهيم**] : الله : هو الذي فطر السماوات والأرض . وهو الذي خلق وبسط الرزق . وهو معكم أينما كنتم . فيا قوم نصحة لله اعبدوا الله ما لكم من إلّه غيره إني لكم منه نذير مبين . قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

[**الراوي**] : **(وانبرى إبراهيم يحدثهم بلسان طلق مبين . وقلب ممتلىء إيماناً . ويعرفهم بالله عز وجل وما أعد لأهل طاعته من النعيم المقيم . ولأهل معصيته من العذاب الأليم)** .

[**أبو سعد**] : آمنت بالله رب العالمين . آمنت برب إدريس ورب إبراهيم . واسلمت وجهي لله رب العالمين . يا نبي الله . إني في سعة من العيش وما تناولت طعاماً إلا بثمن . فما ثمن طعامك ؟

[قال إبراهيم]: ثمنه أن تذكر اسم الله في أوّله وتحمده في آخره.

[أبو سعد] : الحمد لله رب العالمين .

فترة انتقال

[الراوي] : (وأصبح الصباح وقاموا الى الصلاة . ثم انتشر الناس في الأرض . وراح الرجال والعبيد يرعون الانعام . والنساء يصلحن الطعام . فلما جن الليل . وقضيت الصلاة اضرم إبراهيم النار كعادته . ليدعو الناس وأبناء السبيل الى طعامه. وكانت تلك الليلة باردة. فلم يأته أحد من الأضياف . فلمح شيخاً يتكىء على عصا . فقال) .

[قال إبراهيم] : تفضل أيها الشيخ فاجبر بخاطرنا وكل من زادنا .

[الشيخ] : أمرك : وإني لجائع . تعب . أضَرَّ بي البرد . هل من ماء أزيل به وعثاء السفر .

[قال إبراهيم] : هذا الماء حاضر ساخن .

[ساره] : ها هو الطعام جاهز يا نبي الله .

[قال إبراهيم]: تفضل أيها الشيخ سم الله وكل.

[الشيخ] : من هذا الله الذي أنت نبيه . وتأمرني أن أذكر اسمه قبل الطعام ؟

[قال إبراهيم] : الله الذي خلق السماوات والأرض . وخلق الخلق وأفاض الرزق .

[الشيخ]: أنا لا أعبد إلا النار ولا أذكر إلا اسم النار والنور. والظل والحرور.

[قال إبراهيم] : إن الماء يطفىء النار . فاعبد الذي خلق الماء والنار . وهو الله الواحد القهار .

[الشيخ] : كلا أنا لا أعبد إلا النار .

[الراوي] : (وقام الشيخ وسجد للنار التي في الخيمة فغضب إبراهيم لله وقال) :

[قال إبراهيم] : اخرج من خيمتي أيها الشيخ فانه لا يعبد فيها إلا الله .

[**الشيخ**] : وها أنا خارج . آسف مكسوف .

[**الراوي**] : (**فهبط جبريل عليه السلام قائلاً**) : يا إبراهيم ربك يقرئك السلام ويقول لك . إن هذا الشيخ رزقه ربك مائة سنة وهو يعبد النار . وأنت لم تحمله ساعة .

[**قال إبراهيم**] : استغفر الله العظيم . إني ثبت اليك يا رب العالمين . (وصرخ) إلي أيها الشيخ إلي أيها الشيخ فقد عاتبني فيك ربي . تفضل وكل من زادي . واسترح في ضيافة الله وأنت غير مكره على دين .

[**الشيخ**] : **طالما أن الله عاتبك من أجلي فانا على دينك . آمنت بالله رب العالمين .**

[**الراوي**] : (**وهكذا كانت مضافة إبراهيم . يدعو فيها إلى رب العالمين . يدعو إلى دين لا يفرق بين الحر والعبد ولا بين الغني والفقير . فاتبع ابراهيم بعض المستضعفين والعبيد . فاحس رجال الاصنام بالخطر يهددهم بانقطاع موارد الرزق . فراحو يشيعون أن هذا الساحر المطرود من أور يريد أن يتعالى على الناس بسحره وكذبه . فبيت القوم الغدر بابراهيم والذين معه . فاوحى الله اليه أن أسرِ بأهلك والذي معك إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين . فتحركت قافلة الإيمان كما يلي**) :

[**قال إبراهيم**] : اركبوا يا عباد الله . وسوقوا الانعام الى الشام التي بارك الله فيها للعالمين . بسم الله ما شاء الله .

[**قال إبراهيم**] : هذه هي مخاضة العبور الى الأرض التي بارك الله فيها للعالمين . فاعبروا الفرات عباد الله في حراسة الله .

(**وعبرت القافلة النهر بمواشيها وأنعامها وسارت في رحاب الله**)

قصيدة لسان حال إبراهيم

يا رب هيّء لنا من أمرنا رشدا ... واجعل معونتك العظمى لنا سندا
ولا تكلنا إلى تدبير أنفسنا ... فالنفس تعجز عن إصلاح ما فسدا
أنت العليم وقد وجهت يا أملي ... إلى رجائك وجهاً سائلاً ويدا
وللرجاء ثواب أنت تعلمه ... فاجعل ثوابي دوام العون لي أبدا

الحلقة الرابعة عشرة

هجـرة ابراهيم عليـه السلام
الى الشـام الأرض المباركـة ورحلته الى مصر

« سيدنا الخليل في حلب »

[الراوي] : (سارت القافلة في سهول الشام . ثم نزلت تستريح فجاء الرجال والنساء والأولاد لينظروا ما تحمل معها هذه القبيلة المسافرة . فأمر الخليل أن تحلب الأبقار والأغنام وان يوزع اللبن على أهل المنطقة . وكان بين الأبقار بقرة شهباء [1] لبون يحلبها الخليل بيده فتدر ما شاء الله أن تدر ويسقي من لبنها كل وارد لوجه الله . فأطلقوا على ذلك المكان حلب الشهباء . فكأني بهم كهذا المشهد) .

[سرور والعبيد] : اهلاً وسهلاً بـالضيوف . اللبن . . اللبن . . اللبن .

[فتاة] : كم ثمن هذا اللبن يا شيخ .

[قال إبراهيم] : ثمنه أن تقولي : لا إله إلا الله .

---

(١) الشهبة: في الألوان البياض الغالب على السواد.

[**سرور والعبيد**] : اذكر الله يا ولد وخذ اللبن . اللبن اللبن . . مجاناً بذكر الله اللبن . .

فترة

[**الراوي**] : (**ثم واصلت القافلة سيرها تقطع السهول والجبال والوديان حتى استراحت في برزة**[1] **ما شاء الله أن تستريح . وكانت الدعوة إلى الله مستمرةً في كل مكان تنزل فيه القافلة . وكان الناس مجتمعين في سفح الجبل لعيد لهم . فقام إبراهيم عليه السلام للصلاة واصطف الرجال والنساء خلفه . فلفتت صلاتهم نظر شاب من دمشق يدعى (اليعازر الدمشقي)** [2] **فكانت المحاورة الآتية :**

[**اليعازر الدمشقي**] : يا شب . يا شب .

[**لوط**] : نعم :

[**اليعازر**] : ما اسم حضرتك . وما اسم هذا الشيخ الجليل .

[**لوط**]: انا لوط بن هاران بن آزر. وهذا الشيخ عمي ابراهيم ابن آزر، وهو نبي الله، ارسله الله لهداية الخلق.

[**اليعازر**] : (**التفت الى ابراهيم**) : حدثنا يا إبراهيم لمن تصلون . وليس أمامكم صنم ولا وثن ولا تمثال .

[**قال إبراهيم**] : إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين : هو رب السماوات والأرض وخالقهن . هو الذي انزل من السماء ماءً فأخرج به من كل الثمرات رزقاً لنا . وسخَّر لنا الشمس والقمر . والنجوم مسخرات بأمره . فاعبدوه ووحدوه إني لكم منه نذير مبين : (**ثم تحدث عن الله عز وجل بحديث يزخر بالايمان فيؤثر التأثير العميق**) .

[**اليعازر**] : (**أقبل على ابراهيم والدموع تجري على خديه**) : اشهد أنْ لا آله إلا الله وأنَّ إبراهيم عبده ورسوله . يا نبي الله اقبلني أن أكون من جملة عبيدك . واسير معك حيث سرت .

[**قال إبراهيم**] : بل أنت رئيس العبيد .

---

(١) قرية في سفح جبل قاسيون تشرف على دمشق .

(٢) اليعازر الدمشقي ورد ذكره في التوراة .

[**الراوي**] : (ثم دخل ابراهيم ولوط واليعازر مدينة دمشق . ودعوا إلى الله فيها ما شاء الله أن يدعوا . ثم آذن ابراهيم بالرحيل . وانضم إلى القافلة اليعازر الدمشقي وكثير ممن آمن بابراهيم . وسارت القافلة في سبيل الله تقطع السهول والجبال والوديان حتى حطت عصا الترحال في بيت إيل[1] وكان أتباع ابراهيم عليه السلام الفاً أو يزيدون).

رحلة خليل الرحمن الى مصر

[**قال ابراهيم**] : هنا مقامنا . هذا بيت إيل بيت الله عز وجل . فانصبوا الخيام يا عباد الله . حتى ندعو ضيوف الله الى رزق الله . انت يا سرور أشرف على الرعاة . وأنت يا اليعازر اشرف على المخيم . وها أنا أقوم يساعدني لوط ببناء محراب على قمة هذا الجبل. يشرف على البر والبحر. ليذكر فيه اسم الله ويسجد فيه المؤمنون لله عزّ وجل.

[**الراوي**] : نظر الكنعانيون[2] فرأوا قبيلة عظيمة . بها رجال اشداءُ مسلحون . قبيلة لا قبل لهم بها جاءت تزاحمهم على مراعيهم . فسكتوا على مضض . ولكن إبراهيم والذين معه لم تكن مهمتهم المراعي والأنعام . ولا المواشي والحطام . بل كانت الدعوة الى الله عز وجل . فدعى ابراهيم الكنعانيين الى عبادة الله وحده . ونبذ الأصنام والأوثان . فثارت ثائرتهم . وراحوا يستنجدون بفرعون مصر لدفع الخطر عن آلهتهم[3] فجرت الأحداث كما يلي :

[**كنعان**] : يا آشر ويا رحمون[5] :

أرضيتم أن نترك ابراهيم يسفه أحلامنا، ويُعيب آلهتنا، ونحن في حماية فرعون سنان ابن الأشل بن عبيد ؟

[**آشر**] : كلا لا نرضى . فأرى أن نُبَلِّغ مولانا الملك عن هذه

---

(١) هي ايلات القدس اطلق عليها الصابئة بيت ايل اي بيت الله .

(٢) هم سكان فلسطين من العرب العرباء .

(٣) كانت ايلات اذ ذاك تابعة لملك مصر .

(٤) كان من العرب العمالقة . وهو غير فرعون يوسف وغير فرعون موسى .

القبيلة التي اتت من أور . بدين جديد يدعو إلى آله واحد له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما .

[**رحمون**] : تجهزوا وسيروا بنا الى مصر . نحمل الهدايا إلى الملك ونستصرخه بأن مدينة الصائبة أصبحت مهددة باستيلاء إبراهيم عليها .

[**الراوي**] : (**خرج رسل الكنعانيين من إيلات ، بيت الله يحملون الهدايا ، حتى بلغوا أواريس**[1] **ووقفوا أمام قصر سنان بن الأشل فرعون مصر**[2]**، فقابلهم رئيس الحرس**) .

[**رئيس الحرس**] : من انتم وما غايتكم ؟

[**كنعان**] : نحن عبيد فرعون . قادمون من كنعان لمقابلة مولانا الملك، له الحياة والسعادة والصحة، نلتمس من جلالته أن ينقذنا من قوم نزلوا بأرضنا . يريدون أن يفتنونا عن ديننا ويحملونا على نبذ أصنامنا . ويحرضونا على شق عصا الطاعة لمولانا فرعون .

[**الراوي**] : « **فاذن لهم بالدخول فدخلوا على فرعون . وما أن لاح لهم الملك حتى خروا له ساجدين** » .

[**الملك**] : ارفعوا رؤوسكم . وليتقدم الناطق بلسانكم .

[**كنعان**] : (**القى بين يدي فرعون خطبة رنانة . تنم عن التبجيل والاحترام ثم قال**)[3] : بارض عبيد مولانا قوم من البدو . أطمعهم كرمنا فينا . نزلوا الديار وأكلوا الثمار . ورعوا المراعي . ولم يكتفوا بذلك . بل طعنوا في آلهتنا وسفهوا أحلامنا . وقالوا ليس (بعلٌ وعَنَتُ وستٌ وسين)[4] إلا أصناماً لا تضر ولا تنفع . ولا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً .

---

(١) وجهاء الكنعانيين .

(٢) هي مدينة قديمة في مصر .

(٣) كان من كلام كنعان وخطبته : يا من انت مولانا . يا من يجري كل شيء كما يشاء قلبك ويهوى . أي شيء ذلك الذي لم تحط به خبراً ؟ فما من شأن أبرم دون علمك ، ويا من كلماته تطاع وتجلب السعادة والخير . فرعون : لقد سررنا جلالتنا سروراً كبيراً . بما تقول . لأنك تفهم كيف تقول . فالتمس ما تشاء لتقضي جلالتنا لك حاجتك .

(٤) هذه اصنام كان يعبدها الكنعانيون .

وادهى من ذلك وأمرّ؛ لقد حرضونا على شق عصا الطاعة لمولانا الملك دامت له السعادة والعز .

[**كبير الكهنة**] : إن سمح لي مولاي . .

[**فرعون**] : تفضل .

[**كبير الكهنة**] : ما هي دعواهم يا كنعان ؟

[**كنعان**] : دعواهم أن لا إله الا الله ربهم ورب العالمين .

[**فرعون**] : (**ضحك ملءَ شدقيه وقال**) : أجعلوا الآلهة إلهاً واحداً .

[**كبير الكهنة**] : ما اسم رئيس هذه القبيلة ؟

[**كنعان**] : هو إبراهيم بن آزر بن ناحور . من فدام آرام . من بابل .

[**كبير الكهنة**] : (أوه) إنه ساحر كبير مشهور . ألقاه نمروذ ابن كنعان في النار وهي تتلظى . فخرج منها بسحره وثيابه تتندى . فلم تحرق النار إلا وثاقه .

[**فرعون**] : إني سمعت بهذا الرجل . وكم كنت أتمنى أن أرى وجهه .

[**كبير الكهنة**] : يا آل كنعان : لا يهمنكم شأنه . فقد نصرتم . سيرى مولانا الملك فيه رأيه .

« وعاد الوفد بخفي حنين »

فترة انتقال .

[الراوي] : (وأقام إبراهيم عليه السلام يدعو إلى الله على بصيرة ما شاء الله أن يدعو. وإن مخيمه مضافة للسائل المحروم وابن السبيل ومركز للدعاية الى الله عز وجل . وقد حدث انحباس الأمطار عن فلسطين . فشح البر . فخشي ابراهيم العجز في مضافته . فذهب الى مصر ليمتار [1] فكانت الاحداث كما يلي) :

---

(١) الميرة: هي الحبوب للطعام.

[**اليعازر** [1]] : يا نبي الله نفذت الحبوب ولم يبق عندنا شيء لطبخ الثريد.

[**قال إبراهيم**] : رزق الله كثير. اشرف يا اليعازر على الرجال والعبيد. واتقوا الله عز وجل. وانت يا لوط سر بنا لنذهب الى مصر لنتمار لقومنا. وندعو الى الله ما استطعنا لذلك سبيلاً.

[**لوط**] : أمرك مطاع يا نبي الله.

[**سارة**] : (**تعلقت في جبة إبراهيم في دلال**) : خذني معك يا نبي الله. فاني مشتاقة الى رؤية مصر بلد العجائب والنظر الى الأهرام وابي الهول.

[**قال إبراهيم**] : سيري معنا يا سارة على الرحب والسعة.

[**الراوي**] : (وهكذا ذهبوا الى مصر بقصد الميرة والدعوة الى الله عز وجل إن سنحت الفرص. ولكن لأمر يريده الله حدث ما ليس بالحسبان. وهو أن فرعون مصر [2] بث زبانيته ليستصفوا له أجمل النساء فما إن وطأت اقدامهم أرض مصر حتى صادفوا جند فرعون. فكانت الاحداث التالية :

[**رئيس حمى الحدود**] : الى أين أيها الشيخ ؟

[**قال إبراهيم**] : إلى هذه المصر لبعض حاجات لي.

[**رئيس الحرس**] : ما تكون منك هذه المرأة الفاتنة ؟

[**قال إبراهيم**] : هي زوجتي [3].

---

(١) كان اليعازر الدمشقي مشرف على الأرزاق والعبيد.

(٢) كان فرعون مصر بزمن ابراهيم عليه السلام سنان بن الأشل بن عبيد من العرب العمالقة. اقبلوا الى مصر بِنِيَّةِ رعي مواشيهم. فما لبثوا ان استولوا على الحكم. والمؤرخون من الروم يطلقون عليهم (الهكسوس) اي ملوك الرعاة.

(٣) تنص التوراة التي بين يد اليهود أن ابراهيم اتفق مع زوجته سارة بأن يقول هو عنها بأنها اخته وتصدقه بذلك. فينال بذلك خيراً. فتصور كأنه يفادي ويستثمر جمال زوجته لينال خيراً فحاشا لقدر الخليل من ذلك. وكذلك جاء في الحديث الذي صح سنده برواية البخاري ومسلم عن ابي هريرة وغيره مرفوعاً وموقوفاً. ما نصه لم يكذب ابراهيم النبي الا ثلاث كذبات. اثنتين في ذات الله. قوله اني سقيم. وقوله بل فعله كبيرهم هذا. وواحدة في شأن =

[**رئيس الحرس**] : أيها الشيخ . إني رئيس حرس الملك . ولا يسعني إلا أن اقود هذه المرأة للملك لعله يستصفيها لنفسه . وطلب منا أن لا نأتيه بامرأة ذات بعل فما لنا الا أن نقضي عليك لتخلص للملك . أو تقول بأنها أختك . فان استصفاها فذاك . والا رجعت اليك .

[**قال إبراهيم**] : كيف أقول بأنها اختي . وهي زوجتي .

[**رئيس الحرس**] : أبقِ على حياتك ايها الشيخ . وقل بأنها اختك . وإلا قتلناك !

[**قال إبراهيم**] : هي أختي في الاسلام . وانا اسير معها الى الملك . والله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين .

[**رئيس الحرس**] : لا بأس بتشرفكم جميعاً الى قصر الملك . سيروا بنا .

[**الراوي**] : **(فيدخل إبراهيم وسارة ولوط قصر فرعون . فترك رئيس الحرس ابراهيم ولوطاً أمام غرفة الملك . ودخل بسارة عليه فدهش**

= سارة . فانه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس . فقال لها ان هذا الجبار إن يعلم انك امرأتي يغلبني عليك . فان سألك فاخبريه بانك أختي . فانك اختي في الاسلام فاني لا اعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك . . . الخ الحديث . . . وكأن هذا الحديث مأخوذ من لفظ التوراة يوهم ان الخليل يستغل وضاءة زوجته . وينسب الكذب الى الخليل . فلا يستبعد ان يكون الحديث موقوفاً على ابي هريرة كما ورد ببعض طرقه . وابو هريرة نقله عن كعب الأحبار الناقل له عن التوراة . ولم يرفعه ابو هريرة ورفعه بعض الرواة سهواً . فهذا الحديث مرفوض لأنه يصادم عقيدة إسلامية بوجوب صدق الانبياء وكرامتهم عليهم السلام . فقد رفضه كثير من العلماء . منهم عبد الوهاب النجار . كما رفضه عبد الحميد السحار . وفي نص الحديث ما يوجب رفضه . وهو قوله : اني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك . وهذا غير صحيح لوجود الكثير من المسلمين. منهم لوط الوارد في القرآن ذكر إسلامه (فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي) وقال تعالى : ﴿ قد كانت لكم اسرة حسنة في ابراهيم والذين معه ﴾ وصريح التوراة ينص بأن اليعازر الدمشقي آمن مع ابراهيم وكان من اتباعه . واما قوله : اني سقيم فيحتمل ان يكون به سقم قليل . أو سقم النفس . وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) قال ذلك على سبيل التهكم والاستهزاء والتبكيت . وذلك انشاء لا يحتمل الصدق والكذب . وقوله عن سارة بأنها أخته لرئيس الحرس لما اجبر على ذلك . فهي اخته في الاسلام . قال تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبياً ﴾ مريم .

الملك بجمالها فلم يتمالك اعصابه فمد يده اليها ليلمسها لمسة مؤانسة . فكأن الواقع كان كما يلي) :

[**رئيس الحرس**] : قف أيها الشيخ أمام الباب . وانتظر ما يكون جواب الملك . وها أنا اطلب الأذن بادخال هذه الحسناء على الملك .

[**رئيس الحرس**] : **(ينقر الباب برفق)** .

[**فرعون**] : من بالباب .

[**رئيس الحرس**] : خادمك الأمين رئيس الحرس .

[**فرعون**] : إدخل .

[**رئيس الحرس**] : **(يخر ساجداً للملك ويقول)** : يا مولاي : لقد جئتك بأجمل أيِّم [1] في المعمورة .

[**فرعون**] : احضرها بين يدي حالاً .

[**رئيس الحرس**] : أمرك يا مولاي . **(فيخرج الى سارة ويقول)**

[**رئيس الحرس**] : تفضلي يا غانية [2] .

[**الراوي**] : **(فدخلت سارة على الملك وهي تدعو فتقول: اللهم إن كنت قد حفظت نفسي إلا عن زوجي خليلك فاصرف عني كيد هذا الجبار العنيد . وابراهيم يدعو فيقول: اللهم كما نجيتني من النار نجني من العار . فقام فرعون لسارة واقفاً منبهاً)** .

[**فرعون**] : أهلاً . . أهلاً . . ما هذا الجمال الفتان . **(ومد يده ليلمسها لمسة حنان)** .

[**سارة**] : إخسأ : إنه ملك لخليل الرحمن . **(فتشنجت يده)** .

[**فرعون**] : ويلك ماذا قلت ؟ أطلقي يدي وعليك الأمان .

[**سارة**] : أطلق يدك باذن الله .

[**الراوي**] : **(ثم حاول لمسها ثانية وثالثة فتشنجت يده واخذه اضطراب عنيف فقال لرئيس الحرس)** .

---

(١) الأيِّم هي المرأة التي لا زوج لها .

(٢) الغانية هي التي تستغني بجمالها عن التزين .

[**فرعون**] : ويلك يا حرسي . ويلك . . قلت لك آتني بانسانة فأتيتني بشيطانة(**ثم اخذه رجفان شديد**) .

[**فرعون**] : اخرجها عني . . اخرجها . . اخرجها . . وآتني بوطاء وغطاء لتزول عني هذه الرجفة .

[**رئيس الحرس**] : استلم ايها الشيخ اختك . وانتظر في ضيافتنا حتى ينظر الملك في أمر اختك .

الأميرة هاجر أم العرب أم إسماعيل عليها السلام

[**الراوي**] : (**واخذت فرعون سنة من النوم فحلم فيما يحلم النائم . بأن ملائكة العذاب أتته بأيديهم الحراب قائلين** : ويلك . . ويلك . هذه زوجة ابراهيم خليل الرحمن . إن مسستها ننفذ هذه الحراب . من ظهرك فاستيقظ مرعوباً فقال :

[**فرعون**] : يا حرسي .

[**رئيس الحرس**] : أمرك يا مولاي مطاع .

[**فرعون**] : إبحث في رفقة المرأة عن رجل يدعى إبراهيم خليل الرحمن . ودعه يدخل عليَّ مع المرأة وصحبه .

[**رئيس الحرس**] : امرك يا مولاي .

[**رئيس الحرس**] : (**يصرخ**) أيكم ابراهيم خليل الرحمن .

[**قال ابراهيم**] : انا ابراهيم خليل الرحمن .

[**رئيس الحرس**] : أدخل على الملك مع أختك وصحبك .

[**الراوي**] : (**ودخل ابراهيم تصحبه سارة ولوط على فرعون . منتصب القامة مبجلاً مكرماً**) .

[**فرعون**] : **ما** أسمك ايها الشيخ **وما** تكون منك هذه المرأة الحسناء المصون .

[**قال إبراهيم**] : انا ابراهيم خليل الرحمن . وهذه زوجتي .

[**فرعون**]: تباً لرئيس الحرس. قال بأنها ايِّم[1]. يا إبراهيم! لقد

---

(١) أيِّم اي لا زوج لها كما تقدم .

رأيت في منامي ما رأيت . احفظ زوجتك فهي مباركة عليك . وهي سيدة مباركة مصون . وقد وهبتها أشرف وأجمل جارية عندي . وهي هاجر القبطية [1] . وكم كنت أتمنى أن أرى وجهك . فقد تحققت لي امنيتي . فأنت وصحبك في ضيافتنا وكرامتنا .

[الراوي] : (وأمر فرعون بإهداء إبراهيم ولوط كثيراً من الهدايا، والأنعام ، والحبوب . وعادوا جميعاً مبجلين مكرمين الى فلسطين . ثم استقروا في حبرون [2] .

قصيدة بلسان حال إبراهيم عليه السلام

صِلوني بلطف الله ثم ذروني وإن تَدَعوني عنده فدعوني
متى وصلت نفسي إلى الله ربها فلم أخشَ بعد الوصل ريب منون
رضيت بربي في حراسة ذاته يقيني بأن الله سوف يقيني
وإني إذا ما الناس بالسيف حُصِّنوا جعلت رضى الرحمن كل حصوني

---

(١) هاجر : هي بنت ملك منف (مدينة في مصر بعث فيها سيدنا إدريس عليه السلام) من الفراعنة الأقباط وقعت اسيرة في يد (الهكسوس) الفراعنة الرعاة من العرب العمالقة كما تقدم . فوهبها فرعون لسارة لما رآى لها من الكرامة .

(٢) حبرون هي مدينة الخليل الآن . سميت باسمه لأنه مكث فيها طويلاً وتوفي بها ودفن . هو وزوجه سارة . وابنه اسحاق . وابن ابنه يعقوب . عليهم السلام حيث نقل يعقوب من مصر ودفن بجوار ابيه وجده كما سيأتي .

الحلقة الخامسة عشرة

ولادة اسماعيل عليه السلام
وتهجيره الى البيت الحرام ونبع زمزم وحادثة الذبح

« إبراهيم واسماعيل عليهما السلام »

[الراوي] : أقام ابراهيم عليه السلام والذين معه في حبرون (الخليل) ما شاء الله أن يقيموا . يعبدون الله تعالى ويدعون إلى دين الله عز وجل . وفي هذه الفترة لم تنجب سارة غلاماً . وكان يحزنها أن ترىٰ زوجها الوفي يتطلع إلى النسل الصالح . ويدعو الله فيقول (رب هب لي من الصالحين) فوهبت له أمتها هاجر [1] فبنى بها الخليل فانجبت الغلام الحليم اسماعيل عليه السلام . (فكأن الأحداث جرت على النحو التالي) :

[سارة]: يا نبي الله إني بلغت من الكبر عتيّاً[2] وانا عاقر واحسست حنانك للنسل الصالح فرأيت أن أهبك أمتي هاجر التقية النقية الصالحة لعل الله أن يرزقنا من الصالحين .

---

(١) كانت هاجر بمجرد أن انضمت الى عائلة ابراهيم أسلمت وحسن اسلامها وكانت تقية نقية عابدة لله تعالى .

(٢) عتا الشيخ يعتو عتياً كَبُرَ وولّى .

[**قال إبراهيم**] : حسناً تفعلين .

(انتقال)

[**سارة**] : يا هاجر قد وهبتك لسيدك إبراهيم. فاسمعي له وأطيعي .

[**هاجر**] : وأنا لكِ من الشاكرين .

[**الراوي**] : **(وما أن بنى الخليل بها حتى حملت وانجبت غلاماً ذكياً[1] فانتعشت نفس ابراهيم، وقُرَّت عينه. ولعل سارة سُرَّتْ زمناً . غير أنها صغرت في عين نفسها وعين هاجر على السواء . فَنَفِسَت على هاجرَ هذا الغلام ، وعصفت بها الغيرة ، فاصبحت لا تطيق النظر الى هاجر وولدها فتمنت على إبراهيم ان يبعدَ هاجر وولدها حتى لا ترى لهما أثراً ، ولا تسمع صوتاً . ولكنه لا يصدف إلا عن أمر رب العالمين . فأوحى الله اليه . أنه سيورث ذريته مشارق الأرض ومغاربها . وأمره أن يغرِبَ زوجته هاجر وولدها إلى بيت الله الحرام نواة لإرثه) (فكأن الأحداث سارت على النحو التالي)** [2] .

[**سارة**] : يا نبي الله . أرى جفاءً من أمتك هاجر . فمذ حملت في إسماعيل صَغِرتُ في عينها . فإني ظلمت نفسي برفعها الى مرتبة الأحرار .

[**قال إبراهيم**] : إنها لا تزال أمتَكِ فافعلي فيها ما تشائين .

[**سارة**] : لا أريد ان أدُلَّها بشيء . بل أتمنى أن تبعدها عني حتى لا أراها ولا أرى ولدها الذي تكبرت به عليَّ وأنا مولاتها .

[**قال إبراهيم**] : هكذا أمر رب العالمين . واني منفذ أمره .

انتقال

تغريب هاجر واسماعيل الى بيت الله الحرام . عليهما السلام

[**قال ابراهيم**] : يا هاجر .

---

(١) كان سن ابراهيم عند ولادة اسماعيل ٨٦ سنة على ما ذكرته التوراة .

(٢) لم تفصل قصة ولادة اسماعيل في القرآن الكريم ولكنها فصلت في الاصحاح ١٦ من سفر التكوين وكذا تغريبه وأمه . وقد وردت في الحديث الصحيح . وقد ورد ان ابراهيم كان يقول في دعائه (اسمع يا إيل) فسمى ابنه اسماعيل و (إيل) الله بالسرياني .

[**هاجر**] : لبيك يا نبي الله .

[**قال ابراهيم**] : خذي ولدك اسماعيل وسيري بنا حيث يشاء الله .

[**هاجر**] : أمرك مطاع يا نبي الله .

[**اسماعيل**] : (واع . . واع . . واع . . واع) .

[**هاجر**] : اسكت يا حبيب سنذهب مع (بابا)

[**الراوي**] : **(وسار ابراهيم وزوجته بصحبة الطفل . وواصلوا المسير يقطعون السهول والقفار والجبال والوهاد حتى وصلوا الى بيت الله الحرام)** .

[**قال ابراهيم**] : استريحي هنا يا هاجر لأبني كوخاً صغيراً نرتاح فيه .

[**هاجر**] : أمرك يا نبي الله . **(وبنى لها كوخاً صغيراً)** .

[**قال إبراهيم**] : امكثي يا هاجر انت وولدك في هذا الكوخ . واني ذاهب وسأعود متى شاء الله . وهذا جراب تمر . وسقاء ماء . وإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين .

[**هاجر**] : يا ابراهيم أين تذهب وتتركنا في هذا الوادي الموحش المقفر الذي ليس فيه أنيس .

(وتعلقت بثوبه . وقبضت على خطام دابته وبكت) .

[**ابراهيم**] : **(يقف بدون أن يتكلم . وقد خنقته العبرات)**

[**هاجر**] : يا نبي الله . أين تتركني وتترك ولدك هذا ؟ من يحمينا من سطو الذئاب. ومن يمنعنا من فتك الوحوش؟ وماذا نأكل؟ ومن أين نشرب ؟

[**الراوي**] : **(وقف إبراهيم عليه السلام بدون أن يتكلم . وقد اغرورقت عيناه بالدمع . فعلمت هاجر أن ذلك أمر إلهي فقالت)** .

[**هاجر**]: هل أمرك الله بهذا يا نبي الله؟

[**قال إبراهيم**] : نعم : ذلك أمر الله . وتلك اشارته .

[**هاجر**] : اذاً لا يضيعنا الله .

[**قال إبراهيم**] : في حراسة الرحمن . استودعكم الله . فالله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين .

[**الراوي**] : (**وقفل إبراهيم راجعاً حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت الحرام فقال**)

[**قال إبراهيم**] : (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) .

[**الراوي**] : (**وعاد الخليل وكان يصعد الزفرات . ويختنق بالعبرات لفراق وحيده وزوجته . ولمقامه من النبوة استسلم للقضاء . وتوكل على رب الأرض والسماء**) . ولسان حاله يقول

ودعته وجميل الصبر ودعني . . اذ ذاك والقلب متى سارَ يتبعُه .
وما يئست ولكني على طمع . . بأن شملي بهم مولاي يجمعه .

(نبع زمزم)

« انتقال »

[إسماعيل]: (واع. . واع. . واع. . واع.).

[هاجر]: إشرب يا حبيبي. . ليت شعري متى نفذ الماء من أين أسقيك؟ توكلت على الله رب العالمين. حسبِيَ الله ونعمَ الوكيل.

[إسماعيل]: (واع. . واع. . واع. . واع.)

[هاجر]: لقد نفذ الماء يا حبيبي تعال أرضع.

[**اسماعيل**] : (واع . . واع . . واع . . واع) .

[**هاجر**]) من أين يأتيك اللبن . وقد جف ضرعي من العطش . وليس ثَمتّ أحد اشكوا إليه إلا الله . اللهم يا عظيم العظماء . يا رب الأرض والسماء أشكوا اليك عطشي وعطش ولدي .

[**هاجر**] : اسفاً : هذا الغلام يتلوى من العطش . وكاد يجود بنفسه .

[**هاجر**] : إجلس هنا يا حبيب لعلي أسعى لك بماء .

[**اسماعيل**] : (واع . . واع . . واع . . واع) .

[**الراوي**] : (وسارت هاجر هائمة على وجهها تعدو وتهرول . وقد هاجها التياع طفلها . وأحزنها بكاؤه . وأخذت تبحث عن فرج ، حتى صعدت جبلة الصفا فلم تجد مغيثاً . ثم سعت نحو سراب حسبته ماء عند المروة. حتى إذا جاءته لم تجده شيئاً. ثم كرت راجعة إلى الصفا. وهكذا سعت سعي المجهود سبعة أشواط . فكأني بها تقف تعبة متجهة نحو ولدها الطريح أمام بيت الله الحرام وتقول) .

[**هاجر**] : رحماك يا رب . هذا طفل جف حلقه . حتى عييَ عن البكاء . وانقطع عن الغذاء حتى خارت قواه . وخفتت أنفاسه . وهو يضرب الأرض برجليه لعلها تلين وتجود .

[**الملَكْ**] : (**بصوت كالصدى**) : لا تخافي الحتف والضيعة يا أم إسماعيل . وانت في بيت الله الحرام .

[**هاجر**] : صه . . اصغي يا هاجر . . فرج يتكلم (**تخاطب نفسها**) .

[**الملَك**] : لا تخافي الحتف والضيعَة يا أم اسماعيل وأنت في بيت الله الحرام .

[**هاجر**] : لقد أسمعت يا عبد الله : إن كان عندك غوث فجد .

[**الراوي**] : (**وهرولت نحو ولدها . فتمثل لها الملَك بشراً سوياً . وضرب الأرض بعقبه فتفجر منها الماء وقال**) .

[**الملَك**] : لا تخافوا الضيغة . فإن ها هنا بيت الله . يبنيه هذا الغلام وأبوه. وإن الله لا يضيع أهله . وغاب الملَك .

[**هاجر**] : الحمد لله رب العالمين مجيبُ دعاءِ المضطرين . خذ اشرب يا بني . . خذ اشرب (**وشربت**) الحمد لله رب العالمين . زمي زمي يا مباركة . زمي زمي يا مباركة (**وجعلت تحوط الماء**) [1] .

---

(١) قال ﷺ: (يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم لكانت زمزم عيناً معيناً).

قبيلة جرهم واسماعيل عليه السلام

[**الراوي**] : (**وحام الطير على ماء زمزم مستبشراً بالماء**)

[**هاجر**] : مرحباً بالطير يرد ماءنا . تعالَ يا حبيب يا اسماعيل نتأخر قليلاً عن الماء حتىْ يرد عليه الطير .

[**الراوي**] : (**فكانت أم إسماعيل في سرور وراحة واطمئنان حتى مرت رفقة من قبيلة جرهم مقبلين من طريق كُدَاء**) .

[**أمير جرهم**] : مهلاً يا قوم . إن هذا الطير ليحوم على ماء . سِر يا مسعود ابحث عن ماء في هذا الوادي .

[**مسعود**] : سيدي الأمير . إن هذا الوادي ليس بذي زرع ولا ماء نزلنا به مراراً فكدنا نتلف من العطش.

[**الأمير**] : كما قلت لك . سِرْ يا مسعود وابحث عن ماء . فان هذا الطير لا يحوم إلا على ماء .

[**مسعود**] : أمرك أيها الأمير .

[**مسعود**] : (**يصيح**) يا الله . ها هو الماء وولِـيّةْ عنده . وفي حجرها غلام كالقمر . يا صباحاه يا ولية الله .

[**هاجر**] : يا صياحَ الخير والأنس والسعادة .

[**مسعود**] : نحن أهل أبيات من جرهم اتأذني لنا يا وليةَ الله أن نجاورَك ونغرف من هذا الماء ؟

[**هاجر**] : حباً وكرامة . ولكن لا حق لكم من الماء الا الفضل .

[**مسعود**] : كما تريدين ونحن نجعل لك سهماً من اللحم واللبن والأَدَم [1]

[**هاجر**] : الحمد لله رب العالمين . أقبل الأنس والخير من رب العالمين .

[**مسعود**] : (**يصيح**) يا أمير يا أمير . . ماء وفير . . وولية كريمة معها طفل صغير . .

---

(١) الأدم : الجلود .

[**الأمير**] : إدفع لها اللحم واللبن والخير الوفير . .

فترة انتقال

حادثة الذبح

[**الراوي**] : (**لم ينس إبراهيم ولده وزوجته . بل كان يَفِدُ اليهم لماماً . ويزورهم غباً . حتى إذا ترعرع الغلام واطاق السعي مع والده** [1] **امتلأ قلب ابراهيم حباً لغلامه الوحيد الغريب . فأتى لزيارته ينهب الأرض نهباً . مشغول القلب بالوله والمحبة . فأمر في المنام بذبح ولده ثلاث ليال على التوالي . وفي الليلة الثالثة سمع قائلاً يقول له في المنام : إن الله يأمرك ان تذبح ولدك** [2] **فهل انت من الفاعلين ؟**

[**قال إبراهيم**] : تسليماً لامر رب العالمين .

[**قال ابراهيم**] : يا بني يا حبيبي يا إسماعيل .

[**اسماعيل**] : نعم يا ابتاه .

[**قال إبراهيم**] : يا بني : خذ مدية وحبلاً واذهب بنا الى هـذا الوادي لنقرب لله قرباناً .

[**اسماعيل**] : أمرك يا والدي : يا نبي الله . (**وأعَدَّ ما أمره به أبوه فاخذ مدية وحبلاً**) .

[**قال إبراهيم**] : سر بنا يا بني . وانت يا هاجر ادعي الله لنا .

[**هاجر**] : اذهبا في حراسة الرحمن .

[**الراوي**] : (**وسار الخليل يتقدم الذبيح الى المذبح**) فقال ابليس اللعين : إن لم أنل من آل ابراهيم في هذه المحنة شيئاً ما نلت منهم أبداً فكانت منه هذه المحاولة : اتى أم اسماعيل بصفة شيخ كبير وجعل يبكي .

---

(١) كان عمر اسماعيل عند حادثة الذبح ثلاث عشرة سنة . ورزق ابراهيم باسحاق من سارة وعمر اسماعيل (١٤) سنة .

(٢) وقيل في الحكمة بحادثة الذبح . إن إبراهيم لما هاجر من أور الكلدانيين بإبيه الى حاران رأيا رجلاً من الوثنيين يقدم ولده البكر ليذبح قرباناً للآلهة . فقال آزر لأبراهيم لو رزقت ولداً وأمرك إلهك بذبحه هل كنت من الفاعلين . فقال ابراهيم اللهم نعم . فابتلي بهذا البلاء المبين والاختبار الصادق .

[**ابليس**] : (**جعل يبكي أمام هاجر**) :

[**هاجر**] : ما يبكيك أيها الشيخ ؟

[**ابليس**] : احزنني نبأ سمعته .

[**هاجر**] : ما هذا النبأ ايها الشيخ ؟

[**ابليس**] : أتدرين اين ذهب ابراهيم بولدك إسماعيل ؟

[**هاجر**] : نعم ذهبا الى ذاك الوادي ليقربا لله قرباناً .

[**ابليس**] : اتدرين ما هو القربان؟

[**هاجر**] : كلا لا أدري .

[**ابليس**] : القربان هو ولدك . أخذه ابراهيم ليذبحه . واحضر المدية لذبحه . والحبل لربطه .

[**هاجر**] : كذبت هو بكره ووحيده فهو أشفق عليه من ذلك .

[**ابليس**] : يزعم أن الله امره بذبحه في المنام . وذاك اضغاث أحلام .

[**هاجر**] : إن كان قد أمره الله بذبحه فقد أحسن أن ينفذ أمر رب العالمين . إن ابراهيم لأوّاه حليم .

[**الراوي**] : (**فلم ينل من أم اسماعيل أي نائل . فانصرف حتى ادرك الغلام يمشي إثر ابيه**) .

« **انتقال** »

« مقابلة ابليس لاسماعيل »

[**إبليس**] : اهي . . اهي . .

[**اسماعيل**] : ما يبكيك أيها الشيخ ؟

[**إبليس**] : ابكي عليك يا غلام .

[**اسماعيل**] : ولماذا ايها الشيخ ؟

[**ابليس**] : هل تدري يا غلام اين يذهب بك أبوك ؟

[**اسماعيل**] : نعم : نذهب الى هذا الشعب لنقرب لله قرباناً .

[**ابليس**] : اتدري من هو القربان ؟

[**اسماعيل**] : كلا لا أدري .

[**ابليس**] : أسفاً : القربان هو انت . ذهب بك ابوك ليذبحك في هذا الشعب .

[**اسماعيل**] : كذبت : انا بكره ووحيده وهو يحبني حباً جماً . فهو اشفق عليَّ من ذلك .

[**ابليس**] : يزعم أن الله أمره بذبحك .

[**اسماعيل**] : إن كان قد أمره الله بذبحي فقد أحسن أن ينفذ امر رب العالمين . فتسليماً لأمر رب العالمين .

(ولم ينل من الغلام أي نائل . فانصرف حتى ادرك الخليل عند جمرة العقبة ينتظر ابنه فقال) .

(انتقال)

مقابلة ابليس للخليل .

[**ابليس**] : الى أين أيها الشيخ ؟

[**قال ابراهيم**] : إلى هذا الشعب لبعض حاجات لي .

[**ابليس**] : والله إني لأرى الشيطان قد جاءك في المنام فامرك بذبح ولدك .

[**قال إبراهيم**] : **(وقد نظر اليه بنور النبوة فعرفه)** : اليك عني يا ملعون . يا عدو الله . فوعزة ربي وجلاله لأنفذن أمر ربي ومهما عظم الخطب وكبر المصاب .

[**الراوي**] : **(ثم أخذ كفاً فيه سبع حصيات فرجمه بها . ففر ابليس أمامه الى الجمرة الوسطى . فادركه الخليل فرجمه كذلك . ففر الى الجمرة الصغرى فرجمه كذلك . فرجع ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم وآله شيئاً . وكانت سنة محاربة الشيطان هناك . ثم ادرك الغلام اباه فقال)** :

[**اسماعيل**] : أين قربانك يا ابي ؟

[**قال ابراهيم**]: (يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى).

[**اسماعيل**] : **(يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين)** .

[**قال ابراهيم**] : وداعاً يا بني العزيز . **(فاضجعه وتله للجبين)** .

[**اسماعيل**] : يا ابت اشدد رباطي كيلا اضطرب . واكفف ثيابك عني حتى لا ينتضح عليها شيء من دمي فينتقص اجري وتراه امي فتصاب مصابي . واستحد شفرتك واسرع مر السكين على حلقي ليكون أهون علي . فإن الموت شديد . وإذا أتيت امي فاقرأ عليها السلام مني . وإن رأيت أن ترد عليها قميصي فافعل . فانه عسى أن يكون اسهل لها عني .

[**قال ابراهيم**] : نِعْمَ العون أنت يا بني على أمر ربي . تعالى يا بني اقبلك قبلة الوداع .

(فتعانقا يبكيان . ثم فعل الخليل ما أمره ابنه . وهوى بالسكين على حلقه فلم تعمل شيئاً . فحدها على الحجر ثلاثاً فلم تعمل شيئاً) .

[**اسماعيل**] : يا ابت كبني لوجهي . فإنك اذا نظرت وجهي رحمتني . وادركتك رقة تحول بينك وبين أمر ربي تعالى . وانا أنظر الى الشفرة فاجزع منها .

[**الراوي**] : **(فكبه الخليل لوجهه وهوى بالشفرة على رقبته فلم تعمل شيئاً . عندها ضجت ملائكة السماء ونادت : ربنا ارحم هذا الشيخ الكبير . وافد هذا الطفل الصغير . فعاد لطف الجليل على الخليل واذا المنادي من قبل الله عز وجل)**

[**جبريل**] : **(بصوت كالصدى)** : (وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا . انا كذلك نجزي المحسنين . وفديناه بذبح عظيم) يا ابراهيم . خذ هذا الكبش الاملح الأقرن . واذبحه فداء لابنك . **(اخذ ابراهيم الكبش فذبحه) .**

[**قال ابراهيم**] : الله اكبر . الله اكبر . الله اكبر .

[**اسماعيل**] : لا إله إلا الله . الله اكبر والله اكبر ولله الحمد .

بلسان اسماعيل عليه السلام

الله اكبر لا مجير سواه ... هل في الوجود يجيرني إلّا هو

يا من له وجب السجود لذاته ... فالخلق غاية عيشهم لقياه

انت الذي امتلأ الوجودُ بحمده ... لما اغتدى ملآن من نعماه

مولاي أُنْسُكَ لم يدع لي وحشة ... إلا محا ظلماتها بسناه

الحلقة السادسة عشرة

زواج اسماعيل عليه السلام . وبناء البيت الحرام . والحج الاكبر

« زواج اسماعيل عليه السلام »

[**الراوي**] : (نشأ اسماعيل عليه السلام بين قبيلة جرهم وبعض العماليق . حتى إذا شب لم يكن كشبابهم . بل كان أفصحهم لساناً . واقواهم بياناً . وأصبحهم وجهاً . وأكرمهم خلقاً . وأرجحهم حلماً . وارحبهم صدراً . وأقواهم جسداً . فأحبوه وسوده وزوجوه زوجة تِلْوَ أخرى . ثم بعث فيهم رسولاً فآمنوا به وصدقوه (فكأن الأحداث تسير طبق ما يلي) :

[**أمير جرهم عمرو**] : يا سعيد ويا مسعود . إنا نزلنا في جوار الولية الصالحة هاجر زوجة خليل الرحمن . فلقينا اليمن والخير والبركة . وحظينا بمشاهدة الخليل فأفاض علينا من روحه التقوى والإيمان . وقد ذهبت هاجر إلى رب العالمين . وخلفت فينا إسماعيل . فانه لا يقارن في شاب إلا رجح عليه . وقد بقي فينا وحيداً فأرى أن نزوجه من كرائم بناتنا .

[**سعيد**] : يا حضرة الأمير عمرو : إن إسماعيل قد وَلِهت به[1]

(١) ففي مروج الذهب للمسعودي ان اسم الزوجة الأولى جداء بنت سعد العملاقي . من العمالقة لا من جرهم . والله اعلم .

جداء العملاقية وهي تعرض نفسها عليه بالغُدُوِّ والآصال . فتم الزواج بينهما .

[**عمرو الجرهمي**] : يا خسارة كنت قد أضمرت في نفسي أن أزوجه بنتي سُعدة . فهي خير زوجة له . ديناً وأخلاقاً . وجمالاً ووفاءً . والله إن جداء له بزوجة . حادة الطبع . سيئة الخلق قليلة الدين .

[**مسعود**] : هكذا كل فرد في القبيلة يقول . ولكن جداء ما زالت باسماعيل حتى سرقته من القبيلة .

[**الراوي**] : **(وفي هذه الفترة اشتاق ابراهيم لرؤية ولده الذبيح . وتفقد زوجته الصالحة فأتى لزيارتهما)**

« انتقال »

[**ابراهيم**] : **(يقف أمام بيت اسماعيل ويقول)** : يا إسماعيل . يا إسماعيل .

[**جداء**] : من الطارق ؟ .

[**قال إبراهيم**] : زائر من ضيوف الله . أين اسماعيل ؟ وما تكوني أنت منه ؟

[**جداء**]: أنا زوجته. وهو قد ولّى إلى الصيد. ولا يؤمل مجيئه اليوم.

[**قال إبراهيم**] : وأين هاجر ؟

[**جداء**] : إنها قد ماتت . ودفنت هناك قريباً من بئر زمزم .

[**قال إبراهيم**] : رحمها الله وعوضها الله الجنة . كيف حالكم يا بنية ؟

[**جداء**] : هو من أسوء الأحوال .

قال إبراهيم] : ولماذا ؟

[**جداء**] : أننا في ضنك من العيش . وخشونة في المتاع . لا طعامنا يشبه طعام الملأ . ولا لباسنا وأثاثنا يشبه امتعة الناس . آه . ماذا أقول : إني ظلمت نفسي لأني رضيت باسماعيل زوجاً .

[**قال إبراهيم**] : خذي هذه الهدية وإذا جاء زوجك اقرئيه مني السلام . وقولي له يغير عتبة بابه .

(وقفل إبراهيم راجعاً إلى الشام . وإذ باسماعيل قد أتى إلى أهله) .

[إسماعيل] : من اين لكم هذا المتاع يا جداء ؟

[جداء] : أقبل إلينا شيخ وقال بأنه زائر من ضيوف الرحمن . وأهدانا هذه الهدية .

[اسماعيل] : ما هيئة هذا الشيخ يا جداء ؟

[جداء]: شيخ معتدل القامة أبيض الوجه، جميل الهيئة، عظيم اللحية .

[اسماعيل] : فهل أوصاكي بشيء ؟

[جداء] : نعم : يقرئك السلام ويقول لك غيِّر عتبك بابك .

[اسماعيل] : لعللكِ شكوت له شيئاً .

[جداء]: وكيف لا أشكو. قلت له إننا في ضنك من العيش. وشظف في الحياة[1].

[اسماعيل] : إنه أبي وأمرني أن أفارقك . الحقي بأهلك .

[الراوي]: (وما أن شاع الخبر في مكة المكرمة حتى تهافت الناس على اسماعيل يودون أن يزوجوه . فسبقهم أمير جرهم عمرو الجرهمي فزوجه بنته سُعدة . فكانت من أجمل النساء وأوفى الازواج وكان معها اسماعيل من اسعد الناس . وانجبت له اثنا عشر ولداً ذكراً[2] وكأن الأحداث كانت كما يلي) :

[إسماعيل] : يا سعدة يا سعدة .

[سعدة] : نعم يا سيدي اسماعيل .

[إسماعيل]: ترقبي قدوم والدي إبراهيم. فإذا جاء اكرمي مثواه[3] فإني ذاهب الى الصيد .

[سعده] : في حراسة الرحمن .

---

(١) الشظف الضيق والشدة . وبؤس العيش وشدته .

(٢) اولاد اسماعيل هم نابت (بكر اسماعيل) وقيدار . وإذبئيل . ويسام . ومشماع . ودومة . ومسا . وحدار . وتيما . ويطور . ونافيش . وقدمة . التوراة تكوين ٣٥ .

(٣) مثواه اقامته . وثاوياً مقيماً .

(وفي غياب اسماعيل اتى ابراهيم لزيارة ولده)

انتقال

[قال إبراهيم] : (بعد أن وقف على بابه) : يا اسماعيل . يا اسماعيل .

[سعده] : نعم : أهلاً وسهلاً يا صباح الخير والبركة بالشيخ الجليل (وكأنها عرفته)

[قال إبراهيم] : ما تكونين أنت من اسماعيل . وما اسمك ؟

[سعده] : أنا سعدة بنت عمرو الجرهمي . وزوجة اسماعيل وخادمته الجديدة .

[قال إبراهيم] : أين إسماعيل ؟ .

[سعدة] : إسماعيل خرج في حراسة الرحمن الى الصيد . تفضل يا سيدي الشيخ . هذا بيت اسماعيل . وأنا خادمة لك . ألا تنزل عندنا فتطعم وتشرب وترتاح .

[قال إبراهيم] : فما طعامكم وما شرابكم . وكيف حالكم .

[سعدة] : نحن والحمد لله باحسن الأحوال . طعامنا اللحم وشرابنا الماء . وإن سيدي اسماعيل يذهب كل يوم غدوة ثم يأتينا بلحم طير مما نشتهي . وهذا ماء زمزم الذي أفاضه الله على سيدي اسماعيل .

[قال إبراهيم] : اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم . يا بنية خدي هذه الهدية فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه مني السلام . ومريه أن يثبِّت عتبة بابه . وأريد أن أعود من حيث أتيت :

[سعده] : هذا لا يكون قبل أن تأكل من لحمنا وتشرب من مائنا . وترتاح . وتزيل عنك وعثاء السفر . وتغسل رأسك بالماء والسدر.

[الراوي] : **(فأكل وشرب وارتاح وغسلت له رأسه وتوضأ وصلى ما شاء الله أن يصليَ ثم قفل راجعاً فاقبل اسماعيل وقال)**

« انتقال »

[إسماعيل] : هل أتاكم من أحد ؟

[**سعده**] : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة ، جميل الطلعة . عظيم اللحية . شديد الهيبة. لم أر أجمل منه شيخاً . فسألني عنك فاخبرته أنك ذهبت للصيد . فسألني كيف عيشنا فاخبرته أنّا بأوفر ما يكون عيشاً وأتم ما يكون سعادة . وطعامنا اللحم وشرابنا الماء . وغسلت له رأسه بيدي بماء وسدر.

[**إسماعيل**] : هل أوصاك بشيء ؟

[**سعده**] : نعم يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبِّت عتبة بابك .

[**إسماعيل**] : ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أحافظ عليك . فيا لك من امرأة حوت الكمالَ مع الجمال. وجمعت بين الحسب والنسب. فأنا سعيد بلقياك يا سُعْدة .

بناء البيت الحرام

[**الراوي**] : لبث إبراهيم عليه السلام بعيداً عن ابنه اسماعيل ما شاء الله أن يلبث . ثم وَفَد اليه . لا ليتفقد أمره . ويتعرف على حاله . بل جاء لأمر جليل . حيث أمر ببناء الكعبة الشريفة . وإقامة أول بيتٍ وضع للناس لعبادةِ الله عز وجل . حتى لقي إسماعيل قريباً من زمزم . يبري سهاماً (**فكأن اللقاء كان كما يلي**) :

[**قال إبراهيم**] : السلام عليك . يا بني الحبيب يا إسماعيل .

[**إسماعيل**] : أهلاً وسهلاً بخليل الرحمن والوالد الحبيب . وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . لقد طال غيابك عني أيها الوالد الحبيب . وازداد شوقي إلى رؤ ياك . (فتعانقا عناقاً طويلاً)

[**قال إبراهيم**]: يا بني: إنها وإن تفرقت أجسامنا فقلوبنا مجتمعة على الله عز وجل .

[**قال إبراهيم**] : يا بني يا إسماعيل ؟

[**إسماعيل**] : نعم يا أبتاه . يا خليل الرحمن .

قال إبراهيم] : إن الله أمرني بأمر جليل عظيم .

[**إسماعيل**] : يا أبت افعل ما أمرك ربك .

[**قال إبراهيم**] : وتعينني أنت على أمر الله يا بني .

[**إسماعيل**] : يا أبت . أنا أطوع لك من بنانك . إني أعينك على أمر الله عز وجل . ولو كلفت نقل الصخر على الظهر .

[**قال إبراهيم**] : أن الله أمرني أن ابني له بيتاً ههنا في موضع هذه الأكمة على قواعد أبينا آدم عليه السلام[1] . ليحجه عباد الله من كل فج عميق . فآتني المعاول حتى نزيح التراب عن أساس آدم . ونرفع القواعد .

[**إسماعيل**] : هذه المعاول حاضرة يا والدي الكريم . وها أنا أباشر الضرب بالمعول على الفور .

بسم الله الرحمن الرحيم

[**الراوي**] : (**وهكذا حررا عن أساس البيت . وجعل إبراهيم يبني . وإسماعيل يقدم الحجارة والطين . حتى ارتفع البناء**) .

[**قال إبراهيم واسماعيل**] : (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك . وأرنا

---

(١) ففي القرطبي : روي عن جعفر الصادق بن محمد الباقر (رضي الله عنهما) قال سُئِل ابي وانا حاضر عن بدء خلق البيت فقال : إن الله عز وجل لما قال ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ قالت الملائكة(أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فغضب عليهم وقال : ﴿ إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ فعاذوا بعرشه وطافوا حوله سبعة اشواط يسترضون ربهم حتى رضي عنهم وقال لهم : ابنوا لي بيتاً في الأرض يتعوذ به من سخطت عليه من بني آدم ويطوف حوله كما طفتم حول عرشي فارضى عنه كما رضيت عنكم فبنوا هذا البيت قبل آدم بمدة يعلمها الله . فجرفت السيول البيت اهـ . وذكر عبد الرزاق بن أبي جريج عن عطاء وابن المسيب وغيرهما أن الله عز وجل اوحى الى آدم اذا هبطت الى الأرض إبْنِ لي بيتاً ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحِف بعرشي الذي في السماء . فاقبل آدم يتخطى من الهند حيث هبط وطويت له الأرض وقبضت له المفازة . فلا يقع قدمه على شيء من الأرض الا صار عمراناً حتى انتهى الى موضع البيت الحرام . وان جبريل عليه السلام ضرب بجناحيه الأرض فابرز عن أساس ثابت في الأرض . وقذفت الملائكة لآدم بالصخر فما يطيق الصخرة منها ثلاثون رجلاً . وانه بناه من خمسة اجبل من حِراء ومن طور سينا ومن لبنان . ومن الجودي . ومن طور زيتا . وكان ربضه (اساسه) من حِراء . وهذا بناء آدم . ثم بناه ابراهيم . اي بعد ما جرفه الطوفان . فارسل الله سحابة ظهر منها رأس فقال يا ابراهيم إن الله يأمرك أن تأخذ بقدر هذه السحابة فحفر ابراهيم واسماعيل فابرزا عن اساس ثابت في الأرض . فيكون أساس الكعبة . من وضع آدم بمساعدة الملائكة . او من وضع الملائكة . والله أعلم .

مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم)

[**قال إبراهيم**] : **يا بني يا إسماعيل** .

[**إسماعيل**] : نعم يا أبتاه .

[**قال إبراهيم**] : لقد ارتفع البناء وطال الجدار . وضعفت عن رفع الحجارة إلى أعلى الجدار . يا بني التمس لي حجراً أضعه تحت قدمي لعلي استطيع إتمام ما بدأت به .

[**إسماعيل**] : أمرك مطاع يا والدي . وها أنا أبحث عن حجر يلائم وضع قدميك عليه .

[**إسماعيل**] : قم يا والدي على هذا الحجر .

[**قال إبراهيم**] : هذا الحجر يا بني نعم المقام .

[**إسماعيل**] : وها أنا اضع لك الحجارة والطين على الحجر . وأنت تتابع البناء .

[**إبراهيم وإسماعيل**]: (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك . وارنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التوّاب الرحيم .

[**إسماعيل**] : يا أبتاه : قد غرقت قدماك في المقام .

[**قال إبراهيم**] : الحمد لله . لقد غرقت قدماي بالمقام حتى لا تَزِلَّا[1] .

فترة انتقال

[**قال إبراهيم**]: يا بني يا إسماعيل.

[**إسماعيل**] : نعم يا أبتاه .

[**قال إبراهيم**]: إني قد وصلت إلى الركن. أبغي حجراً أجعله علماً للناس يبدؤون طوافهم منه.

[**إسماعيل**] : أمرك مطاع يا والدي ، وها هو حجر جيد .

---

(١) قال أنس بن مالك رضي الله عنه رأيت في المقام أثر أصابع ابراهيم عليه السلام وعقبة وأخْمَصَ قدميه . غير انه اذهبه مس الناس بأيديهم اهـ قرطبي ج ٢ : ص ١١٣ . والاخمص هو ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض .

[**قال إبراهيم**]: أريد أحسن منه ابغني غيره.

[**إسماعيل**] : وهذا حجر أحسن منه .

[**وقال إبراهيم**] : وأيضاً أريد أحسن منه ابغني غيره.

[**الراوي**] : (**وذهب إسماعيل بعيداً يفتش عن حجر ممتاز لركن البيت . وإذ بجبل أبي قبيس يصيح بصوت دوى منه المكان**) .

[**جبل أبي قبيس**] : يا إبراهيم يا خليل الرحمن . إن لك عندي وديعة فخذها . هذا حجر من ياقوت الجنة نزل به أبوك آدم . وهو ركن البيت قد حفظته لك من عهد الطوفان .

[**قال إبراهيم**] : الحمد لله رب العالمين . هات الحجر يا أبا قبيس يا مبارك .

[**قال إبراهيم**] : الله . الله . ما ابيض وأجمل ياقوت الجنة . وها أنا أضعه علماً للناس .

[**إسماعيل**] : (عاد ومعه حجر غير حبير) : الله الله يا أبتِ من جاءك بهذا الحجر ؟ الذي ما رأيت مثله في حياتي قط.

قال إبراهيم : جاءني به من لم يكلني إليك . وهو رب العالمين . يا بني هذا الحجر من ياقوت الجنة نزل به أبونا آدم عليه السلام . وحفظه لنا جبل أبي قبيس من عهد الطوفان .

[**إبراهيم وإسماعيل**] : الحمد لله رب العالمين .

[**الراوي**] : (**وهكذا ظلا يعملان فيرفعان القواعد بجد ونشاط وإيمان حتى تم البناء بإذن الرحمن**)[1] .

---

(١) روي ان ابراهيم واسماعيل عليهما السلام لما فرغا من بناء البيت اعطاهما الله الخيل جزاءً عن رفع قواعد البيت . روى الترمذي الحكيم (وهو محمد بن علي) عن أبن عباس رضي الله عنهما قال : كانت الخيل وحشاً كسائر الوحوش . فلما أذن الله لابراهيم واسماعيل برفع قواعد البيت قال الله تبارك اسمه اني معطيكما كنزاً ادخرته لكما . ثم أوحىٰ الى اسماعيل ان اخرج الى أجْيَاد (وهو جبل بمكة كما في النهاية لأبن الاثير) فادع يأتك الكنز فخرج الى أجياد ولا يدري ما الدعاء ولا الكنز فالهمه . فلم يبق على وجه الأرض فرس بأرض العرب الا جاءته فامكنته من نواصيها وذللها الله له . . فاركبوها واعلفوها فانها ميامين وهي ميراث ابيكم إسماعيل .

[**قرآن كريم**] : ﴿ وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك التواب الرحيم * ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾[1]

الحج الأكبر

[الراوي] : ﴿ ولما فرغ ابراهيم وإسماعيل من بناء البيت أوحى الله سبحانه إلى إبراهيم عليه السلام (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً[2] وعلى كل ضامر[3] يأتين من كل فج[4] عميق ﴾ فصدع بامر الله[5] فلباه الناس مشاةً وركباناً . وكان أول حج جماعي الى بيت الله الحرام . فكأن الواقع كان كما يلي) :

[**المبلغ عن الله عز وجل يقول**] : يا إبراهيم يقول الله عز وجل لك : ﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾[6] .

[**قال إبراهيم**] : يا رب وما يبلغ صوتي .

[**المبلغ عن الله عز وجل**] : يا إبراهيم يقول الله لك : عليك الأذان وعلينا البلاغ .

[**قال إبراهيم**] : سمعاً وطاعة لأمر رب العالمين .

(انتقال)

(فصعد إبراهيم على جبل أبي قبيس ووضع اصبعيه في أذنيه واتجه الى الجهات الأربعة . على التوالي) .

---

(١) الآيات ١٢٧ - ١٢٩ من سورة البقرة.
(٢) رجالاً جمع راجل اي ماشي .
(٣) اي الراكبون على الجمال الضمْر من طول السفر .
(٤) طريق بعيد وأصل الفج الطريق الضيق بين الجبال .
(٥) صدع بامر الله تكلم به جهاراً .
(٦) الآية ٢٧ من سورة الحج .

[**صرخ إبراهيم**] : (يا أيها الناس . ألا إن ربكم قد بنى لكم بيتاً لعبادته . وكتب عليكم الحج الى هذا البيت ليثيبكم به الجنة ويجيركم من عذاب النار فحجوا (نادى بذلك أربع مرات إلى الجهات الأربع)

[**الراوي**] : (**فخفضت الجبال رؤوسها وعلت القرىٰ . وأجابه الناس بالتلبية . وأتوه على الفور ما بين راكب وماش من كل فج . حتى أجابه الانس والجن والملائكة والجماد والنطف من اصلاب الآباء وأرحام الأمهات**) .

[**الحجاج من الانس والجن والملائكة**] : (بصوت يدوي) : لبيك لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك. لا شريك لك . (أربع مرات).

[**قال إبراهيم**] : يا عباد الله : هَلُمَّ بنا نطوف حول هذا البيت سبعة أشواط. كما طاف ملائكة الرحمن حول عرس الرحمن . نُقَبِّل هذا الحجر الأسعد الذي هو ياقوتة من يواقيت الجنة نزل مع أبينا آدم . وإن الله يجعل له شفتين ولسان، ويشهد لمن قبله يوم القيامة.

[**الحجاج**] : (بصوت جماعي يدوي) لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك . اللهم زد بيتك هذا إجلالاً وتعظيماً . وتقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . (وهكذا سبعة أشواط) .

[**إبراهيم وإسماعيل**] : ربنا أرنا مناسكنا[1] . وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

[**قال إبراهيم**]: **يا عباد الله. سيروا بنا (كما أمر الله عز وجل) إلى الجبل الذي تعارف عليه أبونا آدم وأمنا حواء . بعد**

---

(١) اي علمنا شرائع ديننا وأعمال حجنا .

فراق طويل . وتلقى آدم من ربه فدعى بهن فتاب الله عليه . إنه هو التواب الرحيم .

فترة الطريق . وانتقال

[**الحجاج**] : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك . (أربع مرات) .

[**المنادي من قبل الله عز وجل يقول**] : **يا خليل الرحمن . ربك يقول لك . هذا المكان الذي دعى به أبوك آدم فتاب الله عليه . أعرفته يا إبراهيم ؟**

[**قال إبراهيم**] : نعم : عرفته يا رب العالمين . وعرَّفت[1] .

[**الحجاج**] : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك . ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا . ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفِّر عنا سيآتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك . ولا تخزنا يوم القيامة . إنك لا تخلف الميعاد .

[**قال إبراهيم**] : يا عباد الله ازدلفوا[2] من هذا الوادي حتى نذكر الله عند المشعر الحرام .

(فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام)

[**الحجاج**] : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك . ربنا أرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا عليك توكلنا وإليك انبنا وإليك المصير. ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا . واغفر لنا إنك على كل شيء قدير .

فترة انتقال

[**قال إبراهيم**] : يا عباد الله . هذا المكان الذي عرض لي به الشيطان ليصدني عن طاعة الرحمن . وقد رجمته فارجموه سبعاً .

---

(١) من هنا سميت عرفة .

(٢) من هنا سميت مزدلفة .

[**الحجاج**] : طاعة للرحمن وارغاماً للشيطان بسم الله الله أكبر : ١
[**الحجاج**] : طاعة للرحمن وإرغاماً للشيطان بسم الله الله أكبر : ٢
[**الحجاج**] : طاعة للرحمن وإرغاماً للشيطان بسم الله الله أكبر : ٣
[**الحجاج**] : طاعة للرحمن وإرغاماً للشيطان بسم الله الله أكبر : ٤
[**الحجاج**] : طاعة للرحمن وإرغاماً للشيطان بسم الله الله أكبر : ٥
[**الحجاج**] : طاعة للرحمن وإرغاماً للشيطان بسم الله الله أكبر : ٦
[**الحجاج**] : طاعة للرحمن وإرغاماً للشيطان بسم الله الله أكبر : ٧
[**قال إبراهيم**] : يا عباد الله : هلموا بنا نطوف ثانية بالبيت العتيق . وهو أول بيت بناه أبوكم آدم لعبادة الله في الأرض .
(إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدىً للعالمين . فيه آيات بينات)

(فترة الوصول الى البيت)

[**الحجاج**] : لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك .
[**قال إبراهيم**] : يا عباد الله . قبلوا الحجر وطوفوا حول البيت سبعة أشواط .
[**الحجاج**] : اللهم زد بيتك هذا اجلالاً وتعظيماً وتقبل منا حجنا كما تقبلت من إبراهيم خليلك يا رب العالمين . ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا . وهب لنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب . (وهكذا سبعة أشواط)

إلهنا ما أعد لك مليكُ كل من ملك
لبيك قد لبيتُ لك لبيك إن الحمدَ لك
والحمدُ والنعمةُ لك ما خابَ عبدٌ سألك
أنت له حيثُ سلك لولاك يا رب هلك
لبيك إن الحمدَ لك والملكَ لا شريك لك

الحلقة السابعة عشرة

إبراهيم ولوط عليهما السلام وفساد قوم لوط

« إبراهيم ولوط عليهما السلام »

[**مقدمة**] : في الحقيقة أن قصة إسماعيل ولوط وإسحاق فروع من قصة إبراهيم عليهم السلام . إذ أن إبراهيم عاش نحواً من مائة وخمس وسبعين عاماً وشارك الجميع في أحداثهم .

[**نسب لوط**] : هو لوط بن هاران بن آزر (تارح) بن ناحور . فهو ابن أخي إبراهيم . وقد آمن بإبراهيم واهتدى بهديه وهاجر معه كما قال تعالى : ﴿فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم ﴾[1] .

[**قرى قوم لوط**] : قرى قوم لوط خمسة . وهي سدوم (وهي العظمىٰ) وعامورا : ودادوما : وصَفْوَة : وقتم . وهي تبعد عن جبروق (الخليل) أربعة فراسخ . ومكان هذه القرى هو مكان البحر الميت . الذي يدعى بحيرة لوط . ولم يكن موجوداً قبل حادث لوط . بل غار من تلك الحوادث . وكان سطحه اخفض من سطح البحر بنحو أربعمائة متر . وعمق

---

(١) سورة العنكبوت ٢٦ .

مَائِهِ نحواً من ذلك وقد اكتشف المنقبون عن الآثار بالآونة الأخيرة بعض آثار قرى قوم لوط على حافة البحر الميت .

وكان السبب في نزوح لوط إلى تلك القرى أنها من القرى الخصبة للمراعي . وقد كثرت أنعام إبراهيم ولوط . وضاقت أرض وحبرون (الخليل) بتلك الانعام . فاستأذن لوط عمه أن يذهب بأنعامه الى غور الأردن فأذن له . فكأن الأحداث جرت كما يلي .

[**لوط**] : يا عم يا خليل الرحمن . لقد ضاقت الشعاب بأنعامي وأنعامك . وقد رأيتُ ضفاف النهر الجاري بالوديان القريبة منا كأنه يلبس حلة خضراء من كثرة المراعي . فهل تأذن لي أن أرعىٰ أنعامي هناك ؟ وادعو الى الله تعالى ما استطعت الى ذلك سبيلا .

قال إبراهيم] : في حراسة الرحمن يابن الأخ . وادع الى الله عز وجل حيثما حلَلْت . ولا تقطع عنا الاتصال .

[**الراوي**] : (**فسار لوط بمواشيه وزوجته وبناته وعبيده**[1] **حتى حط عصا الترحال بمدينة سدوم . وقد كان أهلها أصحاب أخلاق فاسدة . ونوايا سيئة . لا يتعففون عن معصية . ولا يتناهون عن منكر فعلوه. يقطعون الطريق ويخوفون الرفيق . وهنالك أرسل الله لوطاً لهداية أولئك القوم**) وكأن الأحداث كانت تسير على المنوال التالي :

[**طائح**][2] : يا قوم : شغل بالي أمر مهم . وهو أن الأقوام قد أموا وادينا وقرانا من كل حدب وصوب . وما ذلك إلا لخصب مراعينا . ووفور ثمارنا . وكثرة الخيرات لدينا فكيف نطرد الناس عنا ؟ فإني من مدة وأنا أفكر بالوسيلة الرادعة للناس .

[**حمور**] : أنت يا طائح أميرنا وقاضينا . فاقض ما أنت قاض . وما علينا إلا السمع والطاعة .

[**بقو**] : أرى أن كل من يأتي قرانا نباشره بالسلب والنهب والإيذاء .

---

(١) اسم زوجته وفقه . وبناته : سارة (باسم خالته) ومسرة ومؤمنة .

(٢) أمير سدوم .

ونقطع عليه السبيل حتى لا يأتينا غريب . ولا ينهب رزقنا ناهب .

[**إبليس**] : (دخل اثناء البحث بصفة شيخ) : عموا مساء يا قوم .

[**القوم**] : مساء الخير . أهلاً بالشيخ .

[**إبليس**] : **سمعتكم تتذاكرون في طرد النهبة الذين ينزلون الدار . ويأكلون الفواكه والثمار . ويرعون المراعي والخضار .**

[**طائح**] : نعم حصل هذا أيها الشيخ . لأنا إن سكتنا تنهب ثمارنا . وتَنضِبُ حياضنا . وترعى مراعينا .

[**إبليس**] : ألا أدلكم على وسيلة إن قمتم بها لا يأتي قراكم طفيلي غريب إلا بأذن أو حماية أو جوار .

[**طائح**] : ما هذه الوسيلة يا شيخ ؟

[**إبليس**] : إن كان الغريب شيخاً تاجراً أو راعياً نهبتم ما لديه من متاع وأنعام . وإن كان شاباً غضاً طرياً انزلتموه مكان نسائكم وفعلتم به الفعل الشنيع (كر : كر : كر : كر :)

[**طائح**] : إن كان الغريب انثى فهذا معقول . وإن كان ذكراً فكيف نفعل به ؟

[**إبليس**] : كبوه لوجهه (كه : كه : كه : كه) : وافعلوا به من الخلف . .

[**حمور**] : وسيلة ما خطرت لنا ببال .

[**بقو**]: كيف يخطر بالبال أن نقيم الذُكران مكان الاناث . لولا إشارة هذا الشيخ المجرب .

[**طائح**] : فهل جربت أيها الشيخ هذه الفعلة ؟

إبليس] : نعم جربت فاعلاً ومفعولاً .

[**طائح**] : لا ينبئك مثل خبير .

[**الراوي**] : **(وهكذا فعلوا الفاحشة أولاً بالغرباء . ثم استحكمت في نفوسهم فجعل ينزو منهم الذكر على الذكر . شهوة من دون النساء . يستعلنون بذلك ولا يستترون . ولا يرونه سوءً ولا قبحاً . بل يتبارون أيهم أقوى وأمهر فاحشة . واكتفى الرجال بالرجال . فلم يبق للنساء إلا النساء .**

فعنهم أُخِذَت اللوطية والسحاق . ولم تقف جرائمهم عند هذا الحد . بل أشركوا بالله . وقطعوا الطريق . ونهبوا كل تاجر . وآذوا كل زائر) .

[تاجر] : بضائع من جميع الأشكال . بضائع . بضائع . معنا عصي . معنا سهام . معنا سيوف . معنا بضائع .

[حمور] : هذه العصا احتاجها . هاتها أيها التاجر . وليس معي ثمنها . (فأخذها وولى)

[بقو] : وهذا السيف ممتاز للحرب (وسلبه)

[مطاميط]: ما أجمل هذا الخطيَّ (الرمح) اسمح به يا تاجر استدينه منك . وسلبه .

[التاجر]: متى تدفع ثمنه؟

[مطاميط]: ادفع ثمنه. كلَّ يومٍ إلى غدٍ.

[بقو] : وهذه العنزة[1] ممتازة لي اتكأ عليها . (وسلبها)

[مطاميط] : وهذه الكنانة بسهامها ممتازة للصيد (وخطفها)

[الراوي] : (وهكذا سلب ونهب حتى لم يبق مع التاجر شيء من البضاعة)

[التاجر] : ما لكم يا أهل سدوم تأخذون البضائع بدون دفع الثمن ؟

[حمور] : أسكت . حرامي أتيت لسرقة دراهمنا وثمارنا .

[التاجر] : يا أهل سدوم إني تاجر ولست بحرامي .

[بقو] : اخرس . . اخرس . . **بل** أنت محتال لسلب الدراهم . وأخذ الاموال

[مطاميط] : ارحل . ارحل . قبل أن تقتل .

[التاجر] : آتي بالبضاعة فتسلب مني بغير ثمن . أليس في المدينة أمير ؟

[حمور] : بلى : في المدينة أمير وقاضٍ . فدونك وإياه فهو ذاك واسمه طائح .

---

(١) الغزة عصا معقوف رأسها .

[**التاجر**] : يا طائح . يا أمير سدوم وقاضيها : سلب مني قومك سائر بضاعتي بدون أي ثمن . أرفع قضيتي إليك لتخلص لي حقي .

[**طائح**] : أصحيح ما قال التاجر يا قوم ؟

[**حمور**] : أنا لم أسلب إلا هذه العصا . أَلِهذه العصا كل هذا البكاء ؟

[**طائح**] : ما أبخلك يا تاجر لأجل هذه العصا تبكي كلَّ هـذا البكاء تعالى اقطعْ لك من الاشجار عوضاً عنها . من أذِنَ لك بدخول هذه المدينة ؟ إرحل عنا .

[**إلْقاء**] : (**وهكذا كانوا لا يتعففون عن معصية . ولا يتناهون عن منكر . يقطعون الطريق . ويتربصون لكل مار . فيجتمعون عليه من كل حدب وصوب فيسلبون ما حمل . هكذا يفعلون بالشيوخ . وأما الشبان فكانوا يأتونهم شهوة من دون النساء . وكانوا يفعلون الفعـل الشنيع في انديتهم كالبهائم . في هذه البيئة الفاسدة أرسل الله لوطاً عليه السلام**) فكأن الأحداث جرت كما يلي :

[**قال لوط**] : يا قوم نزلت فيكم ضيفاً فأصبحت مواطناً . أحب لكم كل خير وأكره لكم كل شر .

[**طائح**] : يا لوط لعلك رأيت إساءتنا للغرباء . أنت لست غريباً عنا. مضى لك في جوارنا السنين ذوات العدد. وأنت تقري الضيف وتكسي المعدوم وتحمل الكل . وتحسن الى الجار . فانت نعم المواطن .

[**قال لوط**] : إن الله عز وجل ارسلني اليكم لتعبدوا الله ما لكم من إلّه غيره . وتتركوا عبادة الأصنام والأوثان . وتتركوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

[**طائح**] : يا لوط : أتأمرنا أن نعبد الله وحده . وننبذ إلّه القمر (سين) والبعول الكرام ؟

[**حمور**] : أغرك منا يا لوط انا مدَحْناك فجئت تدّعي بأنك رسول رب العالمين . فتأمر وتنهى .

[**قال لوط**]: ﴿ألا تتقون[1] * إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله

(١) الآيات ١٦١ - ١٦٤ من سورة الشعراء.

وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجرٍ إن أجري ألا على رب العالمين *﴾: يا قوم ذروا الفواحش ما ظهر منها وما بطن . فان الفاحشة ما ظهرت في قوم إلا هلكوا . فاحذركم بطش الله الجبار العنيد . ذي البأس الشديد الفعال لما يريد .

[**بقو**] : ما هي الفواحش التي تَسِمُنَا بها . وتأمرنا بتركها يا لوط ؟ يا ضيفَ الأمس ونبي اليوم .

[**قال لوط**] : (إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون . اتأتون الذكرانَ من العالمين . وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) وإن كل من تعدى حدود الله فهو قمن[1] . بعذاب الله .

[**مطاميط**] : فهل أنت وكيلنا في أنفسنا . أم أنت مدافع عن القريب والبعيد. أليس كل واحد منا حُرّ في نفسه يفعل ما يشاء. فأتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين . فإن الذكران ألذ إلينا من الأناث .

[**قال لوط**] : يا قوم : اتقوا الله الذي خلقكم ورزقكم . فهو يميتكم ثم يحييكم . فيجازيكم بالخير خيراً . وبالسوء سوءً . فقد حدَّ لكم حدوداً فلا تعتدوها . ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه. واستحق غضب الله وعقابه. إنكم لتأتون فاحشة ما سبقكم بها أحد من العالمين. فاتعظوا بعاد وثمود . وما ثمود عنكم ببعيد . أخذهم الله بذنوبهم فلم يبق منهم باقية .

[**طائح**] : لقد أكثرت يا لوط من الثرثرة والوعظ . وأنذرتنا سوء العاقبة . فأتنا ما تعدنا إن كنت من الصادقين . (لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المرجومين .

[**حمور وبقو ومطاميط**] : (بصوت واحد) ﴿ أخرجوا آل لوط من قريتكم . إنهم أناس يتطهرون ﴾

[**قال لوط**] : (ربي انصرني على القوم المفسدين) وأنزل بهم العذاب الأليم .

---

(١) فمن جدير .

[الراوي] : (وهكذا آذانٌ وقَرَتْ . وعيون عميت . وقلوب غُلِّفَت . فاندفعوا في شرورهم . وهددوا رسولهم بالطرد من بين ظهرانيهم . أو بالرجم. وما ذلك إلا لأنه يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر . فخوفهم بأس الله فلم يأبهو لِتحذيره . واستخفوا بوعيده . فسأل ربه أن ينصره على هؤلاء المفسدين . ويوقع بهم العذاب الأليم) .

فترة انتقال

[سارة][1] : يا نبي الله . يا خليل الرحمن . لقد شُغل بالي على ابن اختي وابن أخيك لوط . وما جرىٰ له مع القوم المفسدين الضالين المضلين . فقد سمعت بان قومه اشقى أهل الأرض قاطبة .

[قال إبراهيم] : وأنا أيضاً مشغول البال لأجله . ولما سمعت من شقاوة قومه .

[سارة] : يا نبي الله : دعنا نرسل إليه (إليعازر) الدمشقي يتفقد أحواله . ويحمل بعض الهدايا ويبلغه السلام .

[قال إبراهيم] : حسناً رأيتِ يا ساره : يا إليعازر.

[إليعازر] : لبيك يا خليل الرحمن مرني بأمرك .

[قال إبراهيم] : إذهب الى سدوم حيث لوط . وتفقد أحواله . واتحفه ببعض الهدايا واقرأ عليه منا السلام .

[إليعازر] : أمرك مطاع . يا خليل الرحمن .

[الراوي] : (وسار إليعازر حتى دخل سدوم . وتفقد أحوال لوط . وبلغه سلام واحترام آل إبراهيم . وعلم منه ما علم من جرائم قومه . . . ولما كان شيخاً كبيراً ليس فيه مطمع أعرض عنه القوم . غير أنه لم ينج من شرهم بل ضربه سدومي بحجر شج رأسه . وكانت الحادثة الآتية) .

[طائح] : يا حمور : بالأمس البعيد نهيت لوطاً عن أن يدخل في بيته

---

(١) سارة هذه زوجة الخليل وام اسحاق . وسارة أيضاً بنت لوط .

أحداً من العالمين . أو يجير علينا أحداً نريده لشهوة . وها هو قد ادخل هذا الشيخ داره .

[**حمور**] : الصيد جرادٌ يا طائح . شيخ أكل عليه الدهر وشرب . انظر الى تجاعيد وجهه . ودقة ساقيه .

[**بقوا**]: لا بد لي من إهانته . فهذا الفهر[1] سيثقب رأسه (وضربه بالحجر) .

[**إليعازر**] : (آخ آخ) ما ذنبي حتى تقذفني بالحجر الذي أسأل دمي . يا مجرم .

[**بقو**] : هذا لمصلحتك ولي عليك الأجر (ثلاث شواقل) أجر ما فصدت لك الدم .

[**إليعازر**] : اتضربني يا مجرم بحجرك وتسيل دمي . ويكون لك على ذلك أجر ؟

[**بقو**] : نعم لي أجر . وأي أجر أرأيت لو بقي هذا الدم في جسدك لأخرسك . فربما نزل على عينك فاعماها . أو أذنك فأصمها . ولربما تخثر فاحدث اسنداداً ادى لوفاتك . ادفع لي اجري او سر معي الى قاضي سدوم ليفصل بيننا .

[**إليعازر**] : بل أسير الى القاضي ليحكم لي بالقصاص منك . فان الجراح في الشرائع قصاص .

[**بقو**] : سر بنا وذاك القاضي ومجلس القضاء العادل .

[**إليعازر**] : سر بنا . (فوصلا الى القاضي) .

[**إليمازر**] : أيها القاضي .

[**بقو**] : اسكت يا غريب حتى أرفع دعواي عليك .

[**القاضي**]: اسكت يا شيخ هو من المقربين وأولى منك بالكلام .

[**إليعازر**] : تكلم يا سدومي فالدعوى واضحة .

[**بقو**]: أيها القاضي : احكم لي على هذا الشيخ فصدت دمه بفهري[2] ولم يعطني اجري .

---

(١) الفهر الحجر ملأ الكف .

(٢) الفهر الحجر ملء الكف .

[**القاضي**] : لماذا لا تعطيه اجر فصدك بفهره أيها الشيخ ؟

[**إليعازر**] : ضربني بالحجر واسال دمي مما يوجب عليه القصاص . فاحكم لي عليه بالقصاص .

[**القاضي**] : ما حجتك يا بقو

[**بقو**] : أيها القاضي إن الدم السائل من رأسه أسلته لمصلحته . فلو نزل هذا الدم على عينيه لأعماهما أو نزل على اذنيه لأصمهما . وربما خرج من جلده فاحدث قروحاً . فاسلته لمصلحته .

[**إليعازر**] : أيها القاضي . ما هذه الحجة . . إنها لحجة داحضة .

[**القاضي**] : أسكت . . أسكت يا غريب . يا حقير : إن الدم لو بقي برأسك لأضرك إدفع له حقه .

[**إليعازر**] : أهذا قضاؤك يا قاضي سدوم ؟

[**القاضي**]: نعم هذا قضائي فادفع بالتي هي أحسن. وبدون ثرثرة .

[الراوي] : (ولكن إليعازر تلميذ إبراهيم خليل الرحمن . الذي لا يهاب ملوك الأرض . ما كان منه الا أن ينتقم بيده من غير خوف أو وجل . فاخذ حجراً من الأرض وضرب به رأس القاضي . فأسال دمه وقال) :

[**إليعازر**] : (هاه) وها أنا أفصدك أيها القاضي قصاصاً لي . والأجر الذي وجب لي عليك ادفعه لضاربي السدومي أجرة إسالَتِهِ دمي[1] .

[**القاضي**] : أضربوه . . اضربوه .

[الراوي] : (فانهالوا عليه ضرباً باليمين . ولم ينج من أيديهم الا بشق الأنفس . فعاد إلى إبراهيم فأخبره الخبر . وهذا من بعض جرائمهم . وأقام بهم لوط بضعاً وعشرين سنة ولم يؤمن منهم أحد . وليس بهم رجل رشيد . فحقت عليهم كلمة العذاب فأخذهم الله بذنوبهم وما ربك بظلام

---

(١) قال ابو العلاء المعري : واي امرىء في الناس الفىٰ فأقضيا . . ولم يمض أحكاماً لحكم سدوم يشير الى هذه القصة بالذات .

للعبيد[1] . فكانت قصة ضيف إبراهيم الآتية) .

أدر الحديث وطف على الأقدام ... من شيِّقٍ شغِف الفؤاد وظام[2]
قوم أمضَّهم البلاء وهدهم ... طغي السُراة وقسوة الظلَّام
يا صاحب القصص الحكيم شهادةً ... من مؤمن برسالة الاسلام
انصفت دين الحق فانتبهت له ... أحلام قوم في الظلام نيامِ

المؤلف محمد حمزه
ماجستر في علوم القرآن

---

(١) وهؤلاء هم اصحاب المؤتفكة قال تعالى ﴿ والمؤتفكة أهوى ﴾ يعني أئتفكت بأهلها اي انقلبت .

(٢) شغِف الفؤاد مشتاق القلب . ظام ظمآن .

الحلقة الثامنة عشرة

ضيف ابراهيم عليه السلام وهلاك قوم لوط (المؤتفكة)

قصة ضيف إبراهيم المكَرَّمين

[الراوي] : (كان إبراهيم عليه السلام لا يأكل إلا مع الأضياف . فربما سار الميل والميلين ليعثر على ضيف يأكل معه . ولكنه انقطعت عنه الضيوف خمس عشرة ليلة . فظن أن ذلك عقوبة من الله . فكان بينه وبين زوجه سارة الحديث التالي) :

[قال إبراهيم]: يا سارة إني في غاية من الهم والغم والحزن الشديد.

[سارة] : ما يحزنك يا نبي الله . لعلي استطيع تفريج كربك . نفسي فداك.

[قال إبراهيم]: مضى علينا خمس عشرة ليلة ولم يأتنا ضيف واحد. اخشى أن يكون ذلك عقوبة من الله تعالى . إذا لم تكن نقمة من الله فلا أبالي.

[سارة] : خفض عليك يا خليل الرحمن : فان هذا يهيضك[1] سيرزقنا الله أضيافاً كراماً .

---

(١) هاضه يهيضه اضعفه .

[**قال إبراهيم**] : مثلك يا سارة من يبشر بخير . وها أنا أذبح عجلاً سميناً وأحنذه[1] على حر الحجارة حتى ينضج تماماً استعداداً للضيوف الكرام .

[**سارة**] : إبشر يا خليل الرحمن : إن الله يكرم كل كريم .

فترة

[**سارة**] : يا خليل الرحمن . . يا خليل الرحمن . ها هو البشر والله قد أتى. أمَّ بيتنا ثلاثة ضيوف كثلاثة أقمار. ما أجمل وجوههم. وما أبيض ثيابهم .

[**قال إبراهيم**]: يا مرحباً بضيوف الله . . يا مرحباً بضيوف الله .

[**قال الضيوف**]: (بأصوات ضخمة) السلام عليكم : السلام عليكم : السلام عليكم . (أي القى السلام ثلاثتهم)

[**قال إبراهيم**] : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . ضيوف كرام وفدوا من لدن كريم .

(فراغَ[2] إلى أهله فجاء بعجل سمين)

[**قال إبراهيم**] : يا سارة لم يزرني ضيف أجمل ولا أكرم من هؤلاء الضيوف . وها أنا اقدم لهم تمام العجل المحنيذ وقومي أنت بتقديم الماء وما يلزم . حتى نخدم أضيافنا بأنفسنا .

[**ساره**] : إن الله يكرم كل كريم . وإنا على استعداد للخدمة .

[**الراوي**]: **(ثم وضع المائدة أمام الضيوف وقال: بسم الله الرحمن الرحيم)** .

[**قال إبراهيم**] : تفضلوا على ما قسم الله تعالى .

(فقبضوا أيديَهم عن الطعام)

[**قال إبراهيم**] : ألا تأكلون .

[**الراوي**] : **﴿ فنكثوا اللحم بسهام كانت في أيديهم . كعادة الذي**

---

(١) حنذ اللحم شواه على الحجارة المحماة من غير أن تمسه النار .

(٢) اي ذهب الى اهله في خفية وتكلم الى اهله بدون ان يسمع الضيف .

يريد الغدر . فَنَكِرَهم إبراهيم . وأوجس[1] منهم خيفة وقال) .

[**قال إبراهيم**] : ما لكم لا تأكلون ؟

[**ضيف**] : إنا لا نأكل طعاماً قط إلا بثمن . فما ثمن طعامك ؟

[**قال إبراهيم**]: ثمن طعامي أن تذكروا الله في أوله. وتحمدوه في آخره .

[**ضيف**] : (يلتفت الى أصحابه) : بحق اتخذ الله هذا خليلاً .

[**ضيف**] : لا تخف يا خليل الرحمن . انا جبريل . وهـذا أخي ميكائيل . وهذا أخي إسرافيـل. وقد جئنـاك بالبشـرى السارة . إن الله سيرزقك من زوجتك سارة، إسحاق نبياً من الصالحين . ومن وراء إسحاق يعقوب من المرسلين .

[**سـارة**] : (رفعت الستـار وصـرخت) . الله أكبـر . الله الله (ضحكت فرحاً . وصكت وجهها) : يا ويلتاه أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً . ان هذا لشيء عجيب[2] .

[**جبريل**] : ﴿ أتعجبين من أمر الله . رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴾[3] أنظري يا ساره الى سقف البيت . (نـظرت الى سقف بيتها فاذا جذوعه مورقة مثمرة) :

[**سارة**] : أشهد ان الله على كل شيء قدير . وأنه يحيي العظام وهي رميم .

[**قال إبراهيم**] : يا أخي يا جبريل . ويا أخي يا ميكائيل . ويا أخي يا إسرافيل. نحمد الله تعالى على بشارتكم السارة وكان يكفي لها أحدكم (فما خطبكم أيها المرسلون) لا بد لاجتماعكم من أمر خطير .

[**جبريل**]: ﴿ إنا أُرسِلنا إلى قوم مجرمين * لنرسل عليهم حجارة من

---

(١) أوجس منهم خيفة اضمر خوفاً .

(٢) كانت سارة عند ولادة إسحاق بنت تسعين سنة . وابراهيم ابن تسع وتسعين . وهذه الآية تدفع اليهود لقولهم إن الذبيح اسحاق . فكيف يؤمر ابراهيم بذبحه وقد بشر بولده يعقوب مما يؤذن بكذب المخبر .

(٣) الآية ٧٣ من سورة هود.

طين[1] * مسومة[2] عند ربك للمسرفين ﴾[3].

[**قال إبراهيم**] : ويلاه ويلاه . هلك قوم لوط .

[**جبريل**] : ﴿ إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين)

[**قال إبراهيم**] : يا أخي يا جبريل : إن فيها لوطاً وأهله .

[**جبريل**] : (نحن اعلم بمن فيها لننجِّينَه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين)[4]

[**قال إبراهيم**] : أرأيتم إن كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونهم ؟

[**جبريل**] : لا . لا نهلكهم .

[**قال إبراهيم**] : فاربعون ؟

[**جبريل**]: لا . لا نهلكهم.

[قال إبراهيم] : فثلاثون ؟

[**إبراهيم**] : لا . لا نهلكهم .

[**قال إبراهيم**] : فعشرون ؟

[**جبريل**] : لا . لا نهلكهم .

[**قال إبراهيم**] : فعشرة ؟

[**جبريل**] : لا . لا نهلكهم (يا إبراهيم أعرض عن هذا[5] إنه قد جاء أمر ربك . وإنهم آتيهم عذاب غير مردود .

[**قال إبراهيم**] : قوم ليس فيهم عشرة من المسلمين لا خير فيهم . لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

[**جبريل**] : صدق ربك يا خليل الرحمن حيث قال (إن إبراهيم

---

(١) أي طين مشوي بنار جهنم فكان (آجراً) .

(٢) مسومة معلمة مكتوب عليها اسم غريمها .

(٣) الآيات ٣٢ ـ ٣٤ من سورة الذاريات.

(٤) الغابرين الباقين في العذاب .

(٥) أي لطمت وجهها على عادة النساء عند النعي .

(٦) أي يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدال إن عذابهم قضاء مبرم ليس له رد .

لحليم اواه منيب)[1] وقد أمرنا ربك ان لا نهلك قوم لوط حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات بالله أنهم اشقى أهل الأرض .

[**قال إبراهيم**] : الحمد لله رب العالمين .

[**الراوي**] : **(ولما فصلت الملائكة عن إبراهيم أتوا أرض سدوم[2] في صورة شبان حسان فبصرت بهم بنات لوط وكن يستقين الماء. فكانت المحاورة الآتية)** .

[**سارة**][3] : ما شأنكم أيها الشبان . ومن أين أتيتم . وأين تريدون ؟

[**جبريل**] : لنا شأن . وأتينا من حبرون . ونريد هذه القرية سدوم .

[**مسرة**] : إن أهل هذه القرية أهلُ سوء . وأصحابُ الفراحش فاشفق عليكم من دخول المدينة .

[**جبريل**] : ألا يوجد في المدينة من يضيفنا ؟

[**مسرة**] : نعم يوجد . ولِمَ لا ؟ على رِسلكم حتى آذن ابي لوط ليستقبلكم .

(واسرعت مسرة فأتت اباها قائلة)

[**مسرة**] : يا أبتاه . أرادك فتيان على باب المدينة . ما رأيت وجوه قوم قط أصبحَ من وجوههم . وأخافُ أن يعلم بهم قومك فيفضحوهم .

[قال لوط]: ويلاه. ماذا أفعل. الضيف ضيف الله. وردُّه يوجب سخط الله. وإن قبلتهم أخشى الفضيحة والعار. سِيري بنا يا بنيتي حتى نستقبلهم. ونستعين بالله عزّ وجلّ.

---

(١) الحليم كثير الحلم . الذي يصفح عن الذنوب ويصبر على الأذى . أواه : دعاء اي يكثر الدعاء . او يكثر التأوه . كان الخليل يقول : آه من النار قبل ان لا تنفع آه . قال ابو ذر كان رجل يكثر الطواف بالبيت ويقول أوه . فشكي ابو ذر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له دعه . فإنه أواه.

(٢) وكان بين ابراهيم وسدوم أربعة فراسخ .

(٣) قيل اسماء بنات لوط سارة ومسرة ومؤمنة والله أعلم .

(سارا حتى باب المدينة . فرأى ثلاثة فتيان كأنهم اقمار)

[**جبريل**] : **السلام عليكم : نريد أن تضيفنا الليلة .**

[**قال لوط**] : وعليكم السلام . اضياف كرام . والله المستعان . آه . لا حول ولا قوة إلا بالله (هذا يوم عصيب)[1] .

[**جبريل**]: يا لوط: ما لك ضقت بنا ذرعاً[2] وتأففت وتذمَّرت. لعلك أُسِئت بمجيئنا؟.

[**قال لوط**] : ما كل ما يعلم يقال . وإنكم لخير ضيف حل بأرض قوم . وحسن الصورة يدل على حسن السريرة . ولكن . .

[**جبريل**] : ولكن ماذا يا لوط؟

[**قال لوط**] : أو ما سمعتم بعمل هؤلاء القوم أهل هذه المدينة ؟

[**جبريل**] : وما عملهم ؟

[**قال لوط**] : أشهد بالله أنهم أشر قوم على وجه الأرض .

[**جبريل**] : (التفت الى رفاقه وقال)[3] : هذه واحدة : فما شرهم يا لوط .

[**قال لوط**] : والله لم أجتمع بقوم أفسق منهم .

[**جبريل**] : (وهذه الثانية] : سر بنا يا لوط ننظر هؤلاء الفاسقين .

[**قال لوط**] : واللهِ إن فسقهم لا يخطر على بال . لا أريد أن أرى وجوههم الكالحة .

[**جبريل**] : (وهذه الثالثة) : ولماذا هذه الكراهية يا لوط .

[**قال لوط**] : والله إنهم لشر قوم في الأرض . إنهم ابتدعوا فاحشة ما سبقهم بها أحد من العالمين . إنهم ليأتون الرجال شهوة من دون

---

(١) عصيب شديد .

(٢) ضاق بهم ذرعاً . اغتم لزيارتهم مأخوذ من البعير اذا اثقله حمله ضاق ذراعه بالخطى .

(٣) مر ان جبريل عليه السلام قال لأبراهيم وهو يحاوره : إن الله أمرنا ان لا يهلك قوم لوط حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات بالله أنهم لشر اهل الأرض . وكلما شهد لوط عليهم يعدها جبريل مع رفاقه حتى بلغ الشهادة الرابعة . وهي تشبه شهادة الملاعنة في الاسلام .

النساء . . ويفعلون هذا علانية من غير حياء ولا خجل . ولا خوف من رب العالمين .

[**جبريل**] : (وهذه الرابعة) : سر بنا يا لوط إلى دارك والله ناصرك عليهم .

[قال لوط]: سيروا بنا يا كرام من هنا من خراج القرية حتى لا يرانا أحد .

[جبريل]: كما تريد.

[الراوي]: **(وساروا حتى دخلوا دار لوط . فلما نظرت وفقة زوجة لوط جمالهم الفائق خفت الى نادي قومها)**

[**وفقة**] : (**يا** طائح . يا حمور . **يا** بقو . يا مطاميط . في بيت لوط ضيوف ما رأيت بحياتي أصبحَ منهم وجهاً ولا أجملِ خلقاً فدونكم وإياهم .

[**طائح**] : (يصفر) : صيدٌ ثمين . شكراً لكِ يا وفقة .

[**حمور وبقو ومطاميط**] : (يصفقون) : عليهم يا رجال .

الراوي] : **(وجاءه قومه يهرعون)**[1] **وطرقوا الباب بشدة.**

[**طائح**] : يا لوط أخرج إلينا ضيوفك .

[**قال لوط**] : يا قوم ﴿إن هؤلاء ضيفي﴾ وحق على الكريم إكرام الضيف ﴿فلا تفضحون . واتقوا الله ولا تخزون ﴾[2] .

[**طائح**] : يا لوط (ألم ننهك عن العالمين) ونقل لك لا تجر علينا أحداً . ولا تدافع عن أحد . فإنَّ كل من يدخل هذه البلدة صيد لنا وغنيمة باردة .

[**حمور وبقو ومطاميط**] : (يصفرون ويصيحون) أخرجهم ودعك من المجادلة وإلا رجمناك .

[**قال لوط**] : ﴿يا قوم هؤلاء بناتي[3] هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا

---

(١) يهرعون اي يسرعون وصدورهم ترعد .

(٢) الآيتان ٦٨ و٦٩ من سورة الحجر.

(٣) يرى بعض المفسرين ان المقصود نساؤهم نسبهن لنفسه باعتبارهم من قومه وهذا بعيد لأنهم كفار والنبي برىء منهم . والظاهر ان المراد بناته الصلبيات وكن ثلاث يقدمهن بالنكاح =

تخزونِ في ضيفي أليس منكم رجلٌ رشيد﴾؟ .

[**حمور وبقو ومطاميط**] : ﴿قالوا: لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ ولا حاجة ولا شهوة ﴿ وإنك لتعلم ما نريد ﴾[1] .

[**لوط**] : ﴿قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾ (وأغلق الباب بشدة) : ليتني بين عشيرتي لترون النكال الشديد . ولكنني استعين **بالله الفعّال** لما يريد .

[**طائح وحمور وبقو ومطاميط**] : (اقتحموا الباب بشدة وتسور بعضهم الجدار وهم يصيحون) : إفتح افتح الباب . والا تسورنا الجدار وكسرنا الباب .

[**جبريل**] : يا لوط يا لوط : إن ركنك لشديد . وإنهم آتيهم عذاب غير مردود . وإنا رسل ربك . فافتح الباب ودعنا وإياهم.

[**قال لوط**] : هاه : قد فتحت الباب . فادخلوا الى البلاء والدمار يا أعداء الله .

المؤتفكة

[**الراوي**] : (**فاقتحموا الدار . فما أن رأوا فتياناً كالأقمار حتى انقلب جبريل الى صورته الملكية وضربهم بجناحه فطمست أعينهم حتى صارت كالوجه لا يرى أحد لها ثقباً**) .

[**طائح**] : ويلي . ويلي . إن في بيت لوط قوماً هم أسحر أهل الأرض . وقد سحرونا فأعموا أبصارنا .

[**حمو وبقو ومطاميط**] : (يولولون) : يا لوط . يا لوط . مكانك حتى تصبح فسترى الرجم والعذاب الأليم.

[**جبريل**] : يا نبي الله ﴿يا لوط إنا رسل ربك﴾ أنا جبريل وهذا أخي ميكائيل . وهذا أخي اسرافيل . ﴿ لن يصلوا اليك . فاسرِ بأهلك

= الشرعي وكان جائزاً زواج كافر من مسلم اي كما كانت زوجته كافرة . وفي هذا منتهى الكرامة . أو كان ذلك لعلمه انهم يستنكفون .

(١) الآيتان ٧٨ و٧٩ من سورة هود.

بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم ﴾[1]

[قال لوط]: الآن الآن بادروهم بالعذاب يا أخي يا جبريل. فإنهم أشقى أهل الأرض.

[جبريل] : ﴿ إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ﴾[1] وأن الله قد وكل بهذه القرية ملائكة معهم صوت رعد . وخطف برق . وصواعق عظيمة . وقد ذكرنا لهم أن لوطاً سيخرج فلا تؤذوه . وإمارته أنه لا يلتفت على قومه . وبناته لا يلتفتن .

[الراوي]: فخرج لوط وبناته . وتبعتهم زوجته وفقه[2]. ولم يلتفت منهم أحد إلا وفقه التفتت وصرخت واقوماه . فأدركها حجر فاهلكها . ثم ثارت الرياح العاتية التي تحمل الحصباء وأدخل جبريل جناحه تحت قرى قوم لوط[3] فرفعها من تخوم الأرض حتى ادناها من السماء بما فيها . فسمع أهل السماء نهيق حُمُرهم . وصياح ديكتهم . لم تنكفئ لهم جرة ولم ينكسر لهم إناء . ثم نكسوا على رؤوسهم. وجعل عاليها سافلها . وصاحت فيهم الملائكة بأصوات أعظم من الرعود القاصفة . واتبعهم الله بحجارة من سجيل. من طين نار جهنم . حتى لا يبقى منهم شارد ولا وارد . فاصبحوا من الهالكين . واصبحت بلادهم غوراً متهدماً[4] ألا بعداً لقوم لوط كما بعدت ثمود .

هلاك قوم لوط

[قرآن كريم] : ﴿ كذبت قوم لوط بالنذر * إنا أرسلنا عليهم حاصباً[5] إلا آل لوط نجيناهم بسحر * نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر * ولقد انذرهم بطشتنا فتماروا بالنُذُرْ * ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر * ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر *

---

(١) الآية ٨١ من سورة هود.

(٢) وفقة زوجة لوط الكافرة هي غير رفقة بالراء وهي زوجه نبي الله اسحاق كما سيأتي .

(٣) وهي خمسة كما تقدم سدوم وعامورا ودادوما وصعدة وقتم .

(٤) وهي مكان البحر الميت . وهم اصحاب المؤتفكة . اي المنقلبة على رؤوس أصحابها .

(٥) حاصباً ريحاً شديدة تحمل الحصباء .

فذوقوا عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدَّكِر ﴾[1].

لسان حال لوط لعدم إيمان قومه يخاطب نفسه .

ما بال طرفك لا يعروه إغفاء ... وما لجفنك يهمي[2] وهو بكَّاء
ينصب حتى يكادُ الغيثُ يشبهه ... لو أن منصبَّه الياقوت لا الماء
حدِّث فيا طالما أمسيتَ ذا لَسَنٍ ... فيه إذا شئتَ للتحديثِ إمضاء
هذا فديتُك شأنٌ كنت أعهده ... لديك دهراً وأنتَ الآن بكَّاء

---

(١) الآيات ٣٣ ـ ٤٠ من سورة القمر.

(٢) همَى: الدمع سال يهمي يسيل.

الحلقة التاسعة عشرة

زواج إسحاق عليه السلام: وولديه العيص ويعقوب

اسحاق عليه السلام

[**مقدمة**] : تقدم أن قصة إسماعيل وإسحاق ولوط فروع من قصة البطل إبراهيم عليهم السلام . وقد تقدمت البشارة باسحاق في قصة لوط عليهما السلام . ولم يذكر من قصة إسحاق في القرآن الكريم إلا البشارة وأنه غلام عليم . وأنه نبي من الصالحين . وأن الله بارك عليه . لذلك أغفلها اكثر الكاتبين في قصص الأنبياء . وقد ذُكِرَت قصة زواج إسحاق في الاصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين[1] . كما أشار إلى ذلك المسعودي في مروج الذهب . وملخص ذلك أن إبراهيم الخليل لما شاخ أتى بعبده إليعازر الدمشقي . واستحلفه ان لا يأخذ لولده إسحاق من بنات الكنعانيين الموجودين في فلسطين[2] . بل يأخذ له زوجة من عشيرته وبني أبيه . وأنه لا يردُّ ابنه الى الأرض التي خرج منها اذا امتنعت الزوجة من

---

(١) اي من التوراة.

(٢) والكنعانيون من العرب العرباء . والسبب في عزوف ابراهيم عن زواج ابنه منهم لأنهم وثنيون .

الانتقال . فكأن الأحداث جرت على المنوال التالي :

[**إليعازر**] : يا حبيبي يا إسحاق : أوصاني سيدي الخليل أن لا ازوجك إلا من عشيرته . وإني منفذ لأوامره ومحافظ على عهده ما بقيت على وجه الأرض . وانه الآن بلغ من الكبر عتياً [1] وإني مسافر الى فدان [2] آرام لأختار لك رفيقة حياتك . فماذا ترى .

[**إسحاق**] : في حراسة الرحمن يا إليعازر. والحكيم لا يحتاج الى توصية . والبغية دين وحسب وجمال .

[الراوي] : (هيأ إليعازر ما يصلح أن يكون هدية للزوجة . وأخذ من الأموال والجمال والهدايا ما أحب ثم سافر الى فدام آرام . واناخ جماله خارج المدينة التي بها اسرة ناحور بن آزر شقيق ابراهيم . وإذا بفتاة آية في الجمال خرجت من المدينة وجرتها على كتفها فملأت الجرة من العين . فكأنها كانت المحاورة الآتية :

[**إليعازر**] : يا بنية . يا بنية . اسقني .

[**الفتاة**] : تفضل اشرب يا عم يا فاضل .

[**إليعازر**]: (أخذ الجرة) بسم الله (وشرب) الحمد لله رب العالمين.

[**الفتاة**] : إذن: انت من المسلمين [3] ؟

[**إليعازر**] : نعم من المسلمين والحمد لله رب العالمين . وانت أيضاً من المسلمين يا فتاة ؟ .

[**الفتاة**] : نعم إني من المسلمين .

[**إليعازر**] : ما أسمك واسم أبيك يا فتاة .

[**الفتاة**] : أنا رفقة بنت بتوئيل بن ناحور بن آزر .

[**إليعازر**] : إذن ابراهيم خليل الرحمن عم ابيكِ ؟

---

(١) يقال عتا الشيخ يعتو عتياً : إذا كبر وشاخ .

(٢) فدان آرام مدينة ولادة الخليل وردت بالنون والميم . ووردت أور.

(٣) ذكر أن ناحوراً شقيق ابراهيم أسلم مع ابراهيم ومنعته عائلته من الهجرة معه . وتمسكت عائلته بالاسلام لذلك كانت المصاهرة بين عائلة ناحور وعائلة ابراهيم . واما هاران شقيق ابراهيم الثاني وابو لوط مات كافراً كما تقدم .

[**رفقة**] : نعم هو عم ابي أخو جدي ناحور . وما يدريك بخليل الرحمن أيها الشيخ المبارك ؟

[**إليعازر**] : ستعلمين صلتي به يا رفقة .

[**رفقة**] : ألا أستقي لجمالك أيضاً . فأملأ جرتي وأريقها بهذا الحوض فتشرب منه جِمالك ؟

[**إليعازر**] : حسناً تفعلين يا رفقة . (وإنك لبغيتي من سفري)

فترة

[**رفقة**] : قد رويت جمالك يا عم .

[**إليعازر**] : شكراً يا رفقة . خذي هذه الخزامة الذهبية حلية لأنفك . وهذين السوارين الذهبيين حلية ليديك .

[**رفقة**] : شكراً لك يا عم : أكل ذلك لأني سقيت لك جِمالك ؟ إني لا أريد جزاءً ولا شكوراً.

[**اليعازر**] : بل هذه هدية وهبة مني اليك . فهل عند ابيك مكان لمبيت جِمالي ؟

[**رفقة**] : نعم : عندنا مبيت وعلف لجمالك . وها أنا مرسلة من يستقبلك .

[**الراوي**] : (**فأسرعت رفقة فرحة بحليها الى دار أهلها فحدثت أباها بتوئيل واخاها لابان عن الشيخ اليعازر .**

[**بتوئيل**] : أسرع يا بني يا لابان لاستقبال الشيخ لعله يحمل اخبار عمي ابراهيم خليل الرحمن كما زعمت رفقه .

[**لابـان**] : أمرك مطاع يا أبتِ .

[**الراوي**] : (**وخف لابان لاستقبال اليعازر . فأضافوه واكرموا مثواه**) [1] .

[**بتوئيل**] : أهلاً ومرحباً بالشيخ قدمت خيرَ مَقْدَم [2] .

---

(١) مثواه إقامته .

(٢) قدِمَ من سفره بالكسر قُدُوماً ومَقْدَماً بفتح الدال .

[**اليعازر**] : أهلاً بكم . آليت على نفسي ان لا يستقر بي المقام حتى أقضي حاجة سيدي إبراهيم خليل الرحمن .

[**بتوئيل**] : من تكون أنت من إبراهيم خليل الرحمن ؟

[**اليعازر**] : انا عبده الموكل على أمواله (**اليعازر الدمشقي**) .

[**بتوئيل**] : (**وقد انتصب قائماً احتراماً لعبد الخليل**) : أهلاً وسهلاً حاجتك مقضية بإذن الله .

[**اليعازر**] : أريد أن اخطب رفقة لاسحاق ابن سيدي إبراهيم .

[**بتوئيل**] : وهل هناك خير من اسحاق بن خليل الرحمن ؟ زوجتها لإسحاق إن قبلت التغريب .

[**رفقة**] : قبلت يا أبتِ: لعلي أرى عمي خليل الرحمن . لأني سمعت عنه الكثير . ولم تره عيني قط .

[**بتوئيل**] : إذن مباركة على إسحاق .

[**الراوي**] : (**فقدم لهم اليعازر المهر والهدايا والتحف وعاد بالعروس ينهب الأرض نهباً . فرحاً مسروراً حتى اذا وصل الى حبرون (الخليل) خف إسحاق لاستقبال اليعازر وما يحمل معه من الحلم الجميل**) .

[**رفقة**] : يا اليعازر : من هذا الشاب الذي خف لإستقبالك . الذي لم تر عيني مثله ولا من يدانيه .

[**اليعازر**] : هذا العريس اسحاق المبروك . يا عروسة .

[**الراوي**] : (**وهكذا تم الزواج الميمون فقرت عين الخليل كما كانت العروس عزاء لإسحاق عن فقدان سارة . . ولبثت رفقة طويلاً لم تنجب اولاداً ثم ولدت توأمين هما العيص ويعقوب . ولد اولاً العيص ثم أعقبه يعقوب**) [1]

---

(١) قال المسعودي في مروج الذهب ان اسحاق تزوج بعد وفاة ابراهيم . واكثر الروايات تنقل زواجه بحياة ابيه . والمعقول والمنقول : أن ابراهيم بشر باسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فالظاهر أنه يرى يعقوب والمنقول أن ابراهيم كان عمره عند ولادة إسحاق ٩٩ سنة. وولد يعقوب لاسحاق وكان سن اسحاق ستين سنة فيكون عمر الخليل عند ولادة يعقوب لاسحاق =

يعقوب عليه السلام

[**مقدمة**] : هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام . تقدم إن رفقة بنت بتوئيل بن ناحور بن آزور ولدت لإسحاق توأمين العيص ويعقوب . وذلك بعد كبر اسحاق . فترعرعا . وكان العيص مغرماً بالصيد . شريراً بطاشاً . ويعقوب وادعاً تقياً مسالماً . فمال قلب رفقة الى يعقوب اكثر من العيص . وفي أول الأمر كان إسحاق يقدم العيص على يعقوب . ثم مال الى يعقوبَ وتوسم فيه الخير والنبوة . فدعى له ولنسله بكل خير . فحقدها عليه العيص . وهدده بالأعتداء عليه فخافه يعقوب فشكى ذلك لوالده . فكانت القصة الآتية :

[**يعقوب**] : يا أبتِ إني أشكو اليك عيصو أخي . واستعديك على توعده وتهديده . فإنه منذ رمقتني بعين رعايتك ودعوت لي بالبركة . وتكهنت لي بنسل طيب . وعيش لين حسدني لهذه الدعوات التي اسبغتها علي . وحقد علي لهذه العلامات التي توسمتها فيَّ . فراح ينالني بقارص كلامه . ويحزُّني بوجيع تأنيبه . ويُخيفُني بتهديده ووعيده . وقد شكوت اليك لتحكم بيني وبينه بما وهبك الله من رأي حكيم وحلم راجح .

[**قال إسحاق**]: إنني كما ترى. في هذه اللحية البيضاء[1] أصبحت شيخاً متهدماً . وقفت بي الأيام على ثنية الوداع . وأنه يوشك أن يوافيني الأجل . ولا آمن عليك بعدي أن يعالنك اخوك بالعداوة . فقد رأيت أمارة ذلك. ولا أرى إلا أن تزمع رحيلاً إلى قدان آرام. حيث خالك لابان ابن

= ١٥٩ . اي قد تزوج اسحاق في زمن ابراهيم وولد له يعقوب وادرك يعقوب من عمر ابراهيم ١٦ سنة وهذا الصحيح كما جاء في التوراة وذكر السيوطي في التحبير ان اعمار ابراهيم واولاده واحفاده هكذا

ابراهيم عاش ١٧٥ سنة .

اسحاق ١٨٠ سنة .

يعقوب ١٤٧ سنة .

يوسف ١٢٠ سنة .

(١) قدمنا أن اسحاق لما ولد له من العمر ستين سنة. وهذه الحادثة كانت بعد ولادة يعقوب بما يقرب من عشرين سنة .

بتوئيل . فِبنِ على إحدى بناته . فإنك تنال العز والشرف والمجد والمتعة . ثم عد بعدها إلى هذه الأرض . وإني لأرجو لك عيشاً أخفض من عيش أخيك. ونسلاً طاهراً خيراً من نسله . والله يحفظك ويرعاك .

[**يعقوب**] : يا أبتِ: إن كلماتك هذه كانت على قلبي اندى من نقيع بارد [1] وجدت فيها راحة لصدري . وشفاء لفوادي . وقد حنّت روحي إلى منبت الآباء والأجداد . ولا سيما سمعت من الشيخ الجليل اليعازر الدمشقي رحمه الله . أن جدي خليل الرحمن عليه السلام أوصاه واستحلفه أن لا يختار لك يا والدي زوجة من الكنعانيين . بل يختار لك من بني آبائه وعشيرته حتى حظيت بوالدتي رفقة . صاحبة الحسب والدين والأخلاق . واني لأرى أن الذي فرق بيني وبين اخي العيص هو زوجتيه اللتين تزوج بهما من كنعان .

[**قال اسحاق**] : سافر يا بني الى خالك لابان والله يحفظك . وهذه أمك قد ارتاحت الى سفرك حفظاً لك .

[**رفقة**] : نعم يا بني أسرِ الى أخي لابان أسرى إيل [2] بك الى كل خير واقرأ على اخي والعائلة منا السلام .

[**يعقوب**] : يا والديَّ غرستما في قلبي الأمل . وشجعتماني على السفر . واني اودعكما بدموع سخية . وقلب حزين .

[**قال إسحاق**] : استودعك الله يا بني : سر في حراسة الرحمن . وارجو من الله تعالى أن يُريني وجهك سالماً غانماً .

[**رفقة**] : استودعك الله يا بني. والله يرعاك ويوفقك .

[**الراوي**] : **(وخرج يعقوب من الخليل [3] يخترق الصحاري . مسرياً بالليل وسائراً بالنهار . يرفعه نجد ويخفضه وهد [4] ولقاء خاله نصب**

---

(١) النقيع ما ينقع من التمر والزبيب ونحوه .

(٢) إيل بالعبرانية معناه الله . اي أسرى الله . ومن هنا سمى اسرائيل .

(٣) مدينة الخليل كانت تدعى حبرون كما تقدم ولما أن تشرفت باسرة الخليل وقبره الشريف دعيت بالخليل .

(٤) الوهد: كالوعد المكان المطمئن.

عينيه . وكلمات ابيه وامه ملء سمعه وبصره . وعناية الله ترعاه . وكلما اتعبه السير واضناه بعد الشقة يتذكر الأمل الذي بشره والده فيه . وفي آخر الطريق جعل يخاطب نفسه بتردد) .

[**يعقوب**] : آه يا يعقوب بعدت أمامك الشُقة [1] فهذه الصرحاء ممتدة الى آخر منتهى البصر . ورمال كأنه ليس لها آخر . وأدركه التعب والنصب . قف يا يعقوب وفكر . . أتواصل السير . وتستهل الصعب . وتستعذب الهوان . بل آثر العافية على هذا السفر الشاق الطويل . واقنع من الغنيمة بالإياب . اواه . . ما هذا التردد . مالي إلاّ أن ارتاح بظل هذه الصخرة . وانتظر الالهام من الله عز وجل .

[**الراوي**] : **(فما أن اسند ظهره الى الصخرة حتى ادركته سنة من النوم فرآى في منامه اباه اسحاق فكانت بينهما المحاورة الآتية) :**

[**اسحاق**] : مالك متردداً يا بني يا يعقوب ؟

[**يعقوب**] : يا أبتِ اضناني السفر . واحترقت قدماي من الحر . وبعدت أمامي الشُقة .

[**اسحاق**] : يا بني واصل السير . إن الله سيؤتيك عيشاً رضياً . ويمنحك ملكاً واسعاً . ويرزقك نسلاً طيباً مباركاً . يورثهم الأرض ويعلمهم الكتاب .

[**يعقوب**] : يا ابتِ شرحت جوانب نفسي . وغردت بلابل آمالي . وشحذت عزمي وعزيمتي . . أأنا في يقظة أم حلم (**واستيقظ يعقوب على هذه الحال**) .

[**يعقوب**] : الله الله . إن أبي نبي الله إسحاق لا يقول الهجر [2] وان الشيطان لا يتمثل بالأنبياء يا أبتِ لقد اطلقت نفسي من عِقالها . وفسحت أمامي رقعة الأمل . وها انا انطلق كالسهم أستأنف السير بعزم جديد .

[**الراوي**] : **(وطُويتَ الأرض وقُضِيتَ الأيام . فإذا هو مشرف على**

---

(١) الشقة : السفر البعيد .

(٢) الهَجْر : الهذيان .

سواد رآه . فعقد به جبل الأمل أن يكون هذا طليعة البلد . وموطن الشيخ لابان . وخف اليه مسرعاً . فوجد أن ظنه لم يخطىء ورجاءه لم يَخب . ها هي ذي اقدامه قد بدأت تبرد . وقلبه قد ذهب عنه الصدأ والفتور . ونفسه قد عاودها الجَمَام[1] وتلك هي قطعان الغنم واسراب الطير . وطلائع الشجر . بل أولئك رعاة يغنون . واطفال يهزجون[2] ويمرحون . اذن هو قد فارق الصحراء . ووقعت قدمه على ارض جده ابراهيم . التي نبتت فيها رسالته . وفي أرض خاله لابان التي يرجوها . فليسأل اذن أصحيح ما تكهن به . تقدم يعقوب الغريب سائلاً متلطفاً) .

[يعقوب]: عموا صباحاً يا معشر الشباب.

[راعٍ] : يا صباحاه .

[يعقوب] : ما اسم هذه المدينة ؟

[راعٍ] : فدام آرام .

[يعقوب] : (يسجد لله شكراً) : أفيكم من يعرف لابان ابن بتوئيل ؟

[راعٍ] : ومن منا لا يعرف لابان صِهْرَ اسحاقَ الرسول . انه عميد بيته . وشهابٌ قومه . وصاحب هذه القطعان . التي تسيل بها هذه البطاح[3] .

[يعقوب] : وهل فيكم من يدلني على داره . أو يرشدني الى مكانه ؟

[شاب راعٍ] : ها هي بنته راحيل مقبلة تعدو وراء الظباء[4] .

[الراوي] : (التفت يعقوب فإذا فتاة قسيمة الوجه[5] كاملة الخَلق . ذات رونق معجب . وحسن بارع فاضطرب فؤاده . وأحس كأن

---

(١) الجَمَام: كسحاب الراحة.

(٢) الهزج: التطريب بالصوت.

(٣) البطاح: جمع بطحاء وهي مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

(٤) الظباء: الغزلان. وكانت تطاردهن.

(٥) القسامة: الحسن.

حبسة تعقل لسانه . فغاب عن صوابه فلم يدر ما يقول . فتحير ماذا يقول . وبأي لسان ينطق . فسكت يستجمع قواه ولسان حاله يقول :

لسان حال يعقوب

ومن بين الظباءِ مَهاة رمل[1] سبت لبي وقد ملكت قيادي
لها لحظ تردده لأمر وذاك اللحظ يمنعني رقادي
اذا سدلت ذوائبها عليه رأيتَ البدر في جنح السوادِ
كأن الصبح مات له شقيق فمن حزن تسربل بالحدادِ

(١) أصل المهاة البقرة الوحشية . وعينها من أجمل العيون تشبه بها المرأة العيناء اي واسعة العينين .

الحلقة العشرون

زواج يعقوب عليه السلام
من ليا وراحيل ويوسف الطفل في الجب

يعقوب عليه السلام

[الراوي]: (بلغ يعقوب سهول فدام آرام يسأل عن خاله لابان ابن بَتوْئيل الذي يطمع أن يزوجه إحدى بناته. فقيل له هذه ابنته راحيل التي تعدو وراء الغنم والظباء. فالتفت. فاذا فتاةٌ تدهش العقول. حسناً وجمالاً. كاملة الخلق. تَدِق عن الوصف. فاضطرب فؤاده. وتلجلج لسانه. وحار في أمره ماذا يتكلم. ولكنه جمع نفسه. واسترد بعيد حلمه وعقله. وتقدم اليها قائلاً).

[يعقوب] : ما اسمك يا فتاه ؟ وما اسم أبيك ؟

[الفتاة]: أنا راحيل بنت لابان بن بَتوْئيل.

[يعقوب] : إذن إن بيني وبينك قرابةً وشيجةً[1] ورحماً وثيقة. انا يعقوب بن إسحاق الرسول. وابن عمتك رفقة بنت بتوئيل. نزحت من أرض كنعان. وقطعت هذه الصحاري التي تصهر الجلد. وتدمي القدمين.

---

(١) اصيلة. والوشيج الجُذُور.

واقتحمت الصعاب . لأجل ان ألقى خالي لابان لأمر جلل . وارجو أن تكوني أنت الغنيمة .

[الراوي] : (نظرت الفتاة الى فتىً جميلٍ يأخذ بمجامع القلوب . قد امتلأ جمالاً وبهاء وكمالاً ولو كان أضناه السفر فردت بطرف غضيض) .

[راحيل] : مرحباً يا ابن العمة . قدمت خيرَ مقدم . سر بنا الى خالك . الذي طالما يحدثنا عن صهرنا اسحاق الرسول . وعن عمتي رفقة . وولديها التوأمين العيض ويعقوب . وإنني لسعيدة برؤياك .

[الراوي]: (وفيما هو في الطريق. أَحَسَّ كأن اضطراباً بفؤاده. أو كأن طائراً طار من قلبه .أكان ذلك لرؤية هذه الفتاة . التي قد تكون أملَه المنشود[1] . وتأويل رؤياه التي رآها في الصحراء . أم كأنه قد اعتراه ما يعتري العاجز عن تحقيق مناه . ولكنه على كل حال ملك نفسه حتى التقى بخاله وما أن رآه خاله حتى عانقه طويلاً . واغرورقت عيناهما بالدمع فرحاً . وأحله من نفسه وأهله منزلة رفيعة . فكانت المحاورة الآتية) .

[يعقوب] : يا خال . أرسلني أبي اسحاق الرسول . كما أرسلتني أمي شقيقتكم رفقة . وهما يقرآنكم السلام ويرجوان أن تنكحني إحدى بناتك . وقد رأيت راحيل وحلت بقلبي منزلة رفيعة . فهل لك أن تتكرم وتجعلها شريكة حياتي ؟

[لابان] : نعم . وتُكرمُ عينك . ومن يكون أكفأ لراحيل من ابن اسحاق الرسول وابن رفقة بنت بتوئيل قد اجبتك الى سؤالك . ولو كانت راحيل هي صغرى بناتي . فما معك من (الترهانو)[2] يا بن رفقة ؟

[يعقوب] : لا يوجد معي شيء . وأنا شديد الأسف ولكني مستعد لخدمتك برعي الغنم بالصداق .

[لابان] : اذن تقيم عندي سبع حجج ترعى الغنم لتكون لك صداقاً لما تريد .

[يعقوب] : وافقت على ذلك وستجدني إن شاء الله أميناً نشيطاً .

---

(١) المنشود المطلوب .

(٢) الترهاتو المهر بلغة بابل .

[**الراوي**] : (**وأخذ يعقوب يرعى الغنم والأيام تمر بمعسول المنى . حتى انتهى الأجل . ولم يكن في عزم الشيخ لابان النكل في عهده غير أن كبرى بنتيه (ليا) التي لا تداني راحيلَ بالجمال رأت يعقوبَ كأنه ملَكٌ حُسناً وجمالاً فضنت به على اختها راحيل . فأتت أباها لابان قائلة**) .

[**ليا**] : يا أبت هل في عادت قومك أن يزوجوا صغرى بناتهم قبل الكبرى ؟

[**لابان**] : لم تجر هذه العادة . يا بنيتي يا ليا . ولكن نفسي لم تستجب لي أن أصد يعقوبَ عن راحيل . بعد أن امتلأت منها نفسه . وتعلق بها أمله . وبادلته العواطف .

[**ليا**] : ولو عرضتني عليه لقبل .

[**لابان**] : أفعل يا بنيتي . سأعرض عليه فان أجاب أكون سعيداً .

فترة

[**لابان**] : يا يعقوب ابن رفقة .

[**يعقوب**] : نعم يا خال .

[**لابان**] : لقد انتهى الأجل المضروب لزواجك براحيل . ولكن عادة قومنا أن لا يزوجوا البنت الصغرىٰ قبل الكبرىٰ . فإني سأدفع لك (ليا) بمهر راحيل .

[**يعقوب**]: (قد اضطرب وناءت رجلاه بحمله): لم يكن هذا العهد بيني وبينك يا خال . وإني لقولك لآسف ومحَزون.

[**لابان**] : لا تحزن يا يعقوب : فهذه ليا وإن فضلتها راحيل بجمالها . فانها تدانيها في كمال عقلها وحزمها . فخذها بما قدمت من مهر . وان شئت راحيل فامض عندي سبع حجج أخرى يكون لك صداقاً آخر . ازف إليك به راحيل كريمة عزيزة إكراماً لعينك[1] .

[**يعقوب**] : قبلت بذلك يا خال . ولا أَصُدُّ لك رغبة . وقد غمرتني بإحسانك .

---

(١) لم يكن في شريعتهم ما يمنع من الجمع بينُ الأختين .

[الراوي] : (وهكذا تزوج يعقوب ليا أولاً . ثم تزوج بعدها راحيل بعد سبع سنين . كما وهب لابان لبنتيه أمتين هما زلفا وبلهى فتحببتا بهما الى يعقوب فمن الأربع رزق يعقوب اثنا عشر ولداً هم الاسباط ودفع له خاله نتاج سنة من الغنم فنمى حتى كثر وضاقت به البطاح . فعاد بالعائلة الى كنعان يحمل الهدايا لأخيه العيض على وجل . ولكن العيض استقبله برحابة صدر . وقابله مقابلة حسنة[1] وإلى هنا انتهت قصة يعقوب عليه السلام منفردة عن قصة يوسف . وسيمر الكثير من قصته مع قصة يوسف عليهما السلام) .

يوسف عليه السلام

[مقدمة] : يوسف : هو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم[2] يوسف بن يعقوبَ بن إسحاقَ بن ابراهيم عليهم السلام . وأمه راحيل بنت لابان بن بتوئيل بن ناحور بن آزر (والد إبراهيم) . ولد في فدام آرام[3] ثم هاجر به أبوه إلى كنعان (فلسطين ـ الخليل). وتوفيت أمه راحيل نفساء بعدما ولدت بنيامين بأرض كنعانَ . وتقدم أن يعقوب عليه السلام تزوج أولاً ليا بنت لابان فولدت له ستة أولاد ذكور . وهم : روبيل ، ويهوذا، وشمعون، ولاوىٰ، ويشحر، وزيالون. وتزوج عليها اختها راحيل[4] فولدت له : يوسف : وبنيامين . وكانت راحيل قد تأخرت في إنجاب الأولاد فتحببت لزوجها بأمتها بلهى فولدت له ولدان: هما: دان، ونفتالي . فغارت ليا من اختها راحيل . فوهبت زوجها أمتها زلفا فولدت له أيضاً ولدان : هما هماجاد وآشر . فكان مجموع أولاد يعقوب اثنا عشر ولداً هم الاسباط كما تقدم .

---

(١) عاد يعقوب عليه السلام الى كنعان بعد عشرين سنة تقريباً فوجد اباه اسحاق عليه السلام على قيد الحياة . وقد شاخ وعمي . فسر اسحاق بيعقوب ونبيه كما سر العيص بذلك

(٢) هكذا جاء نعته في الحديث الشريف .

(٣) كان ابوه يعقوب يرعى الغنم عند لابان بن بتوئيل والد زوجتيه ليا وراحيل مقابل المهر كما تقدم بقصة يعقوب .

(٤) وكان يجوز الجمع بين الأختين .

وكان يوسف عليه السلام قد ذهب بشطر الحسن . فكأن الحسن قسم بينه وبين أمه راحيل . أو كأنه ورث تمام الحسن عن أمه راحيل وأبيه يعقوب . وجده إسحاق وجدته رفقة . كما ورثه عن جده إبراهيم وجدته سارة . ذرية بعضها من بعض . كما جمع يوسف مع الجمال اللطف والخلق والكمال ، ماتت أمه راحيل وكانت أثيرة محببة عند أبيه يعقوبَ وتركته وأخاه بنيامين صغيرين يتيمين من الأم . فخصهما يعقوب بالحب . وعوض عليهما بالحنان . ولا سيما بعد رؤية يوسف الآتية . التي علم منها يعقوب بأن الله سيصطفي يوسف لرسالته. فسرى إخوته العشر[1] داء الحسد. ونبت في صدورهم الحقد . وبدت البغضاء من أفواههم . فاشفق الأب على ابنه الاثير[2] من عداوة إخوته فضمه واحتواه في أحضانه . كيما يحميه من خطر يوشك أن ينقضّ عليه . فكأن الأحداث جرت على المنوال التالي[3] :

الراوي] : (نام يوسف ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر . فرآى فيما يراه النائم أن أحد عشر كوكباً نزلت من السماء ونزل معها الشمس والقمر فسجدوا له سجود تحية وتعظيم[4] فاستيقظ من نومه وقص ذلك على أبيه فكانت الأحداث التالية) .

[يوسف]: يا أبت إني رأيت رؤيا ما أجملها وما أحبها إلى قلبي . ضاءت لها جوانب نفسي وانشرح صدري .

[قال يعقوب] : ماذا رأيت يا بُنَي يا حبيبي ؟

[يوسف] : يا أبت إني رأيت فيما يرى النائم أن أحد عشر كوكباً نزلت من السماء . ونزل معها الشمس والقمر فسجدوا لي سجود تحية وتعظيم .

[قال يعقوب] : الحمد لله . . الحمد لله . إنها رؤية صالحة يا بني . تطابق ما توسمته فيك من فضل . ورجوته لك من خير . إنها بشرىٰ

---

(١) اي تمام اخوته عدا شقيقه بنيامين فكانوا يبغضونه ويؤذونه أيضاً.

(٢) الاثير . المحبوب .

(٣) أي على النسق التالي مؤخوذ من نول الحياكة .

(٤) كانت التحية بينهم بالسجود . وكانت سنه إذ ذاك عشر سنين تقريباً .

بما سيخصك به الله من النبوة والعلم. وما سيمنحك من نعمة ورسالة. يتمها عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبلُ إبراهيم واسحاق .

يا بني : إياك أن تقصص رؤياك على اخوتك . فإني أخشى أن يحتالوا في هلاكك لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب . والشمس خالتك . والقمر أبوك .

[**يوسف**] : يا أبت إني أحب إخوتي حباً جماً فكيف أتوقع منهم الشر . أم أخشى الأذىٰ ؟

[**قال يعقوب**] : يا بني : إني لأرى الشر بين أعينهم ، والحسدَ والحقدَ والضغينة بين جوانحهم مما أخصك به وأخاك بنيامين من رعاية . وأوثر كما به من إعزاز . فاخشى أن يستفزهم الشيطان . ويشحذ الشر في عزائمهم فيدبروا لك كيداً . إن الشيطان للانسان عدو مبين .

[**الراوي**] : **(ولا يخف على أخوة يوسف منزلة يوسف وأخيه عند يعقوب . وإن تظاهر بحب الجميع .**

دلائل الحب لا تخفى على أحد كحامل المسك لا يخلو من العبق

فسرى إليهم داء الحسد . ونبتت في صدورهم آكلة الأكباد . وهاجت الغيرة وثار الحقد. فاجتمعوا في ناد واحد[1]. وكانت بينهم المحاورة الآتية).

[**روبيل**] : يا إخوتاه الا ترون أن يوسف وأخاه بنيامين أحبُّ الى ابينا منا ؟ إن أبانا لفي ضلال مبين .

[**يهوذا**] : نعم : جميعنا قد شعر بذلك يا روبيل . وإني لا أدري : كيف يؤثر أبونا طفلين لم يبلغا الحلمَ بعدُ على جماعةٍ أشداءَ أقوياءَ يقومون بمصالحه . وأمرِ مواشيه . إنه لمخطىء بين الخطأ .

[**شمعون**]: والله يا رجال: ملاحظتكم في مكانها. فإني من زمن وأنا في غاية الانكار على أبي في تفضيله يوسف وبنيامينَ علينا جميعاً ونحن عصبة[2] . ألسنا القائمين على مصالحه . الدائبين على خدمته ؟ فلماذا

---

(١) كان المجتمعون عشرة . أي غير بنيامين .

(٢) العصبة الجماعة من الثلاثة الى التسع .

يخصّهما دوننا بهذا الحب ؟ ألشرف لهما ؟ لا نرى ذلك الشرفَ واضحاً . أم لأن أمهما راحيل كانت أجملَ وأحبَّ إليه من أمهاتنا ؟ ولكن ما ذنب الأبناء إذا تفاضلت الأمهات ؟ إن هذا الحَيف ظاهر . وضلال مبين[1] .

[**دان**] : يا رجال : أرى أن تقتلوا يوسف . وتمحوا من الأرض آثاره . حتى لا يتمنى أن نكون له من جملة الاتباع ولا يخطرَ لأبيه على بال . أفلم تبلغكم أحلامه . بأن أحد عشر كوكباً والشمسَ والقمرَ رآهم له ساجدين. ويعني بذلك نحن الأحد عشر. وأمنا لَيَّا وأبانا يعقوب قد خضعنا لعظمته . وسجدنا لجلالته .

[**شمعون**]: صَهْ[2] يا دان يا ابن الأمة. كيف نقتل يوسف. والقتل جريمة نكراء . لا يرضى بها عاقل . ولا يقرها دين ؟

[**لاوىٰ**] : يا رجال : أرى أن نذهب به في مفازة بعيدة . ينقطع بها أعناق المطي تأكله الوحوش . أو تدفنه رمال الصحراء . وحينئذ يخلو لنا وجه أبينا . ثم نتوب إلى الله ونكون قوماً صالحين .

[**يهوذا**] : يا قوم نحن أبناء يعقوبَ الرسول . وأحفاد إبراهيم الخليل . ولنا عقل ودين . والقتل لا يقره العقل ولا يرضاه الدين . ويوسف غلام برىء . لم يجن إثماً . ولم يرتكب جرماً . ولم يقدم سوءً . فان كنتم مجمعين على إبعاده فهذا الحب الكائن بالعقبة ملتقى الغادي والرائح . فألقوه فيه يلتقطه بعض السيارة . فيذهبون به حيث شاؤوا فنكون قد أبعدنا يوسف . وخلصنا من أثم القتل .

[**يشجر ونفتالي وجاد وآثر**] : هذا هو الرأي الصائب يا يهوذا .

---

(١) يقصد هنا بالضلال المبين الخطأ الدنيوي . والا لو اتهموا أباهم بالضلال الديني لكفروا . ومن هنا ومن فعلهم بيوسف يدل على أنهم كانوا غير أنبياء . وفي الطبري انهم كانوا أنبياء . وهو خطأ للقطع بعصمة الانبياء عن الحسد الدنيوي وعقوق الآباء . وتعريض مؤمن للهلاك . والتآمر على قتله . ولا إلتفات لقول من قال إنهم انبياء . واما قوله تعالى : ﴿ والاسباطِ فهو من باب اطلاق العام على الخاص فمنهم يوسف وبنيامين ﴾ . ويطلق السبط على ولد الولد فيشمل حتى موسى وهارون وغيرهما من انبياء بني اسرائيل فبطل الاستدلال . راجع القرطبي ص ١٢٧ - ج ٩ .

(٢) صه : اكفف .

[**روبيل وشمعون ولاوى**]: جيد.. رأي جيد.. رأي ممتاز .

[**روبيل**] : هل وافقتم على هذا الرأي يا رجال ؟

[**الجميع**] : موافقون .. موافقون .. موافقون .

[**روبيل**] : سيروا بنا جميعاً نطلبه من أبيه أن يذهب معنا غداً الى البرية .

[**زَيَالون**] : ها هو يوسف .. ها هو يوسف قد أقبل . يا يوسف .. يا يوسف .

[**يوسف**] : نعم يا زَيالون .

[**زيالون**] : أما تشتاق أن تخرج معنا الى مواشينا فنصيدَ ونطعمَك من لحم الصيد اللذيذ . ونستبق ونسرح ونمرح فتسر وتبتهج معنا .

[**يوسف**] : بلى : يا أخي أذهب معكم .

آشر] : أنسأل أباك أن يرسلك معنا ؟

[**يوسف**] : نعم : افعلوا فإني راض .

فتره . « فذهبوا الى أبيهم فقالوا »

[**روبيل**] : يا أبانا : مالك لا تأمنا على يوسف . وهو أخونا . ونحن جميعاً أبناؤك . يظلنا عطفك . وينتظمنا حبك . هلا ترسله معنا غداً الى البرية . حيث السماء الصافية . والشمس الضاحية . والظل الوارف . هنالك يرتع ويلعب وإنا له لحافظون .

[**قال يعقوب**] : إنه لما يبعث همي ويثير أحزاني أن أرى يوسف بعيداً عن عيني وقلبي . فدعوه عندي ولكم الشكر .

شمعون] : يا أبانا : أرسله معنا يسر ويبتهج . ويروض نفسه وجسمه . ويعود آخر النهار أصح جسماً وأصفى نفساً . وهو قد أحب ذلك .

[**قال يعقوب**] : ما تقول يا يوسف ؟

[**يوسف**] : نعم . يا أبتِ إني أرى من إخوتي اللين والعطف فأحب أن تأذن لي بالذهاب معهم .

[**قال يعقوب**] : يا بَني : إني لأخشى أن تذهبوا به فيصادف الذئب

منكم غفلة فيقتله ويأكله فابقىَ على فراقه كئيباً طول الحياة . فإني رأيت في منامي أن الذئب شد على يوسف فمنعه الله

[**روبيل**] : أيأكله الذئب ونحن عصبة[1] ليس فينا هشيم[2] ولا ضعيف : لئن وقع ما تحذر إنّا إذاً لخاسرون.

[**قال يعقوب**] : أمَّا على أن تحيطوه بقلوبكم . وتحظوه بعيونكم . فدونكم وما تريدون . والله من ورائكم محيط . ولا أقبل حتى تعطوني موثقاً من الله لتحفظُنَّه.

[**شمعون ويهوذا**] : نعاهدك في الله على حفظه .

[**قال يعقوب**] : يا روبيل[3] .

[**روبيل**] : نعم يا أبتِ .

[قال يعقوب]: إن يوسف صغير. وتعلم يا بني شفقتي عليه. وقد سلمتك إياه . فان جاع فأطعمه . وإن عطش فاسقه . وإن أعيى فاحمله . وعجل برده إلي . وما دفعته اليكم ألا لأستصفي قلوبكم .

[**الراوي**] : (**وأصبح الصباح وصحبهم يوسف . منشرح الصدر لا يحمل ضغينة على أحد منهم . فأخذوا يحملونه على أكتافهم لا يضعه واحد إلا رفعه آخر . وشيعهم يعقوب ثم رجع . فلما انقطع بصر أبيهم عنهم أخذوا طريقهم الى الجب . ورماه الذي كان يحمله وضرب به الأرض حتى كادت أضلاعه تتكسر**)

[**يوسف**] : آخ . . آخ . . لماذا قذفتني يا أخي يا دان ؟

[**دان**] : (ركله برجله) : إني لست بأخيك دع الشمس والقمر يحملانك .

[**يوسف**] : ما ذنبي تضربني . يا أخي يا جاد . إن دان ضربني .

---

(١) العصبة الجماعة من الثلاثة الى العشرة . وكانوا عشرة . اذ أن بنيامين لم يكن معهم .

(٢) هيثم: هزيل.

(٣) وصى عليه روبيل من بين أولاده لأنه كان كبيرهم. وإلا فشمعون ويهوذا كانا أشفق عليه من روبيل .

[جاد]: (لطمه على وجهه): إني لست بأخيك. إنك إبن راحيل.

[**يوسف**] : أنا في حماك يا أخي يا روبيل أنت كبير إخوتي والخليفة عليَّ من بعد أبي فارحمني وارحم ضعفي .

[**الراوي**] : **(وادرك المؤامرة وبكى بكاءً مراً)**.

[**روبيل**] : (رفعه وجلد به الأرض ولوى عنقه وجثم على صدره وأراد قتله) : لا قرابة بيني وبينك يا بن راحيل يا صاحب الأحلام . أدع الاحد عشر كوكباً والشمس والقمر لتنجيَك منا .

[**يوسف**] : دخيلك يا أخي يا يهوذا . إرحم ضعفي وعجزي وحداثة سني . وارحم قلب أبيك يعقوب . ما أسرع ما تناسيتم وصيته . ونقضتم عهده .

[**يهوذا**] : (وقد رق قلبه على يوسف) : والله لا يصلون اليك أبداً ما دمت حياً . يا إخوتاه . . يا إخوتاه . . إن قتل النفس التي حرم الله من أعظم الخطايا . فردوا هذا الصبي الى أبيه ونعاهده الا يحدِّث والده بشيء مما جرى أبداً .

[**روبيل**] : والله يا يهوذا ما تريد إلا أن تكون لك المكانة عند يعقوب . والله لئن لم تدعه لنقتلنك وإياه .

[**يهوذا**] : يا إخوتاه . أما عاهدتموني ألا تقتلوه . بل تلقوه في غيابة الجب. فهذا الجب[1] الموحش المقفر الذي هو مأوى الحيَّات والهوام. فالقوه فيه . فان أصيب بشيء من ذلك فهو المراد . وقد سلمتم من دمه . وإن انفلت على ايدي سيارة يذهبون به الى أرض بعيدة . فهو المراد أيضاً .

[**شمعون**][2] : يا رجال أطيعوا يهوذا وهيا بنا نلقه في الجب . فان القتل لا يجوز في أي دين من الأديان .

يوسف عليه السلام في الجب

[**الجميع**] : هيا بنا احملوه .

---

(١) الجب هو البئر البعيدة القعر. الكثيرة الماء . وكان هذا الجب هو بئر القدس او بئر بأرض الأردن .

(٢) شمعون ويهوذا كانا أرحم اخوة يوسف به ولولاهما لقتل .

[**آشر**] : إربطوه بالحبل .

[**دان**] : بل نقذفه قذفاً .

[**آشر**] : بل بالحبل حتى إذا تدلى شفير البئر نقطع به الحبل .

[**روبيل**] : هيا احملوه .

[**يوسف**] : (يبكي مستغيثاً) : يا إخوتاه . . يا إخوتاه ما ذنبي حتى تقذفوني بهذا الجب الموحش المظلم ؟

[**روبيل**] : ادع الشمس والقمر والكواكب ينيرون لك ويؤنسوك .

[**الراوي**] : **(نزعوا قميصه لتلطيخه بدم كذب . وحملوه . ودلوه بحبل في الجب الموحش المظلم فتعلق بشفير البئر . فربطوا يديه)** .

[**يوسف**] : يا إخوتاه . ردوا علي قميصي أتوارى به في هذا الجب . فان مت كان كفني . وإن عشت أواري به عورتي .

[**روبيل**] : ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكباً فلتؤنسك ولتكسك .

[**آشر**] : اقطعوا فيه الحبل . حتى يتحطم أو يموت غرقاً في الماء .

[**دان**] : هاه . أنا أقطع الحبل .

[**الراوي**] : **(فقطعوا فيه الحبل تلعب فيه المقادير . فسقط في الماء العميق[1] بجانب الصخرة التي يقوم عليها العائم . فمن حلاوة الروح وبشكل لا شعوري تعلق بتلك الصخرة فقام عليها يبكي ويستغيث)**

[**روبيل**] : (نادى يوسف من فم البئر : يا يوسف . . يا يوسف . .

---

(١) وفي بعض الآثار أن جبريل عليه السلام كان تحت العرش عند إلقاء يوسف في الجب . فأوحى الله اليه : أن أدرك عبدي يوسف . قال جبريل بل فأسرعت . فعارضته بين الرمي والوقوع فاقعدته على الصخرة سالماً . كما ورد أن ابراهيم عليه السلام لما القي في النار القي عرياناً . فأتاه جبريل بقميص من حرير فالبسه إياه . فكان هذا القميص عند إبراهيم الى أن توفاه الله . فورث القميص اسحاق . ثم ورثه يعقوب . وكان يخشى على ولده يوسف . فجعل القميص في تعويذة (حجاب) وعلقه في عنقه . فأخرج جبريل ذلك القميص من التعويذة والبسه يوسف العريان في الجب . ولما بيع يوسف . ولبس ثياباً جدداً . أعاد القميص الى التعويذة وعلقه في رقبته . وهو نفس القميص الذي ارسله الى يعقوب فألقوه على وجهه فارتد بصيراً . والله أعلم .

[**يوسف**] : (ينادي من البئر) : يا إخوتاه : إن لكل ميت وصية فاسمعوا وصيتي .

[**روبيل**] : وما هي يا بن راحيل ؟

[**يوسف**] : (من البئر) : إذا آنس بعضكم بعضاً فاذكروا وحشتي . وإذا أكلتم فاذكروا جوعي . وإذا رأيتم غريباً فاذكروا غربتي .

« فهبط عليه جبريل عليه السلام قائلاً »

[**جبريل**] : يا يوسف . يا يوسف . أنا جبريل مرسل اليك من رب العالمين[1] . إنك (لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) : كف عن الاستغاثة والجأ الى ربك بالدعاء فانه قريب يجيب دعوة المضطر إذا دعاه .

[**يوسف**] : وماذا أقول يا أخي يا جبريل ؟

[**جبريل**] : قل : اللهم يا مؤنس كل غريب . ويا صاحب كل وحيد . ويا ملجأ كل خائف . ويا كاشف كل كربة . ويا عالم كل نجوى . ويا منتهى كل شكوى . يا حي يا قيوم اسألك أن تجعل لي من أمرى فرجاً ومخرجاً إنك على كل شيء قدير[2] . ولسان حاله يقول :

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ... أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها ... يا من اليه المشتكي والمفزع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة ... فلئن رُدِدْت فأيَّ بابٍ أقرع
ومن الذي ادعو واهتف باسمه ... إن كان عونك عن عبيدك يمنع
حاشا لجودك ان تقنِّط لاجئاً ... الفضل أجزل والمواهب اوسع

---

(١) قيل ان الله بعث يوسف وهو في الجب وكان ابن عشر سنين . وهي رواية ضعيفة . وبعضهم يقول بأن الوحي اليه في الجب كان الهاماً كقوله تعالى : ﴿ واوحى ربك الى النحل ﴾ . وقيل كان وحياً حقيقياً بواسطة جبريل . تطييباً لخاطر يوسف . ثم فترعنه الوحي . حتى إذا كان في السجن حمي الوحي وبعث رسمياً . والله أعلم .

(٢) ورد ان الملائكة قالت إلهنا ومولانا نسمع صوت صبي والدعاء دعاء نبي . فقال تعالى : ﴿ هذا نبي يوسف ﴾ . ومكث في الجب يوماً وليلة . وقيل ثلاثة أيام وكان يهوذا يأتي له بطعام . وكان اخوته يرعون اغنامهم حول الجب . والله أعلم .

الحلقة الحادية والعشرون

يوسف عليه السلام في الجب ويوسف الرقيق

يوسف عليه السلام في الجب

[**الراوي**] : (**القى اخوة يوسف أخاهم في الجب ، وحَسِبوا أنهم شَفَوا غيظ صدورهم . وأن قلب أبيهم سيخلو لحبهم . ورجعوا الى ابيهم عشاءً يلفقون القولَ. ويزوِّرون الحديثَ . وكأن موقفهم كما يلي**) :

[**قرآن كريم**] : ﴿ وجاؤ وا أباهم عشاء يبكون ﴾ .

[**قال يعقوب**] : ما بكم يا بني تبكون . أجرى للغنم شيء . أين يوسف ؟

[**روبيل**] : أكله الذئب .

[**الراوي**] : (**خر يعقوب مغشياً عليه فلم يفق الا ببرد السَّحَر**) .

[**يهوذا**] : ويل لنا من ديان يوم الدين . ضيعنا أخانا ، وقتلنا أبانا .

(**أفاق يعقوب ورأسه في حجر روبيل . فقال**)

انتقال

[**قال يعقوب**] : يا روبيل : ألم أئتمنك على ولدي . ألم أعهد اليك عهداً مغلظاً . أين عهدك وميثاقك ؟

[**روبيل**] : يا أبت كفكف من بكائك حتى أخبرَك .

[**قال يعقوب**] : أخبر . . أخبر . . أخبر .

[**روبيل**] : يا أبت : (إنا ذهبنا نستبق [1] وتركنا يوسف عند متاعنا [2] فأكله الذئب . وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) . لأنك تتهمنا ظلماً بعداوة يوسف .

[**قال يعقوب**] : يا بني : ما هذه الفَرِيّة[3] . فهل ابتلعه الذئب لقمة واحدة . وجسمه اكبر من جسم الذئب ؟ ألم يترك له عضواً فتأتوني به أستأنس به . ألم يترك له ثوباً أشم به رائحته ؟

[**يهوذا**] : بلى يا أبت : ترك قميصه ملطخاً بدمه . خذ يا أبت . وهذا قميصه .

[**قرآن كريم**] : ﴿ وجاؤ وا على قميصه بدم كذب ﴾ [4]

[**قال يعقوب**] : هاتِ قميصَ يوسف يا يهوذا . هاتِ القميص .

[**يهوذا**] : خذ القميص .

[**الراوي**] : **(فتناول القميص فشمه وجعل يقبله . ثم جعل يقلبه فلا يرى فيه شقاً ولا تمزيقاً فقال)**

[**قال يعقوب**] : والله الذي لا إله الا هو ما رأيت ذئباً حكيماً كاليوم. أكل إبني. واختلسه من قميصه ولم يخدش القميص. ولم يمزقه عليه . متى كان الذئب حكيماً يأكل يوسف ولا يمزق القميص ؟

كذبتم . لو كان الذئب قد أكله لخزق قميصه [5] .

يا معاشر ولدي دلوني على ولدي . فان كان حياً رددته . وإن كان ميتاً كفنته ودفنته . اذهبوا بي إلى البرية وأروني الذئب الذي أكله حتى أحاكمه بين يدي الله .

---

(١) اى يسابق بعضنا بعضاً .

(٢) اى الأغراض .

(٣) الفَرِيّة الكذبة . والفربة اشد الكذب .

(٤) وهو أنهم ذبحوا سخلة ولطخوا القميص بدمها .

(٥) ابى الله سبحانه إلا أن يفضحهم ويظهر ليعقوب كذبهم . واول ظاهرة كانت من جهة القميص .

[**شمعون**] : يا أبت . لقد صِدنا الذئب الذي أكل ولدك . وها هو مكبل . وفمه ملطخ بدم ولدك .

[**شمعون**] : يا آشر : هات الذئب الذي أكل أخانا يوسف .

[**آشر**] : ها هو الذئب . . .

[**قال يعقوب**] : أيها الذئب لم فجعتني بولدي . وأورثتني حزناً طويلاً مدىٰ الحياة؟ انطق بحق الذي خلقك. اللهم إني أسألك بقدرتك على كل شيء ان تنطق هذا الذئب يا رب العالمين .

[**الذئب**] : (**نطق بإذن الله فقال**) : والذي اصطفاك يا يعقوب نبياً . ما أكلت لحمه . ولا مزقت جلده . ولا نتفت شعرة من شعره . وإن لحوم الأنبياء حرمت علينا معاشر الوحوش . واني وحش غريب أتيت هذه البلاد لزيارة رحمي . فاصطادني ولدك .

[**قال يعقوب**] : اطلقوه . . اطلقوه . فأنه أوْصَلُ منكم لرحمه . فلم يأكل ولدي . (بل ـ ولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل . والله المستعان على ما تصفون) .

[**الراوي**] : (**يوسف الآن في الجب . يحتويه ظلامه** [1] . **محنةٌ يمتحن بها هذا الفتى الكريم . والله يمتحن المخلصين من عباده بأنواع المصائب . ليكونوا أقدر احتمالاً على ما يلقى عليهم من مهمات الأمور . ولكن هذا الأمتحان شاق على هذا الفتى الصغير . ولو أن محنة يوسف كانت من غير اخوته لاحتملها قلبه . واتسعت لها جوانب صدره . ولكنها سهم إخوته . ورمية بني أبته .**

وظلم بني القربى أشد مضاضة . . على النفس من وقعِ الحسام المهند

وانتظر يرقب أمر الله عز وجل . وها هو ذا يسمع من بعيد . صدى حركة مبهمة . وأصوات مختلفة . فيخاطب نفسه فيقول :

[**يوسف**] : يا يوسف . . يا يوسف . . ها هو الفرج قد جاء .

---

(١) قيل مكث في الجب يوماً وليلة . وقيل مكث ثلاثة أيام بلياليها . وكان يهوذا يجلب له طعاماً ويقذفه عليه من فم الجب الى أن فرج الله عنه .

اللهم . يا شاهداً غير غائب . يا قريباً غير بعيد . يا غالباً غير مغلوب . إجعل لي فرجاً مما أنا فيه . يا رب العالمين .

[**الراوي**] : (**وإذ أقبلت قافلة عربية من مَدْيَن . ورئيسها عامر المَدْيَني . وساقيها مالك بن دعر المَديني** .) فكأن الأحداث جرت كما يلي :

[**عامر**] : يا مالك بن دُعُر . يا مالك بن دُعر .

فَرَحُ يوسف من محنة الجب

[**مالك بن دعر**] : نعم . مرني بأمرك يا عامر يا رئيس القافلة .

[**عامر**]: ألق دلوك بهذا الجب. وامتح لنا الماء. نشرب. ونسقي . فقد اجهدنا السفر . واخذ منا التعب كل مأخذ .

[**مالك**] : أمرك مطاع . وقد اصلحت الرشاء . وها انا أدلي دلوي .

[**الراوي**] : (**فأدلى مالك بن دعر دلوه فتعلق يوسف بالحبل**) .

[**مالك**] : يا الله ما أثقل هذا الدلو كأني أخرج من البئر حجراً كبيراً .

[**مالك**] : (**صرخ**) يا الله . يا الله يا بشرىٰ . يا بشرىٰ : لقد أخرجت من البئر غلاماً كأنه البدر ليلة التمام .

[**الراوي**] : (**وكان اخوة يوسف يرعون حول البئر وتقدموا منه عند مجيء القافلة فلما صرخ مالك التفوا حوله وكان ما يلي**) :

[**روبيل**] : يا معاشر الركبان : هذا عبد لنا أبِقَ[1] منا . واختبأ بالبئر .

[**مالك بن دعر**] : والله ما هذه سمة العبيد . .

[**روبيل**] : بل هو عبد لنا تربىٰ في حجورنا . وتخلق باخلاقنا . وتأدب بآدابنا .

---

(١) أبق: هرب. وكلم يوسف بالعبراني قائلاً إما أن تقر لنا بالعبودية فنبيعك من هؤلاء واما أن نأخذك فنقتلك . فكتم يوسف شأنه مخافة أن يقتله إخوته . وكانوا يتكلمون اللغتين العربية والعبرية بحسب الجوار .

[**مالك**] : هل صحيح ما يقول الرجل يا غلام .

[**يوسف**] : نعم تربيت في حجورهم وتخلقت في أخلاقهم .

[**مالك**] : إن لي لأجراً لما أخرجته من البئر.

[**روبيل**] : نعم هو لك نبيعك اياه .

[**مالك**] : كم ثمن هذا العبد ؟

[**روبيل**] : مائة درهم .

[**مالك**] : أنا لا حاجة لي بالعبيد . ولا أشتريه بأكثر من عشرين درهم .

[**روبيل**] : هو لك . قد بعناك بعشرين درهماً[1].

[**قرآن كريم**] : ﴿ وشروه بثمن بخس دراهم معدودةٍ وكانوا فيه من الزاهدين) .

[**مالك**] : اكتبوا بيننا كتاباً .

[**روبيل**] : نعم نكتب لك به كتاباً . وأنه عبد آبق [2] لا ينقل الا مقيداً مسلسلاً .

[**مالك**] : قبلت البيع والشرط .

[**روبيل**] : اكتب يا آشر .

[**آشر**] : إملي عليَّ يا أخي يا روبيل .

يوسف الرقيق . عليه السلام

[**روبيل**] : اكتب : هذا ما اشترى مالك بن دعر من بني يعقوب . وهم روبيل وفلان وفلان . . . (وعدد العشرة) مملوكاً لهم بعشرين درهماً. وقد شرطوا له أنه آبق. وان لا يُنْقَلَبُ به الا مقيداً مسلسلاً. واعطاهم على ذلك عهد الله .

[**روبيل**] : وقِّعوا يا اخوتي . . (**فوقعوا جميعاً**) .

---

(١) وكان اخوة يوسف البائعين عشرة لكل فرد منهم درهمان .

(٢) يعني هروب .

[الراوي]) (وشروه [1] بثمن بخس [2] دراهم معدودة . وكانوا فيه من الزاهدين . وحملوه على قتب بغير غطاء ولا وطاء . مقيداً . ووكلوا به عبداً أسود حبشياً يحفظه . فودع اخوته وهو راكب قائلاً) :

[يوسف] : حفظكم الله يا إخوتي وان ضيعتموني . نصركم الله وإن خذلتموني . رحمكم الله وإن لم ترحموني . .

[الراوي] : (فألقت أغنامهم ما في بطونها دماً عبيطاً . لشدة هذا التوديع . فمرت به القافلة على مقبرة آل كنعان فرآى قبر أمه راحيل فألقى يوسف نفسه على قبر أمه . فجعل يتمرغ ويعتنق القبر . ويقول :

[يوسف] : يا اماه . يا راحيل : إرفعي رأسك تَرَيْ ولدك يوسف مكبلاً مسلسلاً مغلولاً . انظري يا أماه ماذا فعلوا بحبيبك . نزعوا يا أماه عني قميصي . وفي الجب القَوْني ولم يرحموني يا أماه . وفرقوا بيني وبين والدي . وباعوني بيع العبيد . إني أسيرٌ يا أماه . فأسأل الله أن يجمعنا في مستقر رحمته . إنه أرحم الراحمين .

[العبد الحبشي] : أين العبد العبراني يا رجال ؟

[مالك بن دعر] : ذاك ملقىً على قبر . مالَكَ غَفَلْتَ عنه . الم أقل لك انه آبق [3] ؟

(فأسرع اليه العبد وركله برجله . وضربه ضرباً وجيعاً وقال) .

[العبد الحبشي] : والله إنك لعبد سوء . تدعو أباك مرة . وأمك أخرى ؟

[يوسف] : لا تضربني والله ما هربت . ولا أَبِقت . وإنما مررت

---

(١) شروه من الأضاد تستعمل للبيع والشراء على السواء . فتحتمل ان يكون الضمير عائداً على اخوة يوسف او السيارة . وكذلك اسم كان وهو (وكانوا فيه من الزهدين) فالواو يجوز ان يعود على الجهتين .

(٢) بخس القليـــل. ويستعمل بخس بمعنى نَجِسْ . ويصدق هنا بالمعنيين . فان الحر لا يباع وإن بيع فثمنه حرام ومن هنا سماهم يوسف سارقين . عند اتهامهم بصواع الملك . كما سيأتي . إن شاء الله تعالى .

(٣) اي هروب .

بقبر أمي فاحببت أن أودعها . ولن ارجع الى ما تكرهون . (**ورفع يديه الى السماء داعياً فقال**) .

[**يوسف**] : اللهم إن كانت لي عندك خطيئة أخلقت [1] بها وجهي . فأسألك بحق آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب أن تغفرَ لي وترحمني . يا رب العالمين .

[**الراوي**] : (**فضجت الملائكة بالبكاء . والدعاء ليوسف**) : (**وهبط جبريل عليه السلام قائلاً**) :

غضَّ صوتك يا يوسف فقد ابكيت الملائكة (**وضرب جبريل الأرض بجناحه فاظلمت الدنيا وارتفع الغبار . وبقيت القافلة في ظلام لا يعرف بعضها بعضاً**) .

[**رئيس القافلة عامر**] : يا قوم من أحدث منكم حدثاً . فاني أسافر في هذه الصحراء منذ ثلاثين سنة ما أصابني قط مثل هذا.

[**العبد الحبشي**] : أنا لَطمت ذاك الغلام العبراني . فرفع يديه الى السماء . وتكلم بكلام لا أعرفه ولا شك أنه دعا علينا .

[**عامر المديني**] : لا شك يا أسود أنك اردت هلاكنا . إئتني بالغلام العبراني . (**فأتى به فقال**) .

[**العبد الحبشي**] : ها هو قد جئت به.

[**عامر**] : يا غلام : لقد لطمك العبد فجاءنا البلاء كما رأيت . فإن كنت تقتص . فأقتص ممن شئت منا وان كنت تعفو فهو الظن بك .

[**يوسف**] : فقد عفوت رجاءَ أن يعفوَ الله عني .

[**الراوي**] : (**فانجلت الغبار . وظهرت الشمس . وأضاء المشرق والمغرب . فجعل عامر يزور يوسف بالغداة والعشي وأكرمه الإكرام اللائق حتى وصلوا الى مصر**) .

[**مالك بن دعر**] : يا يوسف الا تغتسلّ وتلبس هذه الثياب الجديدة الجميلة التي تخجل أمام جمالك ؟

---

(١) اخلقت: اهنت.

[**يوسف**] : نعم : اغتسل وأزيل عني وعثاء السفر [1] .

[**الراوي**] : (**اغتسل يوسف . ولبس الثياب الجديدة الجميلة . ولكن جماله خيّس الثياب واخجلها . ثم عرضه مالك بن دعر للسوق سوق النخاسين** [2] **فلاذ يوسف بالصمت . وسلم أمره لله عز وجل . تتصرف به المقادير . وإذ بكل من بالسوق يأتون . ويتنافسون في شراءه حتى قطفير عزيز مصر** [3] **ورئيس وزرائها جاء يبتاع من بهر حسنه ضوء النهار وترافع الناس في ثمنه وتزايدوا**) .

[**مالك بن دعر**] : العبد الأبيض الناصع الجميل . صار بمائة دينار .

[**تاجر**] : بمائة وخمسين .

[**تاجر**] : بمائتين .

[**مالك**] : العبد الأبيض الناصع الجميل بمائتي دينار .

[**تاجر**] : بمائتين وخمسين .

[**تاجر**] : بثلاث . . .

[**قطفير**] : انا أدفع ثمنه وزنه مسكاً وورقاً [4] وحريراً .

[**مالك**] : هو لك . فقد بعتك إياه .

[**قطفير**] : وانا اشتريت . يا وكيل المال ادفع له الثمن .

[**وكيل المال**] : خذ يا مالك وهذا ثمنه .

[**قطفير**] : سر بنا يا غلام .

[**يوسف**] : أمرك مطاع يا سيدي .

[**قطفير**] : ما اسمك يا جميل .

[**يوسف**] : إسمي يوسف .

[**قطفير**] : يا يوسف ؟

---

(١) الوعثاء: المشقة. والوعث الطريق العسر .

(٢) سوق النخاسين هو الذي تباع به الأرقاء . كما تباع الأنعام .

(٣) كان قطفير اكبر وزير من وزراء ملك مصر . اي رئيس وزراء مصر .

(٤) الورق بكسر الراء هو الفضة المضروبة.

[**يوسف**] : نعم . سيدي .

[**قطفير**] : ستكون في بيتي معززاً مكرماً . مخدوماً لا خادماً سيداً لا عبداً . غنياً لا فقيراً .

[**يوسف**] : شكراً يا سيدي . (**ودخل به قطفير منزله فقال**) :

[**قطفير**] : يا يوسف . هذه سيدتك زليخا . فَطِعْ أمرها .

[**يوسف**] : أمرك يا سيدي .

[**قطفير**] : يا زليخا :

[**زليخا**] : نعم سيدي .

[**قطفير**] : اكرمي مثواه [1] وحاشاك أن تزجريه زجر الخدم . او تضربيه ضرب العبيد . فإني لأرجو إذا اكتمل عوده . ونضج سنه أن ينفعنا . أو نعتقه ونتخذه ولداً [2] .

[**الراوي**] : (**وانصرف يوسف الى العمل في بيت العزيز بجد وأمانة واخلاص رغم أنه غير مكلف بشيء ولقي فيهم أهلاً بأهل . وجيراناً بجيران . ووثق به قطفير . واحبه حباً جماً . حتى جعله المتصرف في امواله وخدمه . أميناً على ماله وعياله .**

[**قرآن كريم**] : ﴿ وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً . وكذلك مكّنا ليوسف في الأرض . ولنعلمه من تأويل الأحاديث . والله غالب على أمره . ولكن اكثر الناس لا يعلمون * ولما بلغ اشده آتيناه حكماً وعلماً . وكذلك نجزي المحسنين ﴾ [3] .

لسان حاله يقول

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضابُ

وليتَ الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خرابُ

اذا صح منك الوصل فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب ترابُ

---

(١) اي اكرمي منزلته ومقامه بطيب المطعم . واللباس الحسن .

(٢) وكان قطفير حصوراً عنيناً . لا يأت النساء ولا يولد له .

(٣) الآيتان ٢١ و٢٢ من سورة يوسف.

الحلقة الثانية والعشرون

يوسف وزليخا والنسوة

يوسف وزليخا

[الراوي] : **(انطلقت زليخا في ردهات القصر تتلفت فخف اليها أحد الخصيان قائلاً)** :

[العبد الخصّي] : ماذا تريد مولاتي .

[زليخا] : أين يوسف ؟

[العبد] : خرج الى السوق يا سيدتي .

[زليخا] : لا أستطيع النظر الى القصر بدون يوسف .

[العبد] : ها : قد أقبل يوسف . يا سيدتي . **(والتفتت زليخا الى يوسف فقالت)** :

[زليخا] : أين كنت يا حبيبي يا يوسف ؟

[يوسف] : كنت في السوق . اشتري بعض الحوائج .

[زليخا] : صه[1] يا يوسف . نحن نخدمك . ونشتري لك ما تريد . ألم أقل لك لا تخرج من القصر ؟

---

(١) صه اسم فعل أمر بمعنى اكفف .

[الراوي] : (ولما بلغ يوسف أشده . ونضج رأيه . جعل العزيز يعتمد عليه في كثير من الأمور . وقد اصطحبه معه مراراً لتفقد أحوال المقاطعات . وما أن فارق القصر حتى أحست زليخا اضطراباً في نفسها . ليتها تستطيع أن تطير بجناحي الحب . الى الفتى الوسيم . الذي شغفها [1] حباً . وأسر فؤادها . وعاد العزيز وعاد يوسف معه . وقد أشرق كضوء النهار . فأحست زليخا قلبها يَدُق في حنان ورغبة عارمة في أن تحتويه بين ذراعيها لتطفىء نار الشوق) .

[زليخا] : يا يوسف . . يا يوسف . . ثق تماماً بأني اشتقت لك . ولم أعد أطيق بعدك عني .

[زليخا] : كيف كانت رحلتك يا حبيبي ؟

[يوسف] : لقد انسبنا في الدلتا التي تتخللها فروع النيل كالشرايين . فوجدت هنالك القناطر . والسدود . فقد بهرتني اكثر مما بهرني الأهرام وأبو الهول . وهنالك الأشجار التي انتشرت عليها الطيور المائية . وهنالك الزروع والخضار . مما يجود على البلاد بالخير العميم .

[زليخا] : إن كلامك يا يوسف كأنه بلابل الطيور تنسكب في وجداني . بل أجمل أهازيج الوجود تداعب روحي .

[الراوي] : (وارتفعت يدها وهي مأخوذة تمررها على شعره الاشقر الأجعد) .

[زليخا] : يا يوسف . ما أحسن شعرك كأنه سلاسل الذهب .

[يوسف] : هو يا سيدتي أول ما ينتشر من جسدي .

(ونظرت في عينيه نظرة طويلة ثم قالت) .

[زليخا] : يا يوسف ما أحسن عينيك !!

(فاطرق ببصره) .

[يوسف] : هما أول ما يسيل على خدي . وبهما أنظر الى ربي .

---

(١) شغفها حباً . اي علقها حباً . والشَغَاف الجلدة المحيطة بالقلب . اي غلاف القلب . والمعنى دخل حبه في سويداء قلبها . والسويداء دم القلب .

[**زليخا**] : يا يوسف : ما أجمل وجهك .

[**يوسف**] : هو للتراب يأكله . (**يخاطبها وهو مطرق برأسه . ونظره الى الأرض**) .

[**زليخا**] : يا يوسف : مالك مطرق بنظرك الى الأرض . إرفع رأسك وانظر في وجهي الجميل البديع . الذي هو نسخة ثانية لجمالك .

[**يوسف**] : إني أخاف العمى في آخرتي .

[**الراوي**] : (**ومالت اليه لتضمه الى صدرها فإذا به ينتفض من الرهبة . واذ قد أقبل العزيز يلتمس الراحة . فخر يوسف ساجداً لله . وقد شرق بدموعه . يعوذ بالله من همزات الشياطين . وكان يخشى ان يضعف . وأن تنهار مقاومته . وجن الليل . وغادر العزيز القصر للسمر** [1] **فتزينت زليخا . وجعلت تغدو وتروح في مخدعها . وقد استبدت بها رغبتها . وعصفت بها عواطفها . فدعت يوسف الى جناحها . وأقبلت عليه تحدثه بلواعج نفسها . تتغزل في حسنه وتناجيه . وتحاول بعذب حديثها أن تُخَدِّر حواسه . وأن يطلق لشهوات الجسد عنانها . وعربدت النشوة في جنبات نفسها**) .

[**قرآن كريم**] : ﴿ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه . وغلقت الأبواب وقالت هيتَ لك ﴾ .

[**زليخا**] : يا يوسف : مالي أغازلك تلويحاً . وتأبى الا التصريح . فتتجاهل ولست بجاهل . هلم أقبل الي فقد تهيأت لك . والأبواب مغلقة وعليك الأمان .

[**يوسف**] : (**أشاح بوجهه عن الفتنة الطاغية وقال**) : (معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي . إنه لا يفلح الظالمون) أعوذ بالله أن أجيبك الى ما تلمحين أو تصرحين . أو أذعن الى ما تطلبين . وحاشاي أن أخون مولاي العزيز . وهو الذي أحسن مثواي . واكرم مأواي . ووثق بي على ماله وعياله . وما أنا بمنكر للنعمة . ولا بجاهد للجميل . إن كنتِ قد غلقت

---

(١) السَمَرُ والمسامرة الحديث بالليل .

الأبواب واسدلت الحجب فان الله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور . ومن يتعد حدود الله فأولئكَ هم الظالمون .

[الراوي] : (ولفت ذراعيها حوله قهراً . وقربت وجهها من وجهه قسراً واختلطت أنفاسها الحارة بأنفاسه . وهمت به مصممة على المعصية . فمال طبعه . وثارت نفسه . ونازعته الشهوة . بدون قصد ولا عزم . ولا رضىً [1] وكاد يلين لولا أن رآى برهان ربه ، فتمثل ابوه يعقوب قائلاً : يا يوسف إياك أن تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب من الانبياء . فنودي من الأعماق . الى الفرار الى الفرار . فهم الى الباب جرياً . وهمت وراءه عدواً . وامسكت بقميصه وجذبته اليها فتمزق القميص خلفاً من طوقه الى أسفله . وفتح يوسف الباب . واذ بالعزيز وابن عمها (الحكيم لدى الباب) [2]

[زليخا] : يا ابن العم : إن يوسف لم يرع حرمتك . ولم يحفظ يدك . فانه حاول أن يدنس ثوبي فراودني عن نفسي . و(ما جزاء من اراد بأهلك سوءً الا ان يسجن أو عذاب اليم) .

[قطفير] : ما هذا يا يوسف ؟

---

(١) والقدر الطبيعي بدون قصد لا يؤاخذ به الانسان . ينقل بعض المفسرين عن ابن عباس وغيره رواية تناقلها كثير من المفسرين . وهي ان يوسف حل الهميان وقعد منها مقعد الرجل من زوجته . الى غير ذلك من العبارات التي لا أساس لها من الصحة . وحاش قدرِ ابن عباس ان يقولها . فان يوسف عليه السلام أطهر من ماء السماء . فقد شهد ببراءته رب العالمين فقال تعالى : ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء . إنه من عبادنا المخلصين ﴾ وأقر أبليس انه ليس له سلطان على عباد الله المخلصين فقال تعالى حكاية عن قول ابليس ﴿ فبعزتك لأغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين ﴾ وشهد ببرائته الشاهد من أهل زليخا (. . . وان كان قميصه قدمن دبر فكذبت وهو من الصادقين ﴾ وشهد العزيز ببرائته حيث قال (انه من كيدكن ان كيدكن عظيم . يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين) وشهد ببراءته النسوة اللاتي قطعن ايديهن بقولهن (حاش الله ما علمنا عليه من سوء) وشهدت ببراءته زليخا مرتين . الأولى باقرارها أمام النسوة بقولها (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) . والثانية بقولها (الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) . فبعد هذه الشهادات لا تصح تلك الروايات . فهو طاهر ابن الطاهرين .

(٢) في رواية ضعيفة أنه غلام تكلم في المهد فلا يعول عليها لأن الشاهد استدل بالقميص. ولو كان تكلم بالمهد لكان نفس كلامه معجزة لا تحتاج الى استدلال .

[**الراوي**] : (**لم يجد يوسف أمام الكذب والقذف الا الصدق والصراحة**) .

[**يوسف**]: هي راودتني عن نفسي. وجذبتني من ثوبي العفيف. وهذا ثوبي الممزق شاهد صدق على دعواي .

[**قطفير**] : ما قولك يا سعيد [1] ؟

[**سعيد**] : إني قد سمعت الجلبة من وراء الباب . كما سمعت تمزيق القميص . فلا أدري أيهما كان طالباً . وأيهما كان هارباً . فان كان شق القميص من الأمام فهي صادقة وهو من الكاذبين . وان كان شق القميص من الخلف فكذبت وهو من الصادقين .

[**قطفير**] : من أين تمزق قميصك يا يوسف ؟

[**يوسف**] : (**وهو يحاول أن يستر جسده**) : كما ترى يا سيدي .

[**قطفير**] : أرني يا يوسف : ها هو قميصه قد [2] من دبر : يا زليخا : انه من كيدكن . ان كيدكن عظيم . وإن يوسف لمن الطاهرين الصادقين .

[**قطفير**] : يا يوسف : أعرض عن هذا . ولا تذكر لأحد شيئاً مما حدث . واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين .

[**الراوي**] : (**وأمسك يوسف لسانه . ولم يذكر لأحد ما كان من امرأة العزيز . إلا أن إصرارها على مراودته عن نفسه . وعزمها على سلب عفته أشاع الخبر**) فقالت تعاتبه :

[**زليخا**] : (**وقد أختلت بيوسف**) : أهكذا يا يوسف يفعل الحبيب بحبيبه ؟ فإني أحبك من سويداء قلبي . وأنت تفضحني وتقول أمام العزيز وابن عمي : هي راودتني عن نفسي ؟

[**يوسف**] : يا سيدتي أنت البادئة . فلم يسعني إلا الدفاع عن نفسي .

[**الراوي**] : (**كتم يوسف الخبر ولم تكتمه زليخا بل بثت ما في**

---

(١) هو ابن عمها .

(٢) قُدَّ: مُزِّق.

نفسها من الجَوَى [1] لبعض نساء القصر . وفاح الخبر من تصرفاتها الرعناء .

دلائل الشوق لا تخفى على أحد . . كحامل المسك لا يخلو من العبق

فطار الخبر في البيوت . وبين جنبات القصور . وشاع بين النسوة أن امرأة العزيز قد افتتنت بغلامها العبراني . ووقعت في غرامه . واستهامت بجماله . وشغفها حباً . فدعته لنفسها . ولكنه عزف عنها . وزهد فيها . فدعتهن الى ضيافتها . وهيَّأت لهن متكأً وثيراً . وأرائك مريحة . وحاطتهن بهالة من التنعيم . وقدمت لهن انواع الفواكهة . والأترج . وآتت كل واحدة منهن سكيناً حادة . لتقيم الحجة عليهن وكان الاحتفال التالي) .

[**زليخا**] : يا مسعود . . يا مسعود [2] .

[**مسعود**] : نعم : يا مولاتي .

[**زليخا**] : عَلَيَّ براعيل . ورحمة . وسعدة . وعليا . ونهلا . وصُوَيْحباتهن .

[**مسعود**] : أمرك يا مولاتي .

(انتقال)

(فدعاهن بطلب حثيث فحضرن فوراً)

فترة

[**راعيل**] : عمي مساء يا زليخا . يا عزيزةُ . يا زوجة العزيز .

[**زليخا**] : مساء الخير والبركة . . أهلاً وسهلاً . .

[**رحمة**] : يا مساآه . يا زليخا : يا صاحبة الكرم والجود . .

[**زليخا**] : اهلاً وسهلاً يا رحمة . .

[**سعدة . وعليا ونهلة**] : مساء الخير . . مساء الخير . . مساء الخير . .

[**زليخا**] : زرتن أهلاً . . وحللتن سهلاً . أهلاً بالضيوف الأعزاء .

---

(١) عبد خصي عندها للخدمة .

(٢) الجوى الحرقة وشدة الوجد .

[**زليخا**] : يا مسعود . . يا مسعود .

[**مسعود**] : نعم مولاتي .

[**زليخا**] : هات الفواكه . . هات الأترج . .

[**مسعود**] : أمرك مولاتي .

[**الراوي**]: (وقدم لهن أنواع الفواكهة والاترج. وآت كل واحدة منهن سكيناً حادة واشتغلن بتقشير الفواكهة . ودار بينهن عَذْبُ الحديث . حتى إذا استغرقن نادت زليخا يوسفَ. وأمرته بالخروج عليهن. وكان لا يرد لها طلباً ما دام بغير معصية الله تعالى) :

[**زليخا**] : يا يوسف . . يا يوسف . . يا يوسف .

[**يوسف**] : نعم مولاتي .

[**زليخا**] : اخرج على السيدات . وقدم لهن الماء والتحيات .

[**يوسف**] : امرك سيدتي.

[**الراوي**] : (فخرج يوسف من مخدعه وقد احمر وجهه خجلاً منهن . وملأه الحسن من أخمَصه [1] الى مفرقه . فشاهدن فتىً لا كالفتيان . وشاباً لا كالشباب . أبيض الوجه . أبلج الغرّة. وضيء الطلعة . اشقر الشعر أجعده . ضخم العينين . يدق عن الوصف . فلما حياهن رأين شعاع الشمس يخرج من بين ثناياه . فذهلن عما كن فيه . وخولطن في عقولهن . فإذا السكاكين تجرح أيديَهن بدون شعور . وكانت منه التفاتة . فشاهدن خالاً على خده الأيمن يحيطه الحسن كهلال القمر . فغبن عن صوابهن . وسيطر عليهن الذهول . فقلن : تبارك الخلاق العظيم : حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم) .

[**زليخا**] : (صفقت وقالت) : هذا هو يوسف الذي لمتنني فيه . وهذا شأنكن فيه . فقد عشقته برؤية عفوية . لحظات سريعة . فكيف حالي وقد ترعرع في داري . وبلغ أشده أمامي . واستوى بين سمعي وبصري . فأنا أشاهده في قعوده وقيامه . واخلوا به في ليلي ونهاري . فاعرض عليه

---

(١) الأخمص هو ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض .

مفاتن جسمي . ومحاسن وجهي فيعرض عني استعصاماً . ولا يرفع الي طرفاً . نعم إني راودته عن نفسه كما قلتنَّ . لأنه ملك قلبي . واسترق فؤادي . ولئن لم يفعل ما آمره لأدفعن به الى غيابات السجن . يعاني ظلامه . ويبلي فيه زهرة شبابه .

[**راعيل**] : والله يا زليخا لا أنكر بأني قد لمتك . ولكني قبل أن أرى القمر ليلة البدر . والآن أقول لك : لا تخفِ ما فعلت بكِ الاشواقُ . . وابدي هواكِ فكلنا عشاق .

[**رحمة**] : من يلوم زليخا بعد اليوم . وما منا واحدة الا وقعت في شباك حبه بنظرة عفوية .

[**سعدة**] : من منا تستطيع أن تملك شعورها أمام فتىً كأن الشاعر ينظر اليه حيث يقول :

غلامٌ رماه الله بالحسن يافعاً ... له سيمياء لا تشق على البصرْ [1]

كأن الثريا علقت في جبينه ... وفي انفه الشعر وفي جيده القمرْ [2]

[**عليا**] : يا يوسف نحن كلنا انتحلنا لزليخا العذر . أطع مولاتَك أيها الفتى الكريم . فما هذا التأبي والتمنع . ولمَ هذا الإنصراف . أليس لك قلب يلين لهذه التي أسلمتك نفسها . ودفعت اليك بقلبها ؟ وقدمت اليك جمالها .

[**نهلة**] : يا يوسف . يا فتى . يا جميل المُحيا [3] وعظيم الأخلاق . انظر الى جمال زليخا . وانظر الى جمالنا أيضاً . ألستَ شاباً مكتمل الشباب . لك في المرأة نصيب . ومن المتعة بها مقدار . فنحن جميعاً أمامك . وتحت تصرفك .

[**راعيل**] : يا يوسف : دعكَ من جمال زليخا وغرامها . الست تنظر الى مالها وسلطانها . وعزها وجاجها . ألم تعلم أن جميع ما في القصر ميسر لك لو أطعت مولاتك ؟

---

(١) يطلق الغلام على الشاب حتى المشيب كما في اللغة .

(٢) الشعري : نجمة الصبح . والجيد : العنق .

(٣) المُحيا : الوجه .

[**سعدة**] : يا يوسف : إن لم يكن لك مأرب في مال زليخا . أو مطمع في جمالها ألستَ تخشى ما توعدتك به من سجن لا يُعلم مداه . او عذاب لا تُدرك غايته ومنتهاه .

[**الراوي**] : (**وكل ذلك ويوسف مطرق برأسه الى الأرض يسمع إغراءهن. فخاف أن يستفزه الشيطان. ويغلبه الصبا والشباب. فلجأ إلى الله تعالى بدمع غزير . وقال**) :

[**يوسف**] : رب : ان السجن [1] في ظلامه ووحشته احب الى قلبي من مجاهدة هؤلاء النسوة . وإلا تصرف عني كيدهن أصبُ اليهن [2] واكن من الجاهلين .

[**قرآن كريم**] : ﴿ قال : رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه . وإلا تصرف عني كيدهن أَصْبُ اليهن واكن من الجاهلين . فاستجاب له ربه، فصرف عنه كيدهن . إنه هو السميع العليم ﴾ [3]

يوسف الأمين

القصيدة

فيروزة الصبح أم ياقوتـة الشفقِ ... بدت فَهَيَّجَت الوَرْقاءَ والوَرَقَا [4]

كأنما الخال حول الخـد في عنقِ ... بدىٰ لنا في مُحيا [5] جل من خلقا

نجم بـدا في عمود الصبح مستتراً ... تحت الثريا بقرب الشمس فاحترقا

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته ... حتى يعودَ اليه الـطرف مسترقـا

---

(١) رُوِيَ ان يوسف عليه السلام مما قال (السجن احب إليّ) اوحى الله اليه يا يوسف انت حبست نفسك حيث قلت (السجن احب الي) ولو قلت العافية احب الي لعوفيت .

(٢) أصبُ إليهن: أمل إليهن.

(٣) الآيتان ٣٣ - ٣٤ من سورة يوسف.

(٤) الورقاءُ: الحمامةُ. والورق: الحمام.

(٥) المحيا: الوجه.

الحلقة الثالثة والعشرون

يوسف البريء السجين وخروجه من السجن

يوسف البريء السجين

[الراوي] : (كانت زليخا لا تُطيق أن تنظر الى يوسف . الذي أذل كبرياءها . كانت سيدته قبل أن تراوده عن نفسه . فاصبحت ذليلة أسيرة بعد أن كشفت نفسها على الملأ . أمام نسوة المدينة . كانت تريد أن تفرَّ من واقعها الأليم . فظلت توسوس للعزيز الذي لا يستطيع أن يرد لها طلباً[1] فكانت بينها وبين العزيز المحاورة الآتية)

[زليخا] : يا قطفير . إن يوسف لم يمسك لسانه كما أمرته . وقد فضحني في أمري . وافترى علي الزور في شرفي . فلم يعد لي مقام هنا . إني ذاهبة الى أهلي . أو تنتقم لشرفي . فتسجن يوسف .

[قطفير] : إني لا أشك في براءة يوسف . وبالرغم من براءته فقد

---

(١) كان العزيز حصوراً عنيناً كما تقدم لا يأت النساء . فمن هنا كان مغلوباً على أمره أمام زليخا ينفذ سائر أوامرها . ولذلك لما تبينت له خيانتها لم يزد على قوله : (يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين) وزليخا لا تريد إيذاء يوسف بجسمه لعل قلبه يرق عليها ويلين . ولذلك قالت في المرة الأولى (ما جزاء من اراد بأهلك سواءً إلا أن يسجن أو عذاب اليم . فقدمت السجن على العذاب . واخيراً طلبت السجن ولم تطلب العذاب .

بدا[1] لي أن أسجنه حتى حين[2] . حتى تزول العلكة من أفواه النساء .

[**قطفير**] : يا حرسي . . يا حرسي :

[**رئيس الحرس**] : نعم مولاي .

[**قطفير**] : اقبض على يوسف والق به في أعماق السجون .

[**رئيس الحرس**] : أَوَغيرَ ذلك يا مولاي : فان يوسف فتىً خلوقاً ممتازاً .

[**قطفير**] : بل أمرٌ مبرم . كما قلت لك .

[**رئيس الحرس**]: أمرك يا مولاي. واختلت زليخا بالحرسِ فقالت).

[**زليخا**] : يا حرسي .

[**رئيس الحرس**] : نعم يا مولاتي .

[**زليخا**] : إن يوسف عصى أوامري . وتكلم عليَّ بما لا ينبغي . فاحمله الى السجن على حمار أعرج مكبلاً مقيداً . وطف به أنحاء المدينة . حتى يراه الناس .

[**رئيس الحرس**] : أمرك يا سيدتي .

[**الراوي**] : (**وقبض الحارس على يوسف . وكبله . وحمله على حمار أعرج . وطاف به المدينة وهو يقول له**) :

[**رئيس الحرس**] : يا يوسف : كم قلت لك . ونصحتك : أطع مولاتك . فان أمرها نافذ . فهذا جزاء من يعصي سيدته .

[**يوسف**] : يا رئيس الحرس : هذا أيسر من مقطعات النيران . وسراويل القطران . وشراب الحميم . وأكل الزقوم فلا أبالي بالسجن والعذاب . والقيد والأغلال . ما دام ذلك في طاعة الله عز وجل .

[**الراوي**] : (**فأدخل يوسف السجن . وامتدت أيام سجنه . ومكث فيه دهراً، كان يعزي في السجن الحزين . ويعود المريض . ويداوي**

---

(١) بدا يبدوا ظهر لي رأى جديد من البداء . وهو الظهور بعد الخفاء .

(٢) لم تكن نية العزيز ولا زليخا ان يسجن يوسف مدة طويلة . فمن جهتها ليلين قلبه . ومن جهته لتزول الشائعة .

الجريح . وينصح الأشقياء . وقد أرسله الله سبحانه في السجن . فجعل يصلي الليل كله . ويبكي حتى تبكيَ معه جدور السجن وسقفه والأبواب . واستأنس به أهلِ السجن . حتى كان الرجل يخرج من السجن فيشتاق العودة اليه ليُصغيَ لحديث يوسف . وأحبه صاحب السجن . فوسع عليه . وكان يجلس مع السجناء ليصغيَ لحديثه . وكانت في السجن المحاورة الآتية) :

[**السجان**] : لقد تشرف بك السجن يا يوسف . حتى السجان . فوالذي خلقك إني لأحبك حباً ما أحببت شيئاً حبك .

قال يوسف : أعوذ بالله من حبك يا سجان .

[**السجان**] : ولماذا يا يوسف ؟

[**قال يوسف**] : لأنه قد أحبني أبي ففعل بي أخوتي ما فعلوه . فالقوني في الجب . وباعوني بيع العبيد . واحبتني سيدتي . فاتهمتني بالفاحشة . والقت بي بريئاً في غياهب السجون. وإني لأرجو الأجر من رب العالمين .

[**قال يوسف**] : « والتفت الى المساجين فقال » : وأنتم يا معاشر المساجين ما بالكم ؟

[**نبو**] : (كبير المساجين) : يا يوسف : نحن قوم قد اشتد بلاؤنا . وانقطع رجاؤنا .

[**قال يوسف**] : يا معاشر المساجين . توبوا الى الله تعالى . واصبروا . وأبشروا تؤجروا .

[**نبو**] : يا فتى ما أحسن حديثك . لقد بورك لنا في جوارك . من أنت يا فتى ؟ يا طاهر العرق .

[**قال يوسف**] : أنا يوسف بن يعقوب صفي الله بن اسحاق نبي الله بن إبراهيم خليل الله .

[**نبو**] : ذرية طاهرة بعضها من بعض .

« فترة انتقال »

[**الراوي**] : (**كان أهل مصر في ذلك الزمن قد مَلُّوا الملك .**

الوليد بن الريان[1] فتآمروا عليه . فدسوا الى صاحب طعامه (شرهم) وصاحب شرابه (سرهم)[2] أن يسماه بوضع السم في الطعام والشراب . لقاء أموال كثيرة . فاجاب صاحب الطعام ووضع السم فيه . وأبى وأخلص صاحب الشراب . ونبه الملك . فلما وضعا الطعام والشراب للملك . كانت المحاورة الآتية) :

[**سرهم**] : سيدي الملك . لا تأكل من الطعام فإنه مسموم .

[**شرهم**] : وأيضاً يا مولاي : لا تشرب من الشراب فانه مسموم .

[**الملك**] : تباً لكما : ماذا تقولان ؟ تكلم يا سرهم واشرح الحقيقة .

[**سرهم**]: سيدي ومولاي الملك. دسَّ إلينا علج من أعلاج مصر أن نسم لك الطعام والشراب . ودفع لنا الف دينارٍ . فقبل شرهم . ووضع السم في الطعام . ولكنني اخلصت الى مولاي . ولم أضع في شرابه شيئاً . وبلغت مولاي عن المؤامرة.

[**الملك**] : المؤامرة رهيبة: إن كنت صادقاً يا سرهم . فاشرب من الشراب .

[**سرهم**] : امرك يا مولاي (وشرب من الشراب اكثره) : شراب لذيد فيه الشفاء يا مولاي .

الملك] : كل أنت من الطعام يا شرهم .

[**شرهم**] : إء . . إء . . إني متخوم يا مولاي .

[**الملك**] : يا رئيس الشرطة .

[**رئيس الشرطة**] : نعم يا سيدي .

الملك] : عليَّ بهرة .

[**رئيس الشرطة**] : حاضر يا مولاي : وهذه هرة .

[**الملك**] : أطعمها من هذا الطعام .

---

(١) كان فرعون مصر زمن يوسف هو الوليد بن الريان . او الريان بن الوليد وهو غير فرعون زمن ابراهيم وغير فرعون زمن موسى . وهو من العرب العمالقة الرعاة الذين اتوا مصر لأجل رعي مواشيهم فاستضعفوا الحكام فوثبوا ـ على الحكم . ويسميهم الرومان (الهكسوس) .

(٢) أي الساقي والعشي .

[**رئيس الشرطة**] : أمرك يا مولاي . . بيس . . بيس . . بيس . . ها هي تأكل . .

[**رئيس الشرطة**] : ما لها تتلوىٰ . . أسفاً هي تَنْفَق[1] قد ماتت يا مولاي .

[**الملك**] : يا شرطي : إقبض على شرهم وسرهم وضعهما في أعماق السجون . رهن التحقيق . والمحاكمة .

[**رئيس الحرس**] : أمرك يا مولاي .

[**الراوي**] : **(فأخذتهما الشرطة . وأودعتهما السجن مع يوسف البريء الصديق . الذي استمر يدعو الى الله عز وجل في أعماق السجون . فاستأنسا به . ومكثا معه سنة كاملة . يحسن اليهما ويدعوهما الى الله عز وجل . وكان النبراس[2] في الليلة الظلماء . فأصبح شرهم وسرهم صبحة يوم من الأيام تبدو عليهما الكابة . فكانت بينهم وبين يوسف الصديق المحاورة الآتية)** :

[**قال يوسف**] : ما لي أراكما يا سرهم ويا شرهم مكروبين ؟

[**سرهم وشرهم**] : إنّا رأينا في المنام ما كرهنا .

[**قال يوسف**] : قصا علي . وابدأ أنت يا سرهم .

[**سرهم**] : أيها الصِدِّيق : رأيت فيما يرى النائم . كأني أخذت ثلاث عناقيدَ من عنب أبيض فعصرتهن في ثلاث أوان ثم صفيت العصير . ثم سقيت الملك كعادتي في ما مضىٰ .

[**قال يوسف**] : وأنت يا شرهم ماذا رأيت ؟

[**شرهم**] : وأنا أيها الصديق : رأيت كأني خبزت في ثلاث تنانيرَ . فجعلت الخبز في ثلاث سلال . فوضعته على رأسي . فجاء الطير فأكل منه .

[**سرهم**] : (نبأنا بتاويله . إنا نراك من المحسنين)

[**قال يوسف**] : مهلاً : يا سرهم ويا شرهم[3] سأنبئكم بأعجب

---

(١) نفقت الدابة ماتت.

(٢) النبراس المصباح .

(٣) علم يوسف عليه السلام من الرؤيا . أو بواسطة الوحي أن احدهما . وهو شرهم سيصلب =

من هذا (لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما) أنت يا سرهم يبعث لك أهلك من الطعام كذا وكذا . وأنت يا شرهم يبعث لك أهلك من الطعام كذا وكذا[1] (فكان كما وصف)

[**سرهم**] : هذا أيها الصدِّيق من فعل العرافين والكهنة . فهل أنت عراف أو كاهن ؟

[**قال يوسف**] : إني لست بكاهن ولا عراف . ولكني رسول من رب العالمين . ومن بيت النبوة والرسالة . أبي يعقوب صفي الله . وجدي اسحاق الرسول نبي الله . ووالد جدي ابراهيم خليل الله . أمرني ربي أن أدعوكم الى عبادة الله وحده . وترك عبادة (رعَّ وأبيسَ وازريسَ) (ذلكم مما علمني ربي . إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله . وهم بالآخرة هم كافرون . واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب . ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء . ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون)

[**قرآن كريم**] : ﴿ . . إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله . وهم بالآخرة هم كافرون * واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاقَ ويعقوبَ . ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء . ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس . ولكن أكثر الناس لا يشكرون * يا صاحِبَي السجن أأرباب متفرقة خير أم الله الواحد القهار * ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان . إنْ الحكم إلا لله أمر الاّ تعبدوا إلا أياه ذلك الدين القيم . ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾[2] .

[**سرهم**] : آمنت بالله رباً وبك رسولاً أيها الصديق . وأرجوك أن تعبر لي رؤياي مما علمك الله .

[**شرهم**] : وأنا آمنت بك وصدقتك . وآمنت بالله عز وجل .

= فتمهل بالتعبير الى غيره من المعجزات . والدعوة الى الله تعالى . ليطلبا التعبير طلباً جازماً حثيثاً .

(١) وصف لهم الطعام قبل مجيئه كمعجزة سيدنا عيسى عليه السلام .

(٢) الآيات ٣٧ ـ ٤٠ من سورة يوسف.

وأرجوك رجاء حاراً أن تعبر لي رؤ ياي مما علمك الله .

[**قال يوسف**] : أنت يا سرهم تدعي بعد ثلاثة أيام فترد الى عملك الذي كنت عليه من سقي الملك . وأنت يا شرهم (مع كُلِّ أسف) تدعي بعد ثلاثة أيام فتصلب فتأكل الطير من رأسك.

[**شرهم**]: أنا لم أرَ شيئاً[1].

[**قال يوسف**] : هذا تأويل رؤ ياك وإن انكرت (قضي الأمر الذي فيه تستفتيان)

[**قال يوسف**] : يا سرهم : متى رجعت الى عملك . أذكر ما رأيته مني . وما أنا عليه عند الملك . واخبره بأنني مظلوم . مسجون بغير ذنب .

[الراوي]: (فبعد ثلاثة أيام دعي شرهم فصلب . وترك مصلوباً أياماً تأكل الطير من رأسه . كما دعي سرهم فبرئت ساحته . وشكر له الملك كشف المؤامرة . فاكرمه واعاده الى عمله من السقاية . فانسى الشيطان سرهم[3] أن يذكر يوسف عند الملك. فلبث في السجن بضع سنين فدخل جبريل على يوسف في السجن في صورة انسان فعرفه يوسف وكانت بينهما المحاورة الآتية):

[**قال يوسف**] : ما لي أراك بين الخاطئين يا أخا النبيين ؟

[قال جبريل]: يا طاهر يا ابن الطاهرين . يقرئك السلامَ ربُّ العالمين . ويقول لك أما استحَيْيت إذ استغثت بالآدميين . وعزتي وجلالي لأ لبثنك في السجن بضع سنين[1] .

---

(١) كانت رؤ ياه صحيحة . وتأويلها صحيح وكذا الآخر غير أن شرهم انكر رؤ ياه . ليحاول النجاة ولا نجاة .

(٢) ولا يجوز ان يكون الضمير عائداً على يوسف كما قال بعض المفسرين . لان الشيطان لا سبيل له على الانبياء . وأيضاً يتنافى مع قوله تعالى الآتي : ﴿ وادكر بعد أمة ﴾ .

(٣) البضع من الثلاثة الى التسع . ويوسف لبس في السجن سبع سنين والله أعلم .

(٤) إن سؤال يوسف عليه السلام السقي بقوله : (إذكرني عند ربك) فاستغاث به . لو كانت من شخص عادي لا غبار عليها لأن تعاطي اسباب النجاة من المكروب مطلوبة . واما الأنبياء =

[قال يوسف]: أهو عني راضٍ يا أخي يا جبريل ؟

[قال جبريل]: نعم هو عنك راض .

[قال يوسف] : إذن لا أبالي .

[قال جبريل] : يا يوسف . من خلصك من القتل من أيدي أخويك ؟

[قال يوسف] : الله رب العالمين .

[قال جبريل] : يا يوسف . من أخرجك من الجب ؟

[قال يوسف]: الله رب العالمين.

[قال جبريل]: يا يوسف: من عصمك من الفاحشة؟

[قال يوسف]: الله رب العالمين

[قال جبريل] : يا يوسف : من صرف عنك كيد النساء ؟

[قال يوسف] : الله رب العالمين .

[قال جبريل]: إذن كيف وثقت بمخلوق وتركت سؤال ربك القادر على كل شيء ؟

[قال يوسف]: يا رب: كلمة زلت مني. أسألك يا إله إبراهيم وإسحاق. والشيخ يعقوب عليهم السلام أن ترحمني.

[قال جبريل] : عقوبتك أن تلبث في السجن بضع سنين[1] .

« خروج يوسف من السجن »

[الراوي]: (ولما دنا الفرج ليوسف عليه السلام . رآى الملك الكبير ؟[2] رؤيا هالة أمرها . فاصبح مزعوجاً فقال) :

= لأتصالهم برب العالمين بواسطة جبريل عليه السلام ينبغي ان تكون تصرفاتهم مرتبطة برب العالمين . فعوقب يوسف بالسجن بضع سنين كما عوقب يونس بالسجن في بطن الحوت لأنه خرج من نينوى بدون إذن من رب العالمين .

(١) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : « رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قالها (اذكرني عند ربك) ما لبث في السجن بضع سنين » .

(٢) الملك الكبير فرعون مصر كان كما تقدم الوليد بن الريان العملوقي او الريان الوليد . واصل بلاء يوسف لأمر يريده الله . الرؤية التي رآها . وكان فرجه بسبب رؤية رآها الملك . هذا =

[**الملك**]: **يا حرسي . . يا حرسي .**

[**رئيس الشرطة**] : نعم يا مولاي .

[**الملك**]: علي بالكهنة . والعرافين . والسحرة . والمنجمين الى اجتماع عاجل بالقصر .

[**رئيس الحرس**] : أمرك يا مولاي .

[**القارىء**]: **(فدعى رئيس الحرس وأعوانه الكهنة . والعرافين والسحرة والمنجمين . فاجتمعوا على عجل في القصر . فدار بينهم وبين الملك الحديث التالي . والسقّا سرهم يدير عليهم الشراب ويصفي لحديثهم)**

[**الملك**]: اهلاً وسهلاً بالملأ العظام[1] إني دعوتكم في هذا الصباح الباكر لأمر عظيم . قد هالني :

[**منجى**][2]: خيراً أيها الملك العظيم نحن فداك .

[**الملك**]: قد رأيت رؤ يا ما رأيت مثلها قط .

[**مجلث**] : خيراً يا ملك الزمن . وما رأيت ؟

[**الملك**] : رأيت كأنما خرج من نهر يابس سبع بقرات سمان جميلات . فارتعت في روضة . ثم خرج في أثرهن سبع بقرات عجاف[1] قبيحات المنظر . وقد اقبلت العجاف على السمان فأخذت بآذانهن فاكلتهن الا القرنين . ولم يزد في العجاف شيء . كما رأيت سبع سنبلات خضر من الحنطة . قد أقبل عليهم سبع سنبلات يابسات . فأكلنهن على آخرهن . فلم يبق منهن شيء . ثم استيقظت منزعجاً . فهالتني هذه الرؤ يا .

فيا أيها الملأ[3] أفتوني في رؤ ياي . إن كنتم للرؤ يا تعبرون . .

[**منجى**] : (الكاهن) : أيها الملك العظيم . لا تهمنك هذه الرؤ يا

= هو الظاهر . والحكمة في ذلك . أن يوسف لا يستطيع بالوسائل العادية أن يقفز إلى حكم مصر فيدعو الله فيها ويؤمن معه الملك ومن آمن . ويستوطن اهله ويدعون الى الله في مصر لولا الاسباب التي حدثت .

(١) الملأ جماعة الاشراف والفضلاء .

(٢) منجى ومجلث هما رؤساء الكهنة والمنجمين والسحرة والعرافين .

(٣) العِجاف بكسر العين المهازيل .

فإنها أضغاث أحلام[1] ماذا ترى في رؤيا الملك يا مجلث ؟

[**مجلث**] : طبعاً أضغاث أحلام . وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين .

[**سرهم**]: (الساقي): آه تذكرت بعد أمة[2]: أنا أيها الملك آتيكم بتأويله . فارسلوني الى السجن .

[**الملك**]: ماذا تقول يا سرهم يا ساقي الندمان .

[**سرهم**] : (جثى سرهم أمام الملك على ركبتيه) : أيها الملك الجليل . لما دخلت السجن رأيت فيه رجلاً عبرانياً مسجوناً ظلماً يدعى يوسف . ما زأيت مثله قط . حاز الجمال والكمال والعلم والدين والخلق . وكنت رأيت في السجن إني أعصر ثلاث عناقيد من العنب الأبيض فأصفيهن وأقدم العصير لجلالتكم . كما رآى شرهم أنه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه فاستفتينا يوسف في ذلك فافتى لي بأني أعود لسقاية جلالتكم بعد ثلاث أيام وأفتى لشرهم أن يصلب بعد ثلاثة فتأكل الطير من رأسه . فكان كما قال . فوالله إنه لا يخطىء له تعبير قط .

[**الملك**] : إذهب يا سرهم إلى السجن وأتني بتعبير رؤ ياي . ونحن جميعاً بانتظارك .

قصيدة : لسان حال يوسف عليه السلام .

سيذكرني قومي إذا جد جدهم ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدرُ

ولو سد غيري ما سددت اكتفَوْا به ... وما كان يغلو التبر لو أنفِق الصِفر[3]

ونحن أناس لا توسط بيننا ... لنا الصدر دون العالمين أو القبر

أعز بني الدنيا وأعلىٰ بني العلا ... وأكرم من فوق التراب ولا فخر

---

(١) أضغاث أحلام اخلاط أحلام كأخلاط الحشيش تجمع فيكون لها ضروب مختلفة . أي ليس لها تعبير .

(٢) امة هنا مدة من الزمن ولها معان ايضاً . منها جماعة من الناس ورجل حاز الفضائل (ان ابراهيم كان أمة)

(٣) التبر فلذات الذهب . ويطلق على الذهب . والصفر النحاس . بضم الصاد .

الحلقة الرابعة والعشرون

خروج يوسف من السجن
يوسف عزيز مصر . واجتماعه باخوته

خروج يوسف عليه السلام من السجن

[الملك] : إذهب يا سرهم الى السجن . وائتني بتعبير رؤ ياي ونحن جميعاً بانتظارك .

[الراوي] : **(وانطلق سرهم الى يوسف ينهب الأرض نهباً فدخل عليه فقال)** :

[سرهم] : يوسف أيها الصديق . جئتك بما أرجو أن يكون لك به الفرج العاجل .

رآى الملك الكبير فيما يرى النائم سبع بقرات سمان . يأكلهن سبع عجاف مهازيل . كما آى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات . وقد جمع لتأويل رؤياه الكهنة والعرافين. والسحرة والمنجمين فلم يجبه أحد. بل قالوا: أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين. فأفتنا بذلك أيها الصديق. واني لأرجو ان يعترف القوم بفضلك. ويقدروا علمك الفياض. ويكون في ذلك خروجك من السجن.

[الراوي] : **(فلم يتردد الصديق في الفتيا بل أملى على سرهم الجواب . وابدى النصيحة الآتية . وعاد سرهم مسرعاً . حتى دخل على**

الملك وصحبه . متهللاً وجهه . فصادف نفوساً متعطشة للجواب) .

[**الملك**] : هاتِ ما عندك يا سرهم من الجواب .

[**سرهم**] : **(جثى سرهم على ركبتيه أمام الملك فقال)** : لقد فسر يوسف الصديق رؤياك . وأفاض من علمه الفياض . ونصح من لبه الناصح . فقال : إنكم تستقبلون سبعَ سنوات مخصبةٍ رُخاءً . تزدهر حقولكم . وتزكو غلاتكم . ويصفو لكم العيش . ثم يأتي في أعقابهن سبع شداد . يظلكم فيها الأمل . ولكن النيل لا يفي بوعده . ولا يمدكم بوفده . فلا تجدون قائماً يحصد . ولا حصيداً يخزن . فلا تجدون إلا ما ادخرتم للايام العابسات . ثم تصالحكم الأيام . ويقبل عليكم الزمان . فيظلكم عام خصيب . فيه تغاثون . فتزرعون وتأكلون . وتعصرون وتشربون .

[**الملك**] : إئتوني بيوسف . حتى أبصر هذا الرجل الذي فسر هذا التفسير . وعبر رؤياي بهذا التعبير . إنه ليس برجل عادي . ولكنه ملك كريم .

[**الملك**] : إذهب يا سرهم بأمر الملك فأتني به .

[**الراوي**] : **(وهب سرهم فرحاً مسروراً ليبشر يوسف بالفرج والعزة والكرامة . كما بشره يوسف بالفرج والعزة والكرامة . حتى إذا دخل السجن ناداه)** .

[**سرهم**] : إبشر يا يوسف . . إبشر يا يوسف ! إن الملك أمر باطلاق سراحك . وهو يدعوك الى حضرته . ويطلبك الى مجلسه . فقد لمس من تفسيرك علماً غزيراً . ولمح من نصحك رأياً سديداً . فقد أحب أن يرفع مقدارك . ويعلي شأنك .

[**يوسف**] : يا صاحبي يا سرهم . إرجع الى الملك . وسله أن يتعرَّف أمر هؤلاء النسوة اللاتي قطعن أيديَهن . وأخذت ظلماً بجريرتهن . لتظهرَ براءتي . وتعرفَ قضيتي قبل أن يفصل فيها بالعفو[1] .

---

(١) قال رسول الله ﷺ . لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه . والله يغفر له . حين سئل عن البقرات لو كنت مكانه لما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني (من السجن) . ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول (فلم يجب) ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب . وفي رواية للبخاري : ولو =

(وعاد سرهم الى الملك فبلغه قائلاً) .

[سرهم] : (جثى على ركبتيه أمام الملك فقال) : أيها الملك العظيم : إن يوسف الصديق سجن مظلوماً . فعزم الا يخرج من السجن الا بريئاً . فقد عُقِدت عليه مؤامرةٌ نسائية . منهن راعيل . ونهلة . وزليخا . وسعدة . وعليا . يراودنه عن نفسه . فأخذ بجريرتهن وسجن مظلوماً .

[الراوي] : (فاهتم الملك في ذلك واحضر النسوة فيهن زليخا وباشر التحقيق بنفسه) .

[الملك] : يا حرسي . . يا حرسي . .

[رئيس الحرس] : نعم يا مولاي .

[الملك] : علي براعيل . ونهلة . وزليخا . وسعدة . وعليا . وعليَّ بهيئة القضاء الأعلى .

[رئيس الحرس] : حاضر يا مولاي .

[الراوي] : (فدعى رئيس الحرس هيئة القضاء الأعلى . كما أحضر النسوة المذكورات . وابتدأت المحاكمة العلنية . بحضور النسوة . وغياب يوسف .

[الملك]: ايتها النسوة: ما خطبكن إذ راودتُنَّ يوسف عن نفسه؟.

[راعيل] : يا سيدي الملك . أنا أقص عليك الحق . دعتنا زليخا يوماً الى ضيافتها فاحضرت لنا . الفواكهة . وآتت كل واحدة منا سكيناً . وأمرت يوسف أن يخرج علينا . فخرج فبهرنا بجماله . فبدل أن نقطع الفاكهة قطعنا أيدينا . والله ما علمنا على يوسف من سوء .

[نهلة] : والله أيها الملك لقد خَبِرْنا يوسف . فلم نره الا فتىً عفيفاً

= لبثتُ في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي . اهـ اراد الرسول ﷺ أن يحمل الناس على الحزم بالأمور وعدم ترك مثل هذه الفرصة للخروج من السجن . وبعد ذلك يطلب البراءة . وأي الناس مثل يوسف بحلمه وعلمه بأن خروجه مضمون . بواسطة الوحي . ولكن الرجل العادي ينبغي ان لا يفوت الفرص كما اشار الرسول ﷺ . كما قال الشاعر :

إذا هبَّت رياحك فاغتنمها ... فعقبى كل خافقة سكون
وإن درَّت نياقُكَ فاحتلبها ... فلا تدري الفصيل لمن يكون
ولا تغفل عن الإحسان يوماً ... فلا تدري السكون متى يكون

كريماً . غير متهم في شرف ولا ظنين في عفة .

[**زليخا**] : أيها الملك الجليل : الآن حصحص [1] الحق أنا راودته عن نفسه . وإنه لمن الصادقين [3] ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين . وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي . إن ربي غفور رحيم [2] .

[**الملك**] : لقد ظهرت براءة يوسف . بالشهادة والإقرار الصريح . . وتبين بأنه شريف أمين عالم حليم . فائتوني به استخلصه لنفسي . إذهب يا سرهم فاخرج يوسف من السجن فإنه برىء .

[**الراوي**] : (**فهب سرهم ينهب الأرض نهباً حتى أتى يوسف . وبلغه المحاكمة والبراءة . وأخرجه من السجن رافع الرأس ناصع الجبين . وطلب منه الدخول على الملك . فتغسل ولبس ثياباً جدداً وقال : حسبي ربي من خلقه . وجل ثناؤه . ولا إلّه غيره . ثم دخل على الملك . فرآى الملك رجلاً مُلىء جمالاً وهيبة وجلالاً . فقام له على الأقدام . وحياهُ بالسلام وأجلسه على سريره . فحياه يوسف بعدة لغات [4] وكانت بينهما المحاورة الآتية**) .

[**الملك**] : أهلاً وسهلاً برجل العلم والجمال . والطهارة والكمال .

[**يوسف**] : زدتني شرفاً أيها الملك العظيم .

[**الملك**] : يا يوسف أريد أن أسمع تأويل رؤياي من فمك الجميل .

---

(١) حصحص الحق . ظهر الحق وانكشف .

(٢) كان قطفير اذ ذاك قد توفي . ولما اعترفت زليخا بهذا الاعتراف وبرأت ساحة يوسف تكرم عليها وتزوجها بالحلال . وكان ابن ثلاثين سنة . وهي أكبر منه سناً . فولدت له ولدين هما أفراثيم ومنشا . ولما دخل عليها وجدها بكراً فتعجب وقال لها . أليس هذا خيراً مما كنت تريدين ؟ فقالت : ايها الصديق لا تلمني فإني امرأة حسناء ناعمة كما ترى وكان قطفير (عنينا) لا يأتي النساء . وكنت انت كما جعلك الله من الحسن والجمال . فغلبتني نفسي .

(٣) بعض المفسرين يجعل قوله تعالى : ذلك ليعلم . . الخ الآيتين من كلام يوسف . اي ليعلم قطفير . وليس بوجيه . لأن قطفير كان قد مات : ويريد يوسف ان يبرىء نفسه . وهذا يتناقض مع قوله : وما أبرىء نفسي . بل هو من كلام زليخا كما قررنا .

(٤) كان يوسف في القصر والسجن يتعلم اللغات .

[**يوسف**] : بل أسمعك الرؤيا كما رأيتَها . وتأويلها معاً . ذلك مما علمني ربي .

[**الملك**] : تفضل مشكوراً .

(يوسف يعبر الرؤيا للملك)

[**يوسف**] : نعم أيها الملك : رأيتَ سبعَ بقرات سمان . شهباً [1] غراً حساناً . كشف لك عنهن النيل فطلعن عليك من شاطئه . تشخب اخلافها [3] لبناً . فبينا أنت تنظر اليهن وتتعجب من حسنهن إذ نضب النيل فغار ماؤه . وبدا أسه . فخرج من حمئه ووحله سبع بقرات عجاف [2] . شعث غبر . مقلصات البطون . ليس لهن ضروع ولا أخلاف [3] لهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب . وخراطيم كخراطيم السباع . فاختلطن بالسمان . فافترستهن افتراس السباع . فأكلن لحومهن . ومزقن جلودهن . وحطمن عظامهن .

[**الملك**] : يوسف أيها الصادق الصديق . والله لكأنك تشاهد معي . ولا تخطىء بشيء . غير أني لا أحسن هذا التعبير . وهل من زيادة أيها الصديق .

[**يوسف**] : نعم أيها الملك . فبينا انت تنظر وتتعجب إذ بسبع سنبلات خضر طريات ناعمات من الحنطة ممتلآت حباً وماءً . والى جانبهن سبع يابسات . ليس فيهن ماء ولا خضرة . فبينما انت تقول في نفسك اي شيء هذا إذ هبت ريح فذرت الأوراق من اليابسات السود على الخضر المثمرات . فاشتعلت فيهن النار . فاحترقن . فانتبهت مذعوراً : أيها الملك الجليل .

[**الملك**] : والله أيها الصديق : ما شأن هذه الرؤيا . وإن كانت

---

(١) اللون الاشهب ما غلب بياضه على سواده .

(٢) عجاف مهازيل .

(٣) الأخلاف هنا حَلَمَةُ الضرع . والضرع ثدي البقرة.

عجباً . يا عجب مما سمعت منك وإني قد قصصت منها ما تذكرته على الملأ . ولكنك لم تدع منها شاردة ولا واردة فمن أنبأك هذا ؟

[**يوسف**] : أنبأني العليم الخبير . الذي يعلم السر واخفى .

[**الملك**] : انا على دينك يا يوسف [1] (وانك اليوم لدينا مكين أمين) : فما ترى في هذه الرؤ يا أيها الصديق ؟

[**يوسف**] : أرى أن تأويل البقرات السمانِ والسنبلات الخضر سبعُ سنين مخصبات . والعجافِ واليابساتِ سبعُ سنين مجدبات . فأرى أن تجمع الطعام . وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة . فإنك لو زرعت على الصخر لنبت . ثم ترفع الزرع في قصبه وسنبله . تبني له المخازن العظام . فيكون القصب والسنبل علفاً للدواب أيام الجدب . وحبه للناس . فيكفيك الطعام الذي جمعته لأهل مصر . ومن حولها . ويأتيك الخلق من النواحي يمتارون منك . ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك .

(يوسف عزيز مصر عليه السلام)

[**الملك**] : يوسف أيها الصدِّيق : حسناً أشرت . ولكن من لي بتدبير هذه الأمور التي ذكرت ولو جمعت أهل مصر جميعاً ما أطاقوا ذلك . وليسوا فيه بأمناء :

[**يوسف**] : (اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم) .

[**الملك**] : أيها الصديق : إن ما تجملت به من هذا الخلق الكريم . وما شاع عنك من ذكر عطر . وماض زاهر . وما نطقت به من حلم راجح . وعقل حصيف [2] كل ذلك رفع عندي مقدارك وأعلى مقامك . وإنك منذ اليوم أمين على هذه الدولة . تعمل لخيرها . وتقوم على إصلاحها . مفوض فيما تريد .

[**الراوي**] : (**ثم قلده بسيفه . وحلاّه بخاتمه . ووضع له سريراً**

---

(١) ورد ان الملك آمن بيوسف ومات مسلماً . والله أعلم .

(٢) حَصُفَ العقل ككَرُمَ استحكم . وأحصف الامر احكمه . اهـ قاموس .

من الذهب . عليه الفرش والديباج وفوض اليه مقاليد الدولة [1] ودفع اليه مفاتيح الخزائن . ومكن الله ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء) .

[قرآن كريم] : ﴿ وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين * قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم * وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين * ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون * ﴾ [2] .

[الراوي] : (استلم يوسف عليه السلام مقاليدَ الحكم في مصرَ . فقام باصلاح البلاد والعباد ما استطاع لذلك سبيلاً . وأقبل الخير على البلاد . وفاض سبعَ سنين متواليات . فكان يوسف نعم الحاكم اليقظ . أعد المخازن الكثيرة . واشترى بالمال الموفور لديه سائر الغلات الوافرة . بقصبها وسنابلها ولم يبق لأهل مصر الا ما يأكلون ويبزرون . حتى إذا ما اقبلت السبعُ الشداد صنع يوسف البذار لأنه يذهب سدىً . فابتاع أهلُ مصرَ من يوسفَ الطعامَ بنقودهم حتى نَفَذَت . وحليهم وجواهرهم حتى فَنِيت . ثم بممتلكاتهم حتى باعوه أنفسهم فتملكهم ثم أعتقهم لله عزّ وجلّ. وذاع أمر يوسفَ في الآفاق والأصقاع ولهج الناس أن بمصر عزيزاً حكيماً قد أعد عدته للجوع والقحط . فهو يوزع على الناس بنفسه بميزان العدل . فكأنه كانت بين يعقوبَ وبنيه المحاورة الآتية) .

[شمعون] : يا أبت لم يبق عندنا شيء من الحنطة للخبز فماذا نصنع . ونحن عائلة كبيرة ؟

[يعقوب] : يا بُني إن الجدب قد عمنا . فشدوا ركائبكم الى مصرَ . واقصدوا هذا العزيزَ الصالح الذي حملت الينا الركبانُ أخباره . وتناقل الناس أحاديثه . من احسان ورحمة وعدل وكرم . ولكن أتركوا عندي أخاكم بنيامينَ . اتعزى ببقائه عن فراقكم . والله ييسر لكم .

---

(١) وكان قد مات قطفير كما تقدم فحل يوسف مكانه بزيادة من التفويض .

(٢) الآيات ٥٤ ـ ٥٧ من سورة يوسف.

[**شمعون**] : أمرك مطاع يا والدنا الحبيب . هيا بنا يا رجال تهيؤوا جميعاً غير بنيامين. لما أمرنا أبونا . فإني سمعت أن عزيز مصر يعطي من حضر لديه حمل بعير من الحنطة ولا يعطي للغائب ولنأخذ معنا بعيراً لبنيامين لعله يعطنا له . إن صَدَّقَنا بوجوده .

[**الراوي**] : (**وساروا جميعاً الى مصر غيرَ بينامين . ووقفوا على باب العزيز . فكانت المقابلة الآتية**) .

[**الحاجب**] : يا مولاي . إن بالباب عشرة رجال . تتشابه معارفهم . ويلمع نور الصلاح في وجوههم . وكأنهم غرباء عن هذه الدار .

[**يوسف**] : دعهم يدخلون .

[**الحاجب**] : أمرك يا مولاي .

[**الحاجب**] : (**خرج اليهم فقال**) : أمر العزيز بدخولكم عليه فتفضلوا .

﴿ فدخلوا على يوسف فعرفهم وهم له منكرون ﴾ [1] .

[**يوسف**] : أهلاً وسهلاً : ضيوف كرام . . أيها الحاجب . أحضر مدير الضيافة .

[**الحاجب**] : امرك يا مولاي (**فدعاه فحضر**) .

[**يوسف**] : يا مدير الضيافة : هؤلاء الرجال في ضيافتك . فأكرم مثواهم أفضل إكرام إذ أن وجوههم تنم عن الصلاح . واحضرهم بين يدي بعد غدٍ لأنظر حاجتهم .

[**مدير الضيافة**] : حاضر يا مولاي .

[**الراوي**] : (**فكانوا في دار ضيافة يوسف يومين أو ثلاثة ثم أُحضروا اليه فكأنها كانت المقابلة التالية**) :

[**يوسف**] : أهلاً وسهلاً بالشيوخ . الآن أخبروني من أنتم . وما

---

(١) كان بين أن قذفوه في الجب ولقائهم هذا اربعون سنة . فقد خلفوه صبياً . وباعوه عبداً . ولم يدر بخلدهم انه اضحى ملكاً . يلبس الحرير . ويجلس على السرير . وعلى رأسه التاج . وفي عنقه اللؤلؤ . لذلك انكروه .

شأنكم . فقد انكرت حالكم [1]

[**شمعون**] : نحن قوم من أرض الشام . رعاة إبل وغنم . قد أصابنا من الجهد ما أصاب الناس . فجئنا نمتار لأهلنا .

[**يوسف**] : أرى معارفكم متشابهة .

[**شمعون**] : نعم نحن ابناء اب واحد .

[**يوسف**] : أخشى أن تكون مهمتكم في بلادنا التجسس علينا . والنظر في عورة بلادنا .

[**روبيل**] : كلا والله ما نحن بجواسيس . إنما نحن (كما قال اخي شمعون) اخوة بنو أبٍ واحد. وهو شيخ كبير صدِّيقٌ. نبي من انبياء الله عزّ وجل . يقال له يعقوب .

[**يوسف**] : وكم أنتم ؟

[**يهوذا**] : نحن كنا اثنا عشر . فذهب أخ لنا معنا الى البرية فهلك فيها . وكان أحبنا الى أبينا .

[**يوسف**] : **كم أنتم الآن ؟**

[**يهوذا**] : أحد عشر .

[**يوسف**] : أنتم هنا عشرة رجال . واين الحادي عشر .

[**يهوذا**]: هو عند أبينا. لأنه أخو الذي هلك لأمه. فابونا يتسلى به عن الهالك .

[**يوسف**] : ما اسم الهالك . وما اسم الذي عند أبيه .

[**شمعون**] : اسم الهالك يوسف . واسم الذي عند أبيه بنيامين .

[**يوسف**] : كلام جيد . ولكن من يعلم أن الذي تقولونه حق . آتوني بشاهد يشهد على صدقكم .

[**شمعون**] : أيها العزيز : نحن ببلاد غربة . لا يعرفنا فيها أحد . ومن أين نأتي بشاهد ؟

---

(١) اراد يوسف من مناقشتهم التعرف على احوالهم واحوال أبيه واخيه بنيامين حيث لم يره بينهم . من حيث لا يشعرون . ثم اراد الاجتماع بأخيه بنيامين باسلوبه الخاص . فكلمهم بلغتهم . وكان يتقن العربية والعبرانية وكثيراً من اللغات في عصره .

[**يوسف**] : إذن : إني سأجهزكم بجهَازكم. وأوفي لكم الكيل . وأُرخِّص الثمن . وادفع لكم حمل بعير لأخيكم بنيامين . كما تزعمون . على أن تضعوا عندي أحدكم رهينة حتى تحضروا أخاكم بنيامين شاهداً على صدقكم . فإني أوفي لكم الكيل . وانا خير المنزلين .

[**شمعون**] : إن ابانا يحزن لفراقه . و (سنراود عنه اباه . وانا لفاعلون) .

[**يوسف**] : إن لم تأتوني باخيكم بنيامين فلا كيل لكم عندي ولا تقربون .

[**الراوي**] : **(ثم جهزهم بجهازهم واعطاهم احد عشر حملِ بعير بثمن رخيص . ومع ذلك قال لفتيانه اجعلوا دراهمهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون [1] وارتهنوا عنده شمعون . معززاً مكرماً) [2] .**

القصيدة

اللهَ قل وذَرِ الوجودَ وما حوىٰ	إن كنت مرتاداً بلوغَ كمالِ
اللهَ قل وذَرِ الوجود وما حوىٰ	متأدباً في ساحة الاجلالِ
سلم لربك أمره واترك له	اقداره واحذر من الأقوال
يا نفس اني لا أُمالىء غيره	قومي الى حوض العظيم تعالي

---

(١) وكان يوسف عليه السلام امر بوضع دراهمهم في رحالهم لأجل ان يرجعوا اليه بأخيه بنيامين . فلعله لا يوجد معهم مال لرجوعهم اليه . او يرجعون لرد الدراهم اليه . كما رآى انه ليس من المروءة أن يأخذ ثمن الطعام من أهله . فجعل ذلك همزة وصل . وفوق كل ذي علم عليم .

(٢) أمر باكرام اخيه شمعون غاية الاكرام . ولكنه لم يجتمع به عن قرب مخافة أن يعرفه .

الحلقة الخامسة والعشرون

يوسف عزيز مصر عليه السلام وهلاك قومه شعيب عليه السلام

يوسف عزيز مصر عليه السلام

[الراوي] : (وظعنوا عن مصر . وساروا الى بلادهم . يحملون عن هذا العزيز أطيب الذكريات وأزكاها . وتلقاهم يعقوب . وأخذ يستوضح اخبارهم فقال : »

[يعقوب] : يا بني : لعل سفركم كان ميموناً مباركاً ؟

[روبيل] : يا أبانا: إنّا لقينا رجلاً عظيماً. ووزيراً كريماً. عرف فضلنا. وأكرم وفادنا. ووفي لنا الكيلَ. وأنقصَ الثمن. وأنزلنا خير منزل. ولكننا أردنا أن نزداد حمل بعير لأخينا بنيامين. فذكرنا اسمه له، فشكَّ العزيز في أمرنا. واحتبس أخانا شمعون. ومنعنا الكيل ثانية. حتى نأتيَه بأخينا بنيامين. يشهد بأنا صادقون.

[يعقوب] : يا بني : لن آذن لكم بسفره . ولن أستريح لفراقه . وهل ترونني آمَنُكم عليه كما أمِنتكم على أخيه من قبل . أنا احفظه عندي ﴿ فالله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين ﴾ . فاصرفوا عني كيدكم . وكفوا شركم .

[يهوذا] : يا أبانا : منع منا الكيل مع شدة الحاجة . فارسل معنا

أخانا نكتل . وإنّا له لحافظون .

[الـراوي] : (ثم فتحوا متـاعهم . وفتشوا رحـالهم . فوجـدوا دراهمهم في أوعيتهم فقالوا) :

[يهوذا] : يا أبانا ماكذبناك حين حدثناك عن فضل العزيز وكرمه . فهذه دراهمنا التي دفعناها ثمن الطعام وجدناها في رحالنا . فارسـل معنا أخانا . لنرد الثمن. ونزداد كيل بعير . وهو كيل يسير أمام كرم العزيز ووفرة الخير لديه . وإنا لنفدي أخانا بأرواحنا .

[يعقوب]: (لن أرسله معكم حتى تؤتوني موثقاً من الله لتُؤتنني به إلا أن يحاط بكم) فتهلكوا جميعاً .

[الـراوي] : (وأخذوا عـلى أنفسهم الميثاق . ووكـدوا الأيمان . وقالوا جميعاً) .

[المجموع]: يا أبانا نعاهدك في الله على حفظه . والله على ما نقول وكيل .

[يعقوب] : يا بني : إذهبوا في حراسة الرحمن . واحملوا هدية تليق بالعزيز : (يا بني : لا تدخلوا من باب واحدٍ . وادخلوا من أبواب متفرقة . وما اغنى عنكم من الله من شيء : إن الحكم الا لله . عليه توكلت . وعليه فليتوكل المتوكلون) .

[الـراوي] : (فحملوا هـديـة من العسـل واللَوْز . والفستق . والبندق . وعادوا بالدراهم التي وجدوها في رحالهم . وساروا يخفضهم وهد ويرفعهم نجد حتى ألقوا عصاهم بسـاحة يـوسف. ورآى يوسف أخـاه بنيامين . فحنى عليه ورقَّ له . ولكنه أخفى عواطفه . وتذرع بالصبر) .

[يهوذا] : أيها العزيز الكريم . هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به . قد فعلنا .

[يوسف] : أحسنتم وأصبتم . وستجدون جزاء ذلك عندي . إني أراكم رجالاً طيبين وقد أردت أن أكرمكم .

[يوسف] : يا حرسي ناد صاحب الضيافة .

[الحارس] : امرك يا مولاي . (ودعاه فحضر »

[الحارس] : ها هو صاحب الضيافة قد حضر . يا مولاي .

[**يوسف**] : يا صاحب الضيافة .

[**صاحب الضيافة**] : نعم يا مولاي .

[**يوسف**] : هؤلاء الرجال ضيوف كرام . فاكرم مثواهم . وأحسن ضيافتهم. وضع كل رجلين شقيقين منهم على مائدة منفردة .

[**صاحب الضيافة**] : أمرك يا مولاي .

[**الراوي**] : (**وكان كل واحد منهم له شقيق غير بنيامين ليس له شقيق إلا يوسف فبكى ولم يجلس مع أحد منهم**) :

[**يوسف**]: ما يبكيك أيها الرجل الوقور. الجميل.

[**بنيامين**] : تذكرت حادثة . أيها العزيز .

[**يوسف**] : أليس لهذا شقيق ؟

[**شمعون**] : قلنا لك أيها العزيز : كان له أخ شقيق فهلك .

[**يوسف**] : اذن : أنا أطعمه على مائدتي .

[**الراوي**] : (**فأكل بنيامين على مائدة يوسف . ومع ذلك جعل يوسف يؤانسه . وتذرَّع بالصبر**).

[**يوسف**] : يا صاحب الضيافة . انزل كل رجلين شقيقين في غرفة خاصة . وسأضم هذا الرجل في غرفتي .

[**صاحب الضيافة**] : أمرك يا مولاي .

[**يوسف**] : سر معي أيها الرجل الوقور . الجميل الصبور .

[**بنيامين**] : أمرك يا مولاي .

[**روبيل**] : (خلا بإخوته وقال) : ما رأينا مثل هذا الكرم والحفاوة والعجب كيف ضم بنيامين اليه ؟

(وخلا يوسف ببنيامين وقال)

[**يوسف**] : حدثني يا عزيزي : ما اسمك الحقيقي ؟

[**بنيامين**] : سيدي : اسمي بنيامين .

[**يوسف**]: ما معنى بنيامين؟.

[**بنيامين**]: سيدي. معناه ابن الهالكة. سماني أبي بذلك لأن أمي هلكت عند ولادتي.

[**يوسف**] : ما اسم أمك ؟

[**بنيامين**] : اسم أمي راحيل . أيها العزيز .

[**يوسف**] : فهل لك من ولد ؟

[**بنيامين**] : نعم . لي عشرة بنين .

[**يوسف**] : فهل لك من أخ شقيق ؟

[**بنيامين**] : كما قال لك أخي روبيل : كان لي شقيق يدعي يوسف . فهلك .

[**يوسف**] : أتحب يا بنيامين أن أكون أنا أخوك بدل أخيك الهالك ؟

[**بنيامين**] : ومن يجد أخاً مثلك أيها الملك . ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل .

[**الراوي**] : (**فقام يوسف على قدميه وبكى بكاء مراً وهو يعانق أخاه بنيامين ويقول**) :

[**يوسف**] : بلى . . بلى . . : قد ولدني يعقوب . وولدتني راحيل . أنا أخوك يوسف الذي تنشده . وتهتف باسمه . وتتلهف لرؤيته . لقد لقيتُ من كيد إخوتك ألواناً . وتحملتُ من غدرهم أحزاناً وأسقاماً. ولكني صبرت وجاهدت . حتى ابدلني الله كما ترى نعيماً ببؤس . وغنى بفقرٍ . وعزا بذل .

[**الراوي**] : (**وطال العناق. واجتمع الحبيب بالحبيب بعد غياب طويل وانقطاع الأمل**) .

[**بنيامين**] : يا حبيبي يا يوسف . . يا حبيبي يا يوسف . . (أإنك لأنت يوسف) : يا حبيبي : لقد اكتحلتُ بعدك السهر . وفقدتُ صالح الاخوان . ولقيت من أخوتك ما لقيت .

[**يوسف**] : يا أخي يا بنيامين : (إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون) . ولا تحزن . فالله قد نجانا من الهلاك . وجمع بيننا بعد فراق طويل . فاكتم عن أخوتك هذا الخبر . واحجب عنهم هذا السر .

[**بنيامين**] : (يبكي ويقول) يا أخي يا يوسف : إني لا أريد أن أفارقك . ولو تركت الأهل والولد .

[**يوسف**] : يا أخي يا بنيامين . قد علمتُ غم والدي على فراقي .

وحزنه علي . فاذا بقيت عندي ازداد غمه .

[**بنيامين**] : أنا لا أفارقك . ومهما كانت العواقب .

[**يوسف**] : اذن اشهرك بأمر فظيع . فادس صاعي في رَحلك . ثم أنادي عليكم بالسرقة . ليتهيأ لي ابقاؤك عندي وأرجوا ان يحصل لأبينا فرج وسرور بعد الحزن الطويل .

[**بنيامين**]: إفعل ما شئت فلن أفارقك . ولن أذهب مع إخوتي الغُدْر . وسأدعو زوجتي وأولادي لجوارك .

[**يوسف**] : بل سأدعوا الأهل (إن شاء الله) أجمعين .

[**الراوي**] : **(وانقضت أيام الضيافة . فأمر يوسف غلمانه أن يجهزوهم بجهازهم . ويوفوا لهم أحمالهم وان يدسوا السقاية[1] في رحل بنيامين . مكيدة لاستبقائه عنده[2] واستقدام الاهل اجمعين . فبينما هم خارجون مودعون . إذ بمنادٍ جهير الصوت يقول) :**

[**المنادي**]: وقوفاً أيها الركب. (أيتها العير إنكم لسارقون).

[**روبيل**] : ما هذه الفريّة التي تفتريها أيها المؤذن ؟ فماذا تفقدون ؟

[**المؤذن**] : نفقد صواع الملك الذهبي . وإنا لنشك أن تكونوا قد سرقتموه واخفيتموه . ولمن جاء به حملُ بعير . وأنا له كفيل .

[**يهوذا**] : يا قوم ﴿ تا الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض . وما كنا سارقين ﴾ ولو أردنا السرقة ما رددنا لكم ثمن الطعام الذي وجدناه في رحالنا .

[**المؤذن**] : اننا لا نتجنّى عليكم . فما حكمكم لو وجد الصواع في رحالكم ؟

[**يهوذا**] : إن لنا شرعاً وديناً . وذمة وعهداً . فمن وجدتموه في رحله

---

(١) السقاية : هي وعاء من ذهب جعل للكيل .

(٢) وربما يخطر على ذهن الأنسان في وضع السقاية . واتهامهم بالسرقة . فهل هذا يليق بيوسف . فالجواب : اراد يوسف عليه السلام الانتقام المحدود منهم جزاءً لخيانتهم والمؤذن غير يوسف . ولكن بأمر يوسف . واراد عليه السلام يقول : مؤذنه ايتها العير انكم السارقون . اي سرقوا يوسف نفسه . ثم سرقوا ثمنه لما باعوه .

فخذوه أسيراً عندكم . عبداً لكم . ذلك شرعنا . وهذا عهدنا . وأنا على يقين من براءة ذمتنا .

[**الراوي**] : (**وعادوا الى فناء العزيز فاناخوا جمالهم . وابتدأ العزيز يفتش أوعيتهم . وعاء وعاء . تحت نظرهم . حتى انتهى الى وعاء بنيامين . فوجد السقاية مستقرة بين طياته فاستخرجها منه . واشهرها في وجوههم . فذهلوا ودهشوا . واطرقوا حياءً وخجلاً**) .

[**يوسف**] : هذا الوعاء لمن ؟

[**يهوذا**] : هذا الوعاء لبنيامين .

[**روبيل**] : يا بني راحيل : ما زال لنا منكم بلاء : (إن يسرق فقد سرق أخ من قبل)[1].

[**يوسف**] : أنتم شر مكانا . والله أعلم بما تصفون .

[**يوسف**] : إذن بنيامين هو الأسير عندنا . العبد لدينا .

[**يهوذا**] : أيها العزيز . إن له أباً شيخاً كبيراً . قد ناهز العمرين . وإنه يحبه حباً جماً . وأبى أن يرسله معنا حتى أعطيناه موثقاً من الله أن نرده عليه إلا أن يحاط بنا فنهلك عن آخرنا . وها نحن جميعاً . بين يديك فخذ أحدنا مكانه . وإنا نراك من المحسنين .

[**يوسف**] : معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده . إنا إذاً لظالمون[2] .

[**شمعون**] : (يصيح) أيها الملك لتردنَّ علينا أخانا أو لأصيحن صيحة لا تسمعها امرأة حامل إلا وضعت حملها .

[**يوسف**] : يا بُني يا أفرثيم؟[3].

[**افراثيم**] : نعم . بابا .

---

(١) يعني بذلك يوسف . قال سفيان بن عيينة . اخذ يوسف من بيت ابيه دجاجة واعطاها لسائل . شفقة عليه فلحقدهم على يوسف عدوها عليه سرقه . فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم .

(٢) اي ان اخذنا غير من وجدنا الصواع عنده فقد ظلمناه .

(٣) افراثيم: هذا هو ابن يوسف من زليخا.

[يوسف]: إمسح وجه عمك شمعون بيدك[1] .

[يوسف]: خَفِّض عليك يا شمعون. فإنا لم نتعدى ما شرعتم.

[الراوي] : (فقام افراثيم بن يوسف فمسح وجه شمعون بيده فسكن غضبه وقال) :

[شمعون] : شممتُ من يد هذا الغلام رائحة أبي يعقوب . سيروا بنا يا إخوتي الى المناجاة[2] .

[قرآن كريم] : ﴿ فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبلُ ما فرطتم في يوسف . فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ﴾[3]

[يهوذا][4] : (بعد ان اختلوا بأنفسهم قال) : يا إخوتاه . ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم عهداً . واستحلفكم إيماناً مغلظة أن تأتوه بأخيكم إلا أن تهلكوا عن آخركم . (فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين . ارجعوا الى أبيكم فقولوا : يا أبانا : إن ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا . وما كنا للغيب حافظين . واسأل القرية[5] التي كنا فيها . والعيرَ التي أقبلنا فيها . وإنا لصادقون .

(وعاد تسعتهم الى يعقوب . وخلفوا في مصر . كبيرهم يهوذا . وصغيرهم بنيامين . فتفقد يعقوب بنيامين فلم يجده فيهم . فكأن طائراً طار من قلبه . فقال) :

[يعقوب] : أين أخوكم بنيامين ؟

[روبيل] : يا أبانا إن ابنك سرق . وما شهدنا إلا بما علمنا . وما كنا للغيب حافظين . (وقصوا عليه القصص) .

---

(١) قال له عمك شمعون ولم يشعروا بأنه يريد الحقيقة . فظنوا مجازاً .

(٢) المذاكرة سراً .

(٣) الآية ٨٠ من سورة يوسف .

(٤) كان روبيل اكبر اولاد يعقوب . ويهوذا وشمعون يلونه . ولكنهما اكبر منه رأياً . وهما دافعا عن يوسف من القتل يوم الجب . اذن كبيرهم اضافياً . اي بعد الأول . او رأياً .

(٥) اي اسأل اهل القرية . واصحاب العير . مجاز مرسل بحذف المضاف .

[شمعون]: يا أبت. قد تأخر يهوذا في مصر ينتظر أمرك ماذا يفعل.

[يعقوب] : (بل سولت لكم انفسكم أمراً . فصبر جميل . عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً . إنه هو العزيز الحكيم)

[الراوي] : (واعرض عنهم . وتركهم . وبكى بكاء مراً وقال (يا أسفاً على يوسف) . وابيضت عيناه من الحزن وفقد بصره . وكاد يهلك . فزاره عزرائيل عليه السلام فكان بينه وبين يعقوب المحاورة الآتية .

[عزرائيل] : السلام عليك يا نبي الله يعقوب .

[يعقوب] : وعليك السلام . من أنت يا عبد الله ؟

[عزرائيل] : أنا ملك الموت عزرائيل .

[يعقوب] : يا أخي يا عزرائيل : هل قبضت روح إبني يوسف ؟

[عزرائيل] : لا : وإنه لحي يرزق .

[يعقوب] : اذن : أرجو من الله تعالى ان يجمعني بهم أجمعين . لما بعد شدة الضيق إلا الفرج .

(فترة)

[شمعون] : يا أبت : أنت رسول كريم . ونبي عظيم . بكيت حتى عميت . كفكف هذه الزفرات التي افنت جسمك . واضنت نفسك (تالله تفتأ تذكر يوسف[1] حتى تكون حرضاً[2] أو تكون من الهالكين)

[يعقوب] : يا بني : إن لومكم يبث شقائي . ويثير كامِن دائي (إنما أشكو بثي وحزني الى الله . واعلم من الله ما لا تعلمون) : يا بني : إن يوسف وإن كان قد أكله الذئب كما زعمتم . فانه حي يرزق . ولكني لا أدري أي وادٍ سلك . وأي مذهب ذهب . ذلك الذي يثير حُزْني . (يا بني اذهبوا فتحسَّسوا عن يوسف وأخيه. ولا تيأسوا من روح الله[3] إنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) . وها أنا أكتب كتاباً لعزيز مصر فانه

---

(١) تفتأ اي لا تزال تذكر يوسف .

(٢) حرضاً مريضاً مشرفاً على الهلاك . فأنهم قانطون من يوسف .

(٣) اى لا تيأسوا من رحمة الله .

سيدفع لكم أخاكم بإذن الله رب العالمين .

[**كتب يعقوب**] : من يعقوب اسرائيل الله . ابن إسحاق صفي الله . ابن ابراهيم خليل الله الى ملك مصر . أما بعد فإنا أهل بيت وُكِّل بنا البلاء . أما جدي ابراهيم فشدت يداه ورجلاه فالقي في النار فجعلها الله عليه برداً وسلاماً . وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب اولادي إليَّ فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوا بقميصه ملطخاً بالدم . وقالوا قد أكله الذئب . فذهبت عيناي حُزناً عليه . وكان لي ابن آخر شقيق المفقود وكنت اتسلى به عن المفقود . فانك حبسته عندك وزعمت أنه سرق . وإنّا أهل بيت لا نسرق . فان رددته إليَّ . والا دعوة عليك دعوة تدرك السابعَ من ولدك .

[**يعقوب**] : اذهبوا يا بني في حراسة الرحمن . وادفعوا الكتاب الى عزيز مصر . فان فرج الله قريب .

[**الراوي**] : (**وهبطوا مصر مرة ثالثة وآمالهم بين الخيبة والرجاء . ووقفوا بين يدي العزيز . ترهقهم ذلة ويحيطهم انكسار** .

[**شمعون**] : أيها العزيز : ها قد أرجعتنا الأيام اليك . وإرادتنا أن نقف موقف الضراعة والاستكانة بين يديك . (يا أيها العزيز مسنا واهلنا الضر[1] وجئناك ببضاعة مـزجّاة[2] فأوف لنا الكيل وتصدق علينا (فأعطنا أخانا بنيامين) إن الله يجزى المتصدقين . وهذا كتاب من ابينا يعقوب إسرائيل الله .

[**الراوي**] : (**تناول يوسف الكتاب فقرأه ففاضت عيناه وعلا صوته بالبكاء وقال**) :

[**يوسف**] : (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه . إذ أنتم جاهلون) : إذ القيتم بيوسف في الجب . وهددتم بنيامين بالقتل . الا تذكرون يوم أخذ أحدكم بيده القوية يوسف الصغير من ثيابه وجلد به الأرض وهو يتوسل ويتوجع . فلم تقبلوا منه شفاعة . ولم تأخذكم فيه رحمة .

---

(١) وكان ضرهم من الشدة والفقر والجوع وما طرأ عليهم من قصة يوسف وبنيامين .

(٢) اي دراهم قليل ورديئة .

بل القيتموه في الجب وحيداً ضعيفاً . تلعب فيه الاقدار . ثم بعتموه بيع العبيد .

[الراوي] : (وصف لجريمتهم دقيق يثير الانتباه واليقظة . فنظر يهوذا الى خال يوسف . وملامحه . فترجح عنده انه هو يوسف نفسه فقال مستفهماً .) .

[يهوذا] : أإنك لأنت يوسف ؟

[يوسف] : أنا يوسف (وضم بنيامين الى صدره) وهذا أخي قد من الله علينا . إنه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين)

[الراوي] : (فامتقعت ألوانهم . واضطربت مشاعرهم . وتلجلج الحديث في أفواههم . وتمنوا لوا انشقت الأرض فابتلعتهم . فقال شمعون) .

[شمعون] : (تا الله لقد آثرك الله علينا . وإنّا كنا لخاطئين)

[يوسف الكريم] : (لا تثريب[1] عليكم اليوم . يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين)

[يوسف] : كيف حال أبي يا إخوتاه ؟

[يهوذا] : لقد جرح الدمع مقلتيه . وابيضت من الحزن عيناه . وفني من البكاء جسمه . ودنفت[2] نفسه .

[يوسف] : (إذهبوا بقميصي هذا . فالقوه على وجه أبي يأت بصيراً) فانه سيزول بكاؤه . وينشرح صدره. ويفرح قلبه ؛ وائتوني بأهلكم اجمعين)[3] .

(فتناول القميصَ يهوذا وقال) :

[يهوذا] : أنا ذهبت بالقميص ملطخاً بالدم الى ابي يعقوب . واخبرته أن يوسف أكله الذئب . وأنا أذهب اليوم بالقميص فاخبره أنه حي كريم فافرحه كما أحزنته .

---

(١) لا تثريب عليكم : لا لوم عليكم .

(٢) ثقل من المرض وقارب الموت .

(٣) وكانوا سبعين انساناً بين صغير وكبير وذكر وانثى .

[الراوي] : (وغادروا جميعاً مصر ينهبون الأرض نهباً . ولكن رائحة قميص يوسف سبقتهم إلى أنف يعقوب . فقال لأحفاده) .

[يعقوب] : (اني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون»[1] .

[حفيد] : (تا الله أنك لفي ضلالك القديم)[2] من نعومة أظفارنا ونحن نسمعك يا جداه تلهج بذكر يوسف ولا تنساه .

[الراوي] : (واسرع يهوذا حاسر الرأس حافي القدمين يعدو بالقميص أمام الركب . حتى دخل على يعقوب والقى القميص[3] على وجهه فارتد بصيراً وهو يقول) :

[يهوذا] : بشارة . . بشارة . . يا ابتاه . يوسف حي يرزق . وها هو قميصه على وجهك .

[يعقوب] : الحمد لله رب العالمين . الحمد لله رب العالمين . ها : قد أرتد علي بصري . وزال حزني . وانشرح صدري . (ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون) . ألم أقل لكم أن يوسف حي يرزق وسيجمع الله بيننا بمنه وكرمه . كيف تركت يوسف يا يهوذا ؟

[يهوذا] : يا أبتاه : تركت يوسفَ ملك مصر . وهو العزيز نفسه .

[يعقوب] : ما أصنع بالملك . على أي دين تركته ؟

[يهوذا] : تركته على دين الاسلام . ويدعو الى الله عز وجل يا أبتاه .

[يعقوب] : الآن تمت النعمة . والحمد لله رب العالمين .

[يهوذا] : (يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين)

---

(١) تفندون : تجهلون . وتخرفوني .

(٢) الضلال هنا بمعنى الخطأ .

(٣) وهذا القميص من ثياب الجنة كما تقدم ألبسه جبريل عليه السلام لابراهيم خليل الرحمن لما ألقي في النار عرياناً . ثم ورثه اسحاق . ومن بعد اسحاق يعقوب فجعله تمتمة في عنق يوسف . فالبسه اياه جبريل في الجب . ثم القي على وجه يعقوب فرد الله عليه بصره من رائحته .

[**يعقوب**] : (سوف استغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم)[1]

[**الراوي**] : (وأقبل بقية ولد يعقوب . يجرون مائة راحلة . وجهازاً كثيراً . وتجهز يعقوب . والأهل أجمعون . وركبوا الرواحل . وسار الحبيب الى الحبيب . وعند دنوهم من مصر خرج يوسف ومعه الملك الكبير في أربعة آلاف من الجند . وخرج أهل مصر يتلقون يعقوبَ عليه السلام وبنيه . حتى إذا وقع بصر يعقوب على يوسف ترجل عن راحلته . وجعل يتكىء على ابنه يهوذا . كما ترجل يوسف . وهجما على بعضهما يتعانقان ويبكيان بكاء فرح ويقولان) .

[**يعقوب**] : السلام عليكم يا مذهب الاحزان .

[**يوسف**] : وعليكم السلام : يا حبيبي وحبيب الرحمن . (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين)

« ورفع أبويه على سرير الملك . وخروا جميعاً له سجداً »[2]

[**يوسف**] : يا أبت هذا تأويل رؤ ياي من قبل قد جعلها ربي حقاً .

[**قرآن كريم**] : ﴿ فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه[3] وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين * ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً . وقال : يا ابت هذا تأويل رؤ ياي من قبلُ قد جعلها ربي حقاً . وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدوِ من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي . إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم * رب قد آتيتني من الملك . وعلمتني من تأويل الأحاديث . فاطر السماوات والأرض . أنت وليِّي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً والحقني بالصالحين ﴾[4] .

لسان حال يعقوب عليه السلام

---

(١) وهكذا كانت تحيتهم الانحناء والتواضع .

(٢) الملاحظ هنا ان يعقوب عليه السلام لم يستغفر لهم فوراً بل وعدهم بذلك . إما لأنّه لم يصفُ قلبه بعد او ليصلي فيستغفر لهم بالصلاة .

(٣) اي آوىٰ اليه اباه وخالته (ليا) وهي اخت أمه وزوجة أبيه . وكانت امه راحيل قد ماتت . والعرب تسمى العم أبا والخالة أماً .

(٤) الآية ٩٩ ـ ١٠١ من سورة يوسف.

أما والذي قد قدر البعد بيننا ... وعذبني بالفقد وهو شديدُ
وخصكمُ بالصبر دوني وخصني ... بحزن عليكم يبتدي . ويعُود
وصيرني مهما شممت نسيمكمْ ... اشد لقلبي راحتي وأميدُ[1]
لقد ذاب قلبي من دموعي عليكمُ ... على أنه في النائبات جليد
على أنها الأقدار قد تبعد الفتى ... قريباً وقد تدنيه وهو بعيد

(١) ماد الشيء تحرك ومادت الأغصان تمايلت .

الحلقة السادسة والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم
أيوب عليه الصلاة والسلام

[مقدمة]: كان أيوب بعد زمن يوسف بقليل عليهما السلام[1]، وهو أيوب بن موص بن زراح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . فليس هو من بني إسرائيل . وأمه حفيدة لوط عليه السلام وزوجته رحمة بنت أفرائيم بن يوسف . عليهم السلام . وكنيته أبو عبد الله . وبلده البَثَنِيَّة . من مقاطعة حوران الشام . قرب نوى[2]. وقد ذكر أسم أيوب في القرآن الكريم أربع مرات في الآية ١٨٦ من سورة النساء وفي الآية ٨٤ من سورة الأنعام وفي الآية ٨٣ من سورة الانبياء . وفي الآية ٤١ وما بعدها من سورة ص . وله ذكر وافر في كتب أهل الكتاب . ونسب إليه سفر كبير من العهد القديم يشتمل على خمسة فصول .

---

(١) وهذا على أصح الروايات . والا ففي عصر ايوب اختلاف كثير .

(٢) قرية البثنية تدعى الآن الشيخ سعد نسبة لسيدنا سعد بن عبادة الخزرجي . المدفون بها . وله مقام جليل بجانب مسجد القرية . وبقرب المسجد العين التي اغتسل فيها وشرب منها سيدنا ايوب عليه السلام فعافاه الله . وبقرب البلدة تلك مسجد فيه ضريح سيدنا ايوب بني عند الصخرة التي كان يأوى اليها في بلائه . وقد زرت البلد والعين والمقامات عام ١٣٩٦ هجرية ووقفت على ذلك . اهـ محمد حمزة .

الأول : يذكر فيه تقوى أيوبَ وأملاكه . وأقاربه وصفاته .

الثاني : ويذكر فيه ما جرى بينه وبين أصحابه الثلاثة من الجدال.

الثالث: ويذكر أقوال الحكمة التي نطق بها (الباهو) أصغر أصحاب أيوب.

الرابع : ويذكر فيه مخاطبة الله إياه من العاصفة .

ولم يؤمن بأيوب (عدا زوجته وأولاده) إلا أربعة نفر. هم إليفار اليماني . وصوفر النعماني وتلدد الشوحي . والياهو أصغر أصحابه . ويدعى الياهو الصغير .

كان أيوب عليه السلام عبداً صالحاً من عباد الله . امتحنه الله في ماله وأهله وبدنه فصبر صبراً جميلاً . فوهبه الله العافية وأعطاه أكثر مما فقد منه من أهل ومال . واثنى عليه ثناءً جميلاً في قرآنه . وجعله نبياً . وكانت له البَثَنِيَّة من أرض حوران . بل كانت له حوران كلها . سهلها وجبلها . وله من اصناف الأموال . من الابل والبقر والغنم . والخيل والحمير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدد والكثرة . وأعطاه الله أهلاً وولداً من رجال ونساء . (قيل كان له سبعة ذكور وسبع اناث) وكان براً تقياً رحيماً . يحسن إلى المساكين . ويكفل الأيتام والأرامل . ويكرم الضيف . ويبلغ ابن السبيل . وكان شاكراً لأنعُم الله . مؤدياً لحق الله، قد امتنع من عدو الله ابليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الفِرة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من أمر الدنيا . فامتحنه الله عز وجل بذهاب ماله وأهله . والضر في جسمه[1] . والله يمتحن عباده المقربين بما شاء لرفع درجاتهم عنده . وليجعلهم قدوة في الصبر على المكاره . فكأن الأحداث جرت (والله أعلم) على المنوال التالي .

---

(١) جاء في قصة أيوب أنه دخل على جبار كان مجاوراً لأملاكه. فجعل أيوب يلين له القول من أجل زرع كان له . (وهذا بالنسبة لغير أيوب لا بأس به لأن مداراة من يخشى بأسه مطلوبة . ولكن بالنسبة لمثل أيوب من الانبياء المتصلين بالله بواسطة الوحي يُعدُّ ذنباً . فحسنات الابرار سيآت المقربين . وهذا الامتحان لرفع الدرجات). أخرج البخاري في تاريخه ان النبي ﷺ قال : إذا اراد الله لعبد منزلة في الجنة ينلها بعمله ابتلاه الله عز وجل في ماله او اهله او جسمه ثم رزقه الصبر على ذلك حتى ينال المنزلة التي كتبت له .

[**قال أيوب**] : يا رحمة . . يا رحمة .

[**رحمة**] : نعم يا نبي الله مرني بأمرك .

[**قال أيوب**]: إن المال مال الله. وإن الخلق عيال الله. وإن مال الله لعياله. فارحمي الفقراء والمساكين. ولا تردي سائلاً. وتعهدي الأرامل والأيتام.

[**رحمة**] : أمرك مطاع يا نبي الله .

فترة

[**قال أيوب**] : يا رحمة قد شرف مضافتنا ضيوف كرام . وها قد ذبحت عجلاً سميناً . فاسرعي في إصلاح شأنه . واستعيني بمن شئت من الأولاد والعبيد . لنحيي بذلك مضافة أبينا إبراهيم عليه السلام .

[**رحمة**] : أمرك مطاع يا نبي الله . وشيكا سينضج الطعام . مرحباً بضيوف الرحمن .

[**الراوي**] : **(وهكذا كانت مضافة أيوب عليه السلام . فجرى الحديث بين الملائكة وقالوا : ما على وجه الأرض اليوم خير من أيوب . إنه مؤمن . قانت ساجد عابد . بسط الله له في رزقه . وانسأ في أجله . وفي ماله حق معلوم للسائل والمحروم . وأيامه عبادة لربه . وهو حجة على الاغنياء . ولم يكن ابليس اذ ذاك يبعد عن الملائكة . بل يجتمع بهم . فكانت بينه وبين جبريل عليه السلام المحاورة الآتية)** .

[**إبليس**] : سمعتكم يا معاشر الملائكة تثنون على أيوب خيراً . وما هو إلا عبد أنعم الله عليه فشكر . ولم يشكر بعشر معشار ما أنعم الله عليه . وعافاه الله فحمد ولم يحمد بعشر معشار ما عافاه الله . ولو ابتلاه الله بنزع ما أعطاه لحال عما هو عليه من الشكر .

(فعرج جبريل الى السماء ثم عاد فقال)

[**جبريل**] : يا عدو الله يا إبليس . ولأمر يريده الله فقد سلطك على مال أيوب وعياله . فاصنع ما بدا لك .

[**إبليس**] : سأجلب عليه بخيلي ورَجلي . وأشاركه في ماله وولده طالما سلطت عليه .

[**إبليس**] : (صرخ في عفاريته) : يا معشر عفاريت الجن ومردة

الشياطين . إلي . إلي . . إلي . جميعاً .

[**العفاريت والمردة**] : مالك . . مـالك . . مـالك . . يـا رئيس الغواية .

[**إبليس**] : يا معشر عفاريت الجن . ومردة الشياطين . من أمد طويل وأنا أسمع من الملائكة الثناء على أيوب . وأنه ما على وجه الأرض خير منه . على ما أوتي من مال وعيال . فخففت لغوايته . فوجدته يسرح ويمرح في أعطاف النعيم . ولكنه لم يبطره الغنى . ولم يفسده المال . فهو أبداً لاهج بذكر ربه . بِرٌ بأهله وعبيده يطعم الجائع ويكسو العاري . ويفك العاني (الاسير) ويعلم الجاهل . وينشر العلم والمعرفة بين الناس . فاقتربت من أذنه فوجدتها صماء عن الخنا . فاقتربت من قلبه فوجدته أغلف عن الهوى . وجدته من عباد الله المخلصين . الذين لا سبيل لي عليهم . ولكني مع ذلك لم اقنط من غوايته إن سلطت على ماله وعياله . فرُخص لي بذلك . فأعينوني لنجرده من ماله وأولاده فيرجع سليباً من إيمانه . فما عندكم من القوة ؟

[**العفريت الاكبر**] : يا رئيسنا يا إبليس : عندي من القوة ما إذا شئت تحولت إعصاراً من نار فاحرقت كل شيء أتيت عليه .

[**إبليس**] : أيها العفريت الأكبر . اذهب فأت الإبل . والبقر . والغنم . والمعز . والأتن والرعاة . حتى يصبح أيوب فارغ اليدين . مزعزع الإيمان . قليل اليقين .

[**العفريت**] : أمرك يا إبليس . يا رئيس الغواية .

[**الراوي**] : (**فأتى الابل والبقر . والغنم . والمعز . والأتن ورعاتها . فلم يشعر الناس إلا بنار خرجت من تحت الأرض . فأحرقت الأخضر واليابس . والصامت والناطق . ثم رجع العفريت الى إبليس متبختراً**) .

[**إبليس**] : هيه ماذا وراءك ؟ ماذا فعلت . يا كبير العفاريت ؟

[**العفريت**] : أتيت على الابل والبقر والغنم والمعز والأتن . فاحرقتها بناري . ولم أبق منها خبراً . فأصبح أيوب صفر اليدين .

[**إبليس**] : أحسنت يا كبير العفاريت . ها أنا ذاهب الى أيوب في

صورة قيم من القائمين عليها وناظر ماذا تفعل .

(اتى أيوب فوجده قائماً يصلي)

[إبليس] : (يصرخ) : يا أيوب . . يا أيوب . . يا أيوب .

[قال أيوب] : ويلك : ما هذا الصراخ ؟ وأنا أقف بين يدي الله عز وجل .

[إبليس] : أصرخ لأمر جلل (عظيم) : أقبلت نار حامية من الأرض حتى غشيت إبلك وبقرك وغنمك وأتنك (حمير) فاحرقتها وما فيها حتى الرعاة . وأصبحت المراعي رماداً . ولم ينج أحد غيري حيث كنت منها بعيداً

[قال أيوب] : الحمد لله حين أعطانيها . وحين سلبها مني . فهي عارية لله استردها . ووديعة كانت عندنا فأخذها . نعمنا بها دهراً فالحمد لله على ما أنعم . وسلبنا إياها اليوم . فله الحمد معطياً وسالباً راضياً وساخطاً . نافعاً وضاراً . هو مالك الملك . يؤتي الملك من يشاء . وينزع الملك ممن يشاء . ويعز من يشاء . ويذل من يشاء . (ثم خر لله ساجداً وترك إبليس كئيباً متحسراً) .

[إبليس] : تركت الناس : يا أيوب : مبهوتين يتعجبون . يقولون : لو كان إله أيوب يقدر على أن يصنع شيئاً لمنع وليّه . ومنهم من يقول : بل فعل ذلك إله أيوب ليشمت به عدوه .

[قال أيوب] : الحمد لله أعطاني . والحمد لله حين سلب مني . عرياناً خرجت من بطن أمي . وعرياناً أعود الى التراب . وعريانا أحشر الى الله عز وجل . ولو علم الله فيك أيها العبد خيراً لنقل روحك مع تلك الأرواح . وصرت شهيداً . ولكن علم منك شراً فأخرك .

[الراوي] : **(فرجع ابليس يحاول أن يحوك للشر ثوباً جديداً . وينسج للأغواء رداء قشيباً[1] وقال لشياطينه)** .

[إبليس] : ويلكم يا معشر المردة والشياطين لم ننل من أيوب أي

---

(١) قشيباً: جديداً.

نائل . ولم نكلم قلبه . وإني لأعتقد أن أيوب ما قابل النعمة بالحمد . والمصيبة بالصبر الا اعتداداً بمن يعتزُّ بهم من أولاده . فيطمع بمساعدتهم ان ترجع اليه ثروته . فما عندكم من القوة لنقضي على ولده .

[**العفريت الأصغر**] : عندي من القوة ما إذا صحت صيحة لا يسمعها ذو روح إلا خرجت روحه .

[**إبليس**] : اذهب يا صغير العفاريت فصح بولد أيوب . وها أنا والمردة نزلزل أركان قصرهم حتى يخر سقفه على رأس من ينجو من صيحتك.

[**العفريت الاصغر**] : أمرك مطاع يا رئيس الغواية .

[الراوي] : فذهب العفريت الأصغر الى ولد أيوب فصاح صيحة واحدة فخرّوا ميتين. وزلزل إبليس ومردته قصرهم حتى تصدع بنيانه. ووقعت حيطانه . وخر سقفه على أجسادهم فتمزقت . وانطلق عدو الله إبليس . متمثلاً بالمعلم الذي يعلمهم الحكمة الى أيوب يخبره . فكأنها كانت المقابلة الآتية) :

[**إبليس**] : (صرخ) : يا أيوب . . يا أيوب . . يا أيوب .

[**قال أيوب**] : ما لك تصرخ هذا الصراخ المزعج ؟

[**إبليس**] : أصرخ من الكآبة . لقد أقبلت صرخة من السماء على ولدك فخرّوا ميتين . وأتت الزلازل فصدعت البنيان من القواعد . وخر السقف على رؤوس ولدك . فنفقوا[1] وتمزقت أجسادهم .

[**قال أيوب**] : صبر جميل . اللهم اجمعني بهم في مستقر رحمتك . اللهم آجرني في مصيبتي وعوضني خيراً منها . فالله اعطى . والله أخذ . فله الحمد معطياً وسالباً . ساخطاً وراضياً . نافعاً وضاراً (ثم خر لله تعالى ساجداً)[2] .

---

(١) نفقوا ماتوا .

(٢) وما يذكره المفسرون من ان أيوب عليه السلام لما اخبر بوفاة ولده وضع التراب على رأسه وقال ليت امي لم تلدني فهذا لا أصل له . بل هو مدسوس على ايوب لأنه يتنافى مع قول الله عز وجل (انا وجدناه صابراً نعم العبد انه اواب)

[الراوي] : (فرجع إبليس خاسئاً ذليلاً يتميز[1] من الغيظ . فرآه جبريل على هذه الحالة الكئيبة فقال)

[جبريل] : ما لك يا عدو الله كئيباً ؟ فهل نلت من ولي الله أيوب أي نائل ؟

[إبليس] : إن أيوب ما دام في عافية من بدنه . وصحة من جسمه فهو يأمل أن يعوض الله عليه المال والولد . فلو أصيب في جسمه لما صبر . وأنا زعيمٌ[2] إنه لو مسه الداء . وانهكه السقم أن يهمل عبادة الله . ويخلع ثوب طاعته .

[جبريل] : يا عدو الله يا إبليس : إن أيوب مكتوب في أم الكتاب مؤمناً . صابراً ، شاكراً . إذهب فقد سلطك الله على جسده . وليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله . لتكون قصته عبرة للمصابين . وعزاء للمكروبين . وسلوى للمرضى والمجروحين . وليعظم له الأجر . ويجعله ذكرى للعابدين .

[الراوي] : (فانقض عدو الله إبليس سريعاً إلى أيوب فوجده ساجداً لله عز وجل فنفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسده . فوقعت فيه حكة شديدة مؤلمة[3] فحكه بأظافره بالحجارة الخشنة حتى تفسخ جلده وأنتن ولكنه ازداد إيماناً وصبراً . ومرت الأيام وأيوب في علته حتى هزل جسمه . وذهب لحمه . وضمر وجهه . وشحب لونه . وكان لا يقر على فراش من الألم . ففر عنه الصديق . وقلاه الناس كلهم[4] إلا زوجته الرؤوم

---

(١) يقال فلان يكاد يتميز من الغيظ اي يتقطع .

(٢) زعيم : كفيل .

(٣) اي ابتلي بداء الجرب .

(٤) إن الناس يروون في بلاء ايوب اقوالاً يوردونها تدل على انه مرض مرضاً مشوهاً ومنفراً للناس من قربانه والدنو منه : وهذا يتنافى مع منصب النبوة . وقد قرر علماء التوحيد أن الانبياء منزهون عن الأمراض المنفرة . فان المبالغين في ضر أيوب إنما اعتمدوا فيما يقولون على ما جاء عند أهل الكتاب . في السفر المسمى (سفر ايوب) واذا ثبت أن هذا السفر حقيقي فعبارته مؤوَّلة : فان سفر ايوب يشبه قصائد شعرية قيلت في وصف ضره وصبره . والشعر في كل لغة ميدان المبالغة : قال عمر بن الفارض . =

العطوف . فإنها تحننت عليه ما وسع قَلبُها الحنانَ . وظلت أيام مرضه ترف عليه بجناحيها . فاعتزل الناس يأوي الى صخرة يعبد الله تحت ظلها . وهكذا استمر بلاؤه ثلاث سنين[1] وكانت بينه وبين أصحابه المحاورة[2] الآتية) :

[إليفار اليماني] : يا صوفر النعماني . ويا تلدد الشوحي . ويا الياهو الصغير . اسمعوا مني ما أقول :

[إليفار] : إن أيوب نبي الله حقاً وصدقاً . وإن ما دعانا اليه من الدين فهو الدين القويم . فلا نحيد عنه ما بقينا على وجه الأرض . وما أصابه ما أصابه إلا لتقصيره نحو خالقه ورازقه . فسيروا بنا اليه . نطلب منه العودة الى الله . والتوسل اليه أن يرفع عنه البلاء .

[الثلاثة] : سيروا بنا رأي اليغار وجيه وسديد .

[الراوي] : **(فساروا جميعاً اليه . ودخلوا عليه كهفه . وكأنها كانت المقابلة الآتية .**

[إليفار] : السلام عليك يا نبي الله : صوفر . . السلام عليك يا نبي الله : تلدد : السلام عليك يا نبي الله : الياهو : السلام عليك يا نبي الله .

= فطوفان نوح عند نوحي كأدمعي وإيقاد نيران الخليل كلوعتي
فلولا زفيري اغرقتني مدامعي ولولا دموعي أحرقتني زفرتي

وقال المتنبي :

كفى بجسمي نحولاً إنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني

وقال : قيس بن الملوح (مجنون ليلى)

لو ان ما بي بالحصى فلق الحصى والريح لم تسمع لهن هبوب
ولو ان ما بي بالجبال لهدمت وكادت جلاميد الصخور تذوب .

فهذا من المبالغات الشعرية .

(١) وقيل سبع سنين .

(٢) لم يؤمن بأيوب (سوى زوجته واولاده) الاربعة : اليفار اليماني . وصوفر النعماني وتلدد الشوحي . والياهو الصغير .

[**قال أيوب**] : وعليكم السلام ورحمة الله . عدتم بعد غياب طويل . يا أيها الأصحاب .

[**إليفار**] : يا نبي الله . إننا جميعاً على دينك . ولن ندعه ما بقينا على قيد الحياة . وإنا لنرى أن البلاء الذي نزل بك ما كان إلا بسبب ذنب أحدثته فعوقبت به . فتب إلى الله عز وجل وسله الفرج .

[**صوفر النعماني**] : إن ما يقول اليفار حق وصدق . وإنا لا نعلم ذنبك . ولكن يعلمه علام الغيوب . فتب الى الله عز وجل فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت .

[**تلدد الشوحي**]: إن ما أشار به عليك اليفار اليماني، وصوفر النعماني هو الرأي السديد . فان الله عادل . لا يبتلي عبده إلا بجريرة . فتب سراً لذنب السر . وعلانية لذنب العلانية .

[**إليفار**] : دعونا من أيوب وسيرو بنا . نحن نكلمه وهو ساكت . لا ينبت ببنت شفة . لو علم الله فيه خيراً لما ابتلاه بهذا البلاء الخبيث .

[اليـاهو الصغـير]: تكلمتم أيهـا الكهـول. وأنتم أحق بـالكـلام مني . ولكنكم تركتم من القول ما هو أحسن . ومن الرأي ما هو أصوب . ومن الأمر ما هو أجمل من الذي قلتم . وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمام ما يمنعكم من عذله[1] . ألم تعلموا أن أيوب نبيُّ الله وصفوته من خلقه .

[**إليفار**] : فهل ترانا : يا صغير عزلنا من غير سبب ؟ أو انبناه من غير موجب ؟

[**الياهو**] : نعم : فهل تعلمون أن الله سخط شيئاً من أمر أيوب منذ آتاه الله النبوة إلى يومنا هذا . أو نزع الله منه شيئاً من الكرامة الدينية التي اكرمه إياها . فان كان البلاء هو الذي ازرى به عندكم ووضعه في أنفسكم . فقد علمتم أن الله يبتلي المؤمنين والصدِّيقين. والشهداء والصالحين . وليس بلاؤه لأولئك دليلاً على سخطه عليهم . ولا لهوانهم

---

(١) عذله : لومه .

عليه . ولكنها كرامة وخبرة . ورفع درجات في الجنات

[**صوفر**] : لقد احسنت يا صغير . وأتيت بالحكمة تفجَّرَت من بين ثناياك .

[**إلياهو**] : نعم يا سادتي لوكان أيوب ليس من الله بالمكانة التي هو فيها إلا أنه أخ كريم احببتموه على وجه الصحبة، لكان لا يجمل بالحليم أن يعزل أخاه عند البلاء . ولا يعيره بالمصيبة . ولا يعيبه بما لا يعلم . وهو مكروب حزين . ولكنه يرحمه . ويستغفر له ويحزن لحزنه . ويدله على مراشِد أمره . وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا . الله الله : أيها الكهول : رأيتم أيوب ساكتاً : وهو يبكي : فكسرتم قلبه . ألم تعلموا أن لله عباداً أسكتتهم الخشية من غير عي ولا بَكَمْ . وهم الفصحاء البلغاءُ العالمون بالله . ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم . إعظاماً لأمر الله وإجلالاً .

[قال أيوب]: إن الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير . فاذا نبتت في القلب اظهرها الله على اللسان . وليست الحكمة من قبل السن وطول التجربة. وإذا جعل الله العبد حكيماً في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء . وهم يرون من الله سبحانه وتعالى عليه نور الكرامة .

[**قال أيوب**] : (والتفت الى الثلاثة) : يا اليفار . ويا صوفر . ويا تلدد . اتيتموني غضاباً . رهبتم قبل أن تسترهبوا . وبكيتم قبل أن تضربوا . كيف بي لو قلت لكم تصدقوا عني بأموالكم لعل الله أن يخلصني ويرضى عني . إنكم قد اعجبتكم انفسكم . وظننتم أنكم قد عوفيتم باحسانكم . ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم أنَ لكم عيوباً قد سترها الله بالعافية . وقد كنتم توفرونني وأنا معافى . مسموع كلامي . فاصبحت اليوم وليس بي رأي ولا كلام معكم . فاعتزلوني . اعتزلوني : فأنتم أشد على من مصيبتي .

[**اليفار**] : لعلنا أزعجناك . خفض عليك يا نبي الله فان هذا يهيضك[1] الى ما بك . فنحن نتوب الى الله عز وجل .

---

(١) يهيضك : يزيد مرضك .

[**قال أيوب**] : (ورفع يديه الى السماء) : اللهم يا رب ليتني عرفت الذنب الذي اذنبت . والعمل الذي عملت . فصرفت وجهك الكريم عني . يا إلّه العالمين . يا رب : إني لم أعلم إلا أني كنت للغريب داراً . وللمسكين قراراً . ولليتيم ولياً . وللأرملة قيماً . إلهي انا عبد ذليل . إن احسنت فالمَنُّ لك . وإن أسأت فبيدك عقوبتي . يا من يراني ولا أراه . ويسمعني ولا أسمعه : (إني مسني الضر وأنت ارحم الراحمين)

(فترة انتقال)

[**إبليس**] : (صرخ) إلي يا معاشر المردة . . إليَّ اليَّ : يا معاشر الشياطين .

[**المردة والشياطين**]: مالك . . مالك . . مالك يا رئيس الشر وعماد الإغواء .

[**إبليس**] : إنه أعياني أمر هذا الرجل . أيوب ، ذهب ماله فصبر . ذهب ولده فشكر . ابتلي في جسمه فازداد إيمانه ويقينه . واستسلم للصبر .

[**المارد الأكبر**] : يا رئيس الأغواء . اين مكرك وحيلتك . أين اغواؤك ودهاؤك ؟

[**إبليس**]: بطل كل ذلك في أيوب . وأخشى أن يكون قدوة للمصابين .

[**المارد الأصغر**] : لقد اخرجت آدم أبا البشر من الجنة . فمن أين أتيته ؟

[**إبليس**] : اتيته من قبل امرأته .

[**المارد الاصغر**] : فدونك وأيوب من قبل امرأته اذن .

[**إبليس**] : أصبتَ ورميت بالغرض الأقصى يا صغير المردة .

[**الراوي**] : **(وانطلق اللعين إلى امرأة أيوب . وهي تحمل الطعام اليه فتمثل لها رجلاً حكياً ناصحاً فقال)** :

[**إبليس**] : إلى أين تذهبين يا أمة الله ؟

---

(١) النبراس : المصباح .

[**رحمة**] : الى زوجي أيوب لأقدم له الخدمات .

[**إبليس**] : لا زلت ترجين من أيوب خيراً . الى متى تعذبين نفسك فيه . فلا هو حي فيرجى . ولا ميت فينعى . كان زوجاً يليق بامثالك لما كان في ريعان شبابه . ونضارة وجهه . ووفرة ماله وصحة جسده . وكل ذلك ذهب لا إلى رجعة . ولو كان به خير ما ابتلاه الله بهذا الداء العضال .

[**رحمة**] : صدقت أيها الحكيم . فإني كرهت منه حياتي . وانساب اليأس الى قلبي . فهل يرجع ايوب الى صحته وشبابه وماله ؟ هيهات . . هيهات .

(وذهبت رحمة الى أيوب بوجه مكفهر)

[**رحمة**] : حتى متى يعذبك ربك . فلو كانت لك كرامة عند ربك لما أوصلك إلى هذه الحالة . أين المال ؟ أين العيال ؟ أين الصديق ؟ أين الرفيق ؟ أين شبابك ؟ اين عزك القديم ؟

[**قال أيوب**]: يا رحمة: لقد سول لك الشيطان أمراً. أراك تندُبين عزاً فات. وولداً مات. ألم تعلمي أن ربي على كل شيء قدير وإنه يحيى العظام وهي رميم ؟

[**رحمة**] : يا أيوب هلا دعوت ربك أن يكشف عنك حزنك . ويريح بلواك .

[**قال أيوب**]: يا رحمة : كم مكثت في الرخاء ؟

[**رحمة**] : ستين سنة .

[**قال أيوب**] : كم لبثت في البلاء ؟

[**رحمة**] : ثلاث سنين .

[**قال أيوب**] : أستحي أن الح على ربي برفع بلائي . وما قضيت فيه مدة رخائي . وكأني أرى أن إيمانك قد ضعف . وضاق صدرك بقضاء الله . والله لئن برئت وأَتَتْني القوة لأجلدنك مائة جلدة وحرام علي بعد اليوم أن آكل من يدك طعاماً أو شراباً . أو أكلفك أمراً . فاغربي عني حتى يقضيَ الله امراً كان مفعولاً[1] .

---

(١) وقيل كان سبب يمينه لأنها باعت ذوائبها لتشتري له طعاماً . والله أعلم .

[الراوي] : (وطرد أيوب زوجته . وبقي بلا طعام ولا شراب ولا أنيس ولا صديق . فتوجه الى الله تعالى داعياً[1] .

[قال أيوب] : اللهم إني استجير بك من جهد البلاء فأجرني . وأستغيث بك من عقابك فاغثني . واستعينك على أمري فأعِنّي. واتوكل عليك فاكفني . وأعتصم بك فأعصمني. وأستغفرك فأغفر لي . اللهم : (إني مسني الشيطان بنصب وعذاب) ففرِّج عني ما أنا فيه يا رب العالمين .

[الراوي] : (وأشرقت الأرض بنور ربها . وعاد عطف الحبيب على الحبيب . وأتاه جبريل الأمين مرسلاً من رب العالمين وقال) :

يا أيوب إرفع رأسك فقد استجاب الله لك (اركض برجلك[2] هذا مغتسل بارد وشراب) « فضرب الأرض برجله فنبعت عين ماء بارد عذب فاغتسل منها وشرب فزال مرضه . ورجعت صحته . وعاد شبابه . وكسي حلة من حلل الجنة . ثم رد الله عليه أهله وماله[3] . ومثلهم معهم . وكان عبرة للصابرين » ورجعت رحمة الى أيوب فلم تجد له اثراً في الكهف الذي كان فيه . ولم تجد إلا شاباً جليلاً مهيباً يرتدي حلة زاهية فجعلت تبكي وأيوب ينظر اليها . فكانت المحاورة الآتية .

[رحمة] : (تخاطب نفسها) أرأيت : إن كان أيوب طردني الى من أكله . أأدعه يموت جوعاً ؟ ويضيع وتأكله السباع . والله لأرجعن اليه . ويلاه أينك يا نبي الله أيوب ؟

[قال أيوب] : ما بالك يا أمة الله ؟

[رحمة] : (بكت وقالت) : أردت ذلك المبتلي الذي كان هنا بالكهف . فلا أدري أضاع أم ما فعل به ؟

---

(١) والدعاء والشكوى لله تعالى لا ينافيان الصبر .

(٢) اركض برجلك اي اضرب الأرض برجلك .

(٣) قال ابن مسعود وابن عباس واكثر المفسرين : إن الله تعالى رد عليه اولاده بأن احياهم به باعيانهم . وأعاد له ولزوجته الشباب ورزقه مثل ولده . ودخل داره فوجد حواصل القمح ذهباً . وفي البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : بينما ايوب يغتسل عرياناً خر عليه جراد من ذهب فجعل يحثي في ثوبه . فناداه ربه يا ايوب الم اكن أغنيتك عما ترى ؟ قال بلى يا رب ولكني لا غنى لي عن بركتك .

[**قال أيوب**]: ما كان منك ؟

[**رحمة**] : كان بعلي .

[**قال أيوب**] : وهل تعرفيه اذا رأيْـتِهِ؟

[**رحمة**] : وهل يُخفى على أحد رآه مما الم به من ضر .

(ثم جعلت تنظر اليه . وهي تهابه . فقالت)

[**رحمة**] : أما والله إنه اشبه خلق الله بك لما كان شاباً صحيح الجسم . وكذا صوته . كصوتك .

[**قال أيوب**] : أنا أيوب نفسه : ألم أقل لك يا رحمة إن ربي على كل شيء قدير . وإنه يحيى العظام وهي رميم .

[**قال أيوب**] : أنا الذي اقسمت لأضربنك مائة جلدة . ولكن الله تعالى علم منك الايمان والاخلاص والتضحية وأمرني أن اضربك بهذه الشماريخ[1] مجتمعة تكفيراً ليميني . (فضربها برفق)

(وعاد الحبيب الى الحبيب . ورد الله على أيوب الصحة والمال والعيال)

[**قرآن كريم**] : ﴿ واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنُصْبٍ وعذاب * أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب * ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لألي الألباب * وخذ بيدك ضغثاً[2] فاضرب به ولا تحنث . انا وجدناه صابراً نعم العباد انه اواب ﴾[3] .

لسان حال أيوب

وكم لله من لطف خفيٍّ ... يدق خفاه عن فهم الذكيِّ

وكم يُسرٍ أتى من بعد عسر ... فهيَّج لوعة القلب الشجيِّ

وكم أمر تَسَائِلُهُ صباحاً ... فتدركَكَ المسرة بالعشيِّ

إذا ضاقت بك الأحوالُ يوماً ... فثق بالواحد الأحد العليِّ

---

(١) التماريخ هي العيدان الرفيعة في عناقيد التمر . وهي العرجون .

(٢) الضغث قبضة حشيش او شماريخ.

(٣) أواب: رجاع إلى الله مطيع.

(٤) الآيات ٤١ ـ ٤٤ من سورة (ص).

الحلقة السابعة والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم
شعيب عليه السلام

[مقدمة]: هو شعيب بن تُوَيْت بن رَاعْوَايْل بن مُر بن عنقاء ابن مدين بن ابراهيم خليل الرحمن . وجدَّته بنت لوط عليهم السلام [1] وكان ضعيف البصر [2] . ولذلك قال قومه (وإنا لنراك فينا ضعيفاً) ولسان شعيب عربي مبين . وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه . وبعث الى أهل مدين [3] والى اصحاب الايكة (الغيضة) من ضواحي مدين . ولما خرج موسى عليه السلام هارباً من فرعون مر بشعيب عليهما السلام . وكان من أمره معه . وتزويجه ابنته صافوراء، ما سيأتي إن شاء الله تعالى في قصة موسى . وشعب مدين اشركوا بالله تعالى بعد جدهم مدين . وعبدوا

(١) هذا النسب رواه المسعودي في مروج الذهب ص ٣٥ : ج ١ والله أعلم .

(٢) وقيل بأنه كان أعمى . واستبعد كثير من العلماء كونه أعمى . لأن العمى يحد من نشاط الانبياء . وقيل بأن الأعمى هو شعيب صاحب موسى وكان رجلاً صالحاً ، على انه ورد بان اسحاق بن إبراهيم عليهما السلام قد عميَ آخر حياته . ويعقوب قد عميَ آخر حياته (وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم)

(٣) وهي مدينة بناها مدين بن إبراهيم فسميت بأسمه . واطلق هذا الاسم على جميع المقاطعة بل وعلى القبيلة ايضاً . وتقع مدين جنوب الاردن ومنها مدينة معان . وشمال الحجاز . وكانوا يعبدون الأيكة (الغيضة) كما تقدس العوام الاشجار كما يعبدون الاصنام .

الأصنام . والأيكة (في بعض الروايات) وعاثوا في الأرض فساداً . فقطعوا الطريق . وطففوا المكيال والميزان . وبخسوا الناس أشياءهم . ومن أسماء ملوكهم وامرائهم اخذت الأبجدية . فمن اسمائهم . ابجد وهوَّز وحطي وكلمن. فكأن الأحداث مضت على النحو التالي: (كان رئيس القوم كلمن).

[**كلمن**] : يا أبجد ويا هوَّز ويا حطي : تعالوا بنا نبني لآلهتنا بيتاً . نعبدها فيه . ونطوف حوله كما يطوف الناس حول بيت ابينا ابراهيم . فان اصنامنا معبودة الآباء والاجداد . فينبغي أن تعظم .

[**أبجد**] : أمرك مطاع يا كلمن يا رئيس القوم . ولكن من أين لنا المال لذلك ؟

[**هوّز**] : يا أبجد كلام رئيسنا رئيس الكلام يجب أن ينفذ . وهل تعجزنا الحيلة لجلب المال . وبلادنا محطة تجارية . وهمزة الوصل بين الشمال والجنوب . والشرق والغرب . وممر التجار من كل حدب وصوب . يجب أن نضع المكوس [٥] على كل مار . ونرزأ [٦] كل مجتاز . فيدخلنا مال كثير .

[**حطي**] : (كر . . كر . . كر . .) صدقت يا هوَّز. وأيضاً لماذا لا نجعل للحبوب مكيالين . وللموازين معيارين . نستوفي اذا اكتلنا على الناس أو وزنا . ونخسرهم إذا كلناهم او وزناهم .

[**كلمن**] : فكرة رابحة لا تخطر ببال . . يا حطي . ينبغي ان ننفذ سائر الحيل. ونبخس الناس أشياءهم. فنعيب السلع وان لم يكن بها عيب. فنزهد فيها. ونخادع عن القيمة لنحتال على المال اللازم لبناء معبد الآلهة.

[**أبجد**]: يجب أن يكون معبد الآلهة قريباً من الأيكة[٧] حتى إذا فرغنا من تقديس الآلهة وعبادتها. نعبد الأيكة التي تجود علينا بأنواع الفواكه والثمار.

---

(١) هذا النسب رواه المسعودي في مروج الذهب ص ٣٥: ج ١ والله أعلم.

(٢) وقيل بأنه كان أعمى. واستبعد كثير من العلماء كونه أعمى. لأن العمى يحد من نشاط الأنبياء. وقيل بأن الأعمى هو شعيب صاحب موسى وكان رجلاً صالحاً. على أنه ورد بأن إسحاق بن إبراهيمعليهما السلام قد عمى آخر حياته. ويعقوب قد عمى آخر حياته أو ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم).

(٣) وهي مدينة بناها مدين بن إبراهيم فسمت باسمه. واطلق هذا الاسم على جميع المقاطعة بل وعلى القبيلة أيضاً. وتقع مدين جنوب الأردن ومنها مدينة عمان. وشمال الحجاز. وكانوا =

[**كلمن**] : رميت بالفرض الاقصى يا أبجد . وفهت بالأمر الحكيم . فإلى التنفيذ فوراً .

[**الراوي**] : (وهكذا كان قوم شعيب عليه السلام . يشركون بالله . ويعبدون الأصنام والأوثان . ويبخسون الناس اشياءهم . واذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم او وزنوهم يخسرون . فبعث الله تعالى فيهم شعيباً . وكان اوسطهم نسباً [1] . واكرمهم خلقاً . وارجحهم حلماً . وارحبهم صدراً . وافصحهم لساناً . وأقواهم بياناً . وآزره الله بالمعجزات . وأيَّده بالبينات . وكان إذ ذاك أتقى رجل على وجه الأرض [2] . عابداً لله . كثير الاحسان . كثير الصلاة . فكأنه كانت بينه وبين قومه المحاورات الآتيات : (فقال في اجتماع حافل) .

[**قال شعيب**] : يا قوم : إنكم تركتم ملة أبينا إبراهيم خليل الرحمن . وأشركتم بالله ما لم ينزل به سلطاناً . ﴿ يا قوم اعبدوا الله مالكم من إلّه غيره . قد جاءتكم بينة من ربكم [3] فاوفوا الكيل والميزان . ولا تبخسوا [4] الناس أشياءهم . ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها . ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ .

[**أبجد**] : يا شعيب : أنت فينا من اوسطنا [1] نسباً . واكرمنا خلقاً . وارجحنا حلماً . وأرحبنا صدراً . وأفصحنا لساناً . وأقوانا بياناً . ولكن : ما هذا الدين الذي أتيتنا به . فأمرتنا أن نعبد الله بدون شريك . أما للأيكة من فضل علينا ؟ أو ليس للآلهة من احترام لدينا ؟

[**هوَّز**] : صه [5] يا شعيب . ناشدتك الرحم أن تكف عن هذا .

(ثم التفت هوَّز الى القوم فقال) .

= يعبدون الأيكة (الفيضة) كما تقدس العوام الأشجار كما يعبدون الاصنام .

(١) كان زمن بعثته . بعد بعثة يوسف وايوب . وقبل بعثة موسى عليهم السلام .

(٢) اوسطهم نسباً ارفعهم مجداً .

(٣) البينة المعجزة . ولم تذكر معجزته في القرآن . وقد تكون نفس رسالته

(٤) اى ولا تعبوا السلع . وتزهدوا فيها . ولا تخادعوا عن القيمة . والبخس النقص في كل شيء .

(٥) صه : حرف امر بمعنى اكفف .

[**هوز**] : يا قوم : إننا نحترم شعيباً لحلمه . ورجاحة عقله . فأطمعه ذلك فينا . حتى تدخل في معتقداتنا وفي أموالنا . وبيعنا وشرانا . وسائر معاملاتنا بين الناس . فاخشى إن افسحنا له الطريق أن يتدخل بيننا وبين نسائنا .

[**حطي**] : يا قوم : إنَّا دعونا شعيباً مراراً وتكراراً أن يقدس آلهتنا . فاق علينا . بل أبى أن يحضَرَ معنا ولو عيداً واحداً للآلهة . ومما أثار حنقه علينا جمعنا الأموال، وثراؤنا من الطرق التي نراها .

[**كلمن**] : ما هو إلا فساد في الأرض الذي تدعيه يا شعيب ؟

[**قال شعيب**] : يا قوم : ان الله اصلح هذه البلاد ببعثة جدنا ابراهيم . وأبينا مدين بن ابراهيم عليهما السلام . عبدوا الله آلهاً واحداً . واقاموا العدل . وَوَفّوا الكيل والميزان. وأقاموا الصلاة . وآتوا الزكاة . فخلفتم بعدهم . فاشركتم بالله ما لم ينزل به سلطاناً . وأبدلتُمُ العدل ظلماً . والوفاء بخساً . يا قوم : اذكروا نعمة الله عليكم إذ كثركم بعد قلة . وأغناكم بعد فقر . فدعوا الظلم فإن الظلم دمار في الدنيا . وظلمات يوم القيامة . يا قوم : إنني منكم وفيكم . فاحذروا نقمة الله وعذابه . واتبعوني إني لكم ناصح أمين .

[**كلمن**] : يا قوم : إن شعيباً غرَّه فينا أننا نستشيره في معضلات الأمور . بل غرَّته عبادته لخالقه . وكثرة صلاته . (**ثم التفت الى شعيب قائلاً**) .

[**كلمن**] : يا شعيب : أصلاتك تأمرك أن تعبد غير ما كان يعبد آباؤنا الأقدمون ؟ واسلافنا الأولون ؟ وتنهانا أن نعامل الناس كما نحب ونشتهي ؟ فندع ما درجنا عليه . ونشأنا فيه . وكثرت اموالنا من طريقه . هذا ديننا . وهذا شرعنا . فاقضِ ما انت قاض .

[**أبجد**] : يا شعيب : كيف تنهانا عن دين ألفناه . وشرع ورثناه . وأنت الراجح عقلاً . السديد رأياً . الواسع حلماً . . بل والفصيح لساناً . والقوي بياناً . فنحن على ديننا قائمون . وعلى شريعتنا سائرون ولأمرك مخالفون .

[**كلمن**] : يا قوم : إن شعيباً لا ينتهي حتى يغير ديننا إن لم نأخذ على يده . ولولا رهطه لرجمناه [١] وما هو علينا بعزيز . فسيروا بنا نعزل الناس عنه . فنتقاسم الطرق . ونصد الناس عن غشيانه [٢] حتى لا يستطير شره [٣] .

[**الراوي**] : (**وهكذا أصر الملأ من قومه على كفرهم . وتقاسموا الطرقات المؤدية الى شعيب . يصدون الناس عنه . ويحذرونهم من استماع كلامه . لأن كلامه كالسحر . ينفذ الى القلوب . ولكنه لم تبد منه جفوة أو فتور . بل تلطف في جدالهم . وآثر استمالتهم باللين . واجتذابهم بالرفق . فبعد مدة من رسالته اغتنم اجتماعهم لمناسبة عيد لهم . وكان بينه وبينهم الموقف الآتي**) .

[**قال شعيب**] : يا قوم : إننا جميعاً من نسل إبراهيم. ومن فرع مدين . واني لكم ناصح أمين . أحب لكم الخير . وارغب لكم في النفع العاجل والآجل . يا قومِ اعبدوا الله مالكم من آله غيره . ولا تقعدوا بكلم صراط توعدون . وتصدون عن سبيل الله من آمن به . فتمنعون من يريد الإيمان . وتصدونه عن طريق الحق . يا قومِ اشكروا نعمة الله عليكم . واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم . وفقراء فأغناكم . وأذلاءً فأعزكم . وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين .

[**كلمن**] : يا شعيب : انك فينا مرجواً . تحمل الكل [٤] وتكسب المعدوم . وتقري الضيف . وانت فينا حليم رشيد . فلا يجدر بك شق عصا قومك . وتفريق جماعتك . فابق على الجماعة وحدتهم . ودعهم وما يعبدون . وخلهم وما يتعاملون .

[**قال شعيب**] : يا قوم : أرأيتم إن كنت على بيِّنةٍ من ربي . وهداية من أمري . ورزقني الله رزقاً حسناً . وآتاني العلم والمعرفة . والهداية

---

(١) اي لولا عشيرته وجماعته .

(٢) غشيه غشياناً جاءه .

(٣) استطار الشر وغيره: انتشر.

(٤) الكلُّ الفقير والعالة على غيره قال تعالى (وهو كلٌّ على مولاه) والكل ايضاً اليتيم .

والنبوة . فهل يسعني مع هذه النعمة أن أخون الله في وحيه . أو أن أخالف أمره . أو اتبع الضلال بعد الهدى . أو أن أبخس الناس اشياءهم . ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ بل اختار لكم ونفسي خير الطرق وأشرفها . وهو توحيد الله عز وجل . وترك الظلم والعدوان . وترك البخس والنقصان . ﴿ إنْ[1] أريد إلا الإصلاح ما استطعت . وما توفيقي إلا بالله . عليه توكلت واليه أنيب ﴾[2] .

[**أبجد**] : يا شعيب : إن ما قال لك رئيسنا كلمن من إنك فينا مرجواً وحليماً رشيداً . كان ذلك قبل اليوم . وأما اليوم فقد أجمع القوم على عداوتك . ونبذ دينك الذي تدعو اليه . وشرعك الذي تأمر به . فأبق على نفسك . وإلا سينالك العذاب الشديد . ولتخرجن من هذه القرية مذؤوماً مدحوراً .

[**قال شعيب**] : يا قوم : لا يمنعنكم البغي والحسد . ولا البغض والكُبْر[3] . ولا التكبر عن متابعتي . واخشَوْا أن يصيبكم ـ لكفركم وظلمكم ـ ما أصاب قوم نوح ـ من الفرق ـ أو قوم هود ـ من الريح الصرصر ـ او قوم صالح ـ من الصواعق ـ أو قوم لوط ـ من الخسف والزلازل والحجارة ـ وما قوم لوط منكم ببعيد . واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه . إن ربي رحيم ودود .

[**هوز**] : يا شعيب : إنك لأنت الخطيب المفوه . ولكننا لا نفقه كثيراً مما تقول . وإن فهمنا كلامك فليس له إلى قلوبنا من سبيل . وانا لنراك فينا ضعيفاً[4] . ولولا رهطك لرجمناك[5] وما انت علينا بعزيز .

[**قال شعيب**] : يا قوم : أرهطي أعَز عليكم من الله . واتخذتموه وراءكم ظهرياً . وعنكم جانباً . وهو أقوى من كل قوي . وأعظم من كل

---

(١) إن هنا بمعنى (ما) وتأتي هكذا كثيراً في كتاب الله وغيره من الكلام .
(٢) انيب . اي ارجع فيما ينزل من النوائب . وهي المصائب .
(٣) كَبِرَ أسن هـ وكبُر عظم .
(٤) قيل كان أعمى . وقيل كان ضعيف البصر وهو الأصح .
(٥) اى فلولا جماعتك وعشيرتك لرجمناك بالحجارة .

عظيم . فاني قوي بقوة الله . عزيز بعزة الله (إن ربي بما تعملون محيط) .

[الراوي] : (وهكذا استمر شعيب في دعوته ليلاً ونهاراً . سراً وعلانية من غير فتور ولا ملل . فوجد من بعض القوم آذاناً صاغية . وافئدة واعية . فآمن به نفر قليل . فهلعت نفوس القوم خيفة أن يعظم أمره . ويشتد [1] ساعده . وينتشر دينه . وتكثر جماعته . فيستحكم الداء . فتوعدوه ومن آمن معه أن يخرجوهم من قريتهم إن لم يعودوا الى ملتهم . فكأنها كانت المحاورة الآتية) :

[كلمن] : (قال في اجتماع حافل) : يا قوم : إن شعيباً أوتي لساناً طلقاً زلقاً عواصاً على مواضع الحجج . وانه بقوة لسانه . وفصاحة بيانه استطاع أن ينفذ الى قلوب كثير من الناس . فاتَّبعه على دينه الجم [2] الغفير . فاخشى أن يعظم أمره . ويشتد ساعده . وينتشر دينه . وتكثر جماعته . فيستحكم الداء ويعز الدواء . فهلم بنا نأخذ على يديه قبل فوات الأوان .

[أبجد] : صدق رئيسنا كلمن فيما يقول . وها هو شعيب ومن آمن معه يصلون في دار شعيب فسيروا بنا اليهم .

[كلمن] : هيا سيروا بنا يا رجال .

[الراوي] : (فيأتون دار شعيب . فيجدون شعيباً والمؤمنين في صلاتهم خاشعين . ولربهم خاضعين . فكأنها كانت المحاورة الآتية) .

[كلمن] : يا شعيب . ما زلت تدخل بيتاً وتخرج من بيت وتدعو الى دينك ليلاً ونهاراً . سراً وعلانية حتى اتبعك من هم أراذلُنا . فنقسم بشرفنا ومعبودنا (لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن [3] في ملتنا) فقد احدثتم في هذه القرية حدثاً . وافتريتم إفكاً .

[قال شعيب] : (أوَ لو كنا كارهين . قد افترينا على الله كذباً إن

---

(١) يستد يشتد وزناً ومعنىً .

(٢) الجم . الكثير . قال تعالى : ﴿ وتحبون المال حباً جماً ﴾

(٣) لتعودن : بمعنى لتصيرن لأن شعيباً لم يكن في ملتهم قط . ويجوز ان يكون من تغلب الجماعة على الفرد . لأن الذين آمنوا مع شعيب كانوا في ملتهم . والله اعلم بمراده واسرار كتابه .

عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها . وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) فنسأله تعالى أن يثبتنا على الايمان بالقول الثابت . (وسع ربنا كل شيء علماً . على الله توكلنا . ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين) يا قوم : إن الذين آمنوا قد خالط الايمان قلوبهم كاختلاط الضياء بالماء . وملك عليهم مشاعرهم . فلن يعودوا الى حمأة الرذيلة . ولن يرجعوا عن عبادة الله . ولن تتردى نفوسهم في مهادي الضلال .

[**حطي**] : يا قوم . . يا قوم : (لئن اتبعتم شعيباً على دينه . وتركتم دين آبائكم واجدادكم وما أنتم عليه إنكم اذاً لخاسرون . وان هؤلاء المخدوعين . الذين كانوا فينا مستضعفين . فاتبعوا شعيباً ؛ سوف يلاقون الخسران والافلاس . إن لم يطففوا الكيل والميزان . فشرع شعيب مطية الافلاس والخسران .

[**أبجد**] : يا شعيب : (إنما انت من المسحرين [1] وما انت إلا بشر مثلنا . وإن نظنك لمن الكاذبين . فاسقط علينا كسفاً [2] من السماء إن كنت من الصادقين) .

[**هوز**] : يا شعيب : ما أنت الا مشعوذ خداع . أو ساحر كذاب . فكما قال أبجد والقوم جميعاً مجمعون على ذلك . فان كنت صادقاً في وعدك ووعيدك . فانزل علينا حجارة وقطعاً من السماء . وانزل علينا العذابَ ألواناً .

[**قال شعيب**] : (ويا قوم اعملوا على مكانتكم) . وسيروا على خطتكم من الكفر والشر . فقد قنطت من إيمانكم إني عامل ما اقدر عليه من الطاعة والخير . (سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه - في الدنيا والآخرة - ومن هو كاذب . وارتقبوا اني معكم رقيب) .

[**قرآن كريم**] : ﴿ قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول . وانا لنراك فينا ضعيفاً . ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز [91] قال يا قوم أرهطي اعز عليكم من الله . واتخذتموه وراءكم ظهرياً . إن ربي بما تعملون

---

(١) المسحر الذي سحر كثيراً فغلب على عقله . وقيل هو الساحر الماهر .

(٢) كسفا قطعاً من أحجار السماء .

محيط * ويا قوم اعملوا على مكانتكم . اني عامل . سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب * ولّما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا . واخذت الذين ظلموا الصيحة [1] فاصبحوا في ديارهم جاثمين [2] * كأن لم يغنوا فيها [3] . ألا بُعداً لمدين كما بعدت ثمود ﴾ [4] .

[الراوي] : (مكث شعيب يدعو أهل مدين السنين الطوال فهكذا كانت حالهم فيئس من إيمانهم فرفع يديه الى السماء ودعا عليهم فقال : رب افتح [5] بيننا بالحق . وانت خير الفاتحين . فاستجاب الله دعاءه وابتلاهم بالحر الشديد . الذي هو من فيح نار جهنم . فكان لا يُروي ظمأهم ماء . ولا تمنعهم من الحر ظلال . ولا تقيهم الأسراب والمنازل . ففروا من دورهم هاربين . من قدر الله الى قدر الله . فرأوا سحابة ظنوها لهم من وهج الشمس واقية . فاجتمعوا تحتها . حتى إذا تكامل عددهم . وتألف جمعهم رمتهم بشرر وشهب من نار . وجاءتهم صيحة من السماء . وتزلزلت الأرض تحت اقدامهم . حتى ازهقت أرواحهم [6] وهلكت نفوسهم . ورآى شعيب ما حل بهم . فاعرض عنهم يثقله الحزن على ما أصابهم . ولكنه ذكر كفرهم بالله . وتسفيههم لرأيه . واستهزاءهم به وبمن آمن معه . فخفف ذلك وجده وتولى عنهم (وقال : يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسىٰ (أحزن) على قوم كافرين) .

---

(١) الصيحة الزلزلة : وسماها الله تعالى الرجفة .

(٢) جاثمين : ميِّتين .

(٣) اي في الدنيا او في ديارهم .

(٤) الآيات ٩١ - ٩٥ من سورة هود.

(٥) اي احكم بيني وبين قومي بما يستحقون . اي عاملهم بالعدل . ولا تعاملهم بالرحمة والفضل .

(٦) وقيل كان قوم شعيب جماعتان . أهل العاصمة مدين . واهلكوا بالرجفة والزلزلة . وأهل الريف والأيكة . اي الحدائق والغِياض. واهلكوا بعذاب يوم الظلة . اي السحابة التي أظلتهم ورمتهم بشهب من نار . والله أعلم .

القصيدة لسان حال شعيب عليه السلام

انت آلَهَ[1] العرشِ . ربي وخالقي ... بذلك ما عمَّرت في الناس أشهدُ
تعاليت . ربَّ[1] الناسِ . عن قول من دعا ... سواك إلهاً أنت أعلى وأمجد
لك الحمد والنعماء والأمر كله ... فإياك نستهدي وإياك نعبد
لأن ثواب الله كلَّ[2] موحد ... جنانٌ من الفردوس فيها يخلد

---

(١) إلَه العرش بفتح الهَ على انه منادي . وكذلك ربَّ الناس .
(٢) كلَّ موحد بفتح اللام منصوب ينزع الخافض .

الحلقة الثامنة والعشرون

بنو اسرائيل في مصر
وتذبيح ابنائهم بعد يوسف عليه السلام
وولادة موسى وهارون عليهما السلام وموسى ربيب فرعون

بنو إسرائيل في مصر

وفاة يعقوب عليه السلام

[**مقدمة**] : عند مقدم يعقوب عليه السلام وبنيه على يوسف الصديق[1] أولم يوسف ليعقوب وإخوته وليمة فخمة تليق بعزيز مصر . رئيس وزرائها وقاضي قضاتها . ومن جعله الريان على خزائنها . دعا اليها الرجال الأوَل في دولة (الهكسوس) ملوك الرعاةِ . والعظماء والرفقاء . ورؤساء الأسرار . ومستشاري الأوامر الملكية . وضباط الجيش . ووجهاء الذين آمنوا بدين التوحيد الذي كان يدعو إليه يوسف بالحكمة والموعظة الحسنة . فغص قصره بالضيوف . وراح يعقوب وبنوه يتحدثون الى القوم في ود . وفتح القوم لهم قلوبهم . وساد جوٌ الحفل المحبةُ . حتى اذا ما دعوا الى الطعام فرق يوسف بين أبيه وأخوته وبين المصريين . فحمَد يعقوب ليوسف ما صنع . فقد كره يعقوب أن يأكل من طعام لم يذكر اسمُ الله عليه . ثم خيرهم

---

(١) لم ينزل شيء من القرآن الكريم عن اسرائيل (يعقوب) ونبيه في مصر . من نزولهم ضيوفاً على يوسف حتى ولادة موسى عليه السلام . ولكن التوراة ذكرت كثيراً مما أذكره في هذه المقدمة .

فرعون[1] في الأرض التي ينزلونها . فاختاروا (بناء على اشارة يوسف) أرض جوشن الطيبة . وهي تقع في شرق الدلتا . ترويها قناة خرجت من النيل لتصب في البحر الأحمر . ومنها مدينة الصالحية وسفط الجنة الآن . ليكونوا بعيدين عن مخالطة المصريين بحسب الإمكان. وهي أرض مراعٍ . وهم رعاةٌ . وراحت مواشيهم وغنمهم وأبلهم ترعى في الأرض الخصبة دون منازع . بعد أن كانوا في حبرون (الخليل) غير مستقرين يخافون أن يتخطفهم الكنعانيون[2] وقد جاؤ وا الى مصر في السنين العابسات ليعيشوا في حماية يوسف . وقد رتب لهم ما يلزمهم من الطعام وسبل العيش . وقد نعموا بالسلامة والراحة والاطمئنان طيلة حياة يعقوب، اسرائيل الله، الذي عاش سبع عشرة سنة بعد قدومه الى مصر. وبارك إبنَيّ يوسف (افراثيم ومنسا) ودعا لهما ، ودعا أولاده . وباركهم . وتنبأ بما سيلاقي في كل واحد منهم ونسله إجمالاً . وأوصاهم بالاستمساك بالدين ثم أخذه مرض الموت . بعد ان عاش سبعاً وأربعين ومائة سنة . وقد التف حوله بنوه . روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا ويوسف وبنيامين وأخوتهم . فاكتمل عقد الأسباط . فأشار يعقوب الى يوسف أن اقترب . فدنى يوسف من أبيه . فقال له يعقوب : إذا مت فادفني الى جوار جدي ابراهيم وأبي اسحاق . ثم دمعت عيناه . وتذكر وصية جده الخليل يوم أوصى اسماعيل واسحاق ويعقوب ومدين فقال : يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون . فحمد الله أنه يموت على ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً . وما كان من المشركين . وراح يعقوب ينظر بعينين واهيتين الى بنيه حتى إذا ما حضره الموت قال لبنيه « ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون » ثم فارق الحياة[3] .

---

(١) هو الريان بن الوليد أو الوليد بن الريان كما تقدم .

(٢) وهم سكان البلاد من العرب العرباء . وقد مكث بنو اسرائيل في مصر من مقدم يعقوب عليها الى خروجهم مع موسى خمس عشرة سنة ومائتا سنة على ما ذكر في التوراة .

(٣) اذا لم يكن احد من الاسباط يهودياً ولا نصرانياً بل كانوا جميعاً من المسلمين « ونحن له مسلمون » وهكذا نصت التوراة فكتم اليهود ذلك . قال تعالى : ﴿ ام تقولون : إن ابراهيم =

وحنط جسد يعقوب الطاهر . واستأذن يوسف الصديق الريان في أن يخرج ليدفن نبي الله يعقوب في الخليل فاذن له . فخرج يوسف وإخوته يحملون جثمان أبيهم . وبكى المصريون الشيخ المبارك . وانطلق اكابرهم وشيوخهم الى فلسطين لتشييع الجثمان الطاهر . ولكن الكنعانيين[1] اعترضوا الجنازة . وقاوموا دفن يعقوب في أرضهم . ولكن الجنود المصريين الذين كانوا مع يوسف شقوا طريق الجنازة بأسيافهم حتى انتهوا الى قبر الخليل . ودفن يعقوب الى جوار إبراهيم وإسحاق . وعاد يوسف وإخوته الى مصر ليمضوا أيامهم على الأرض .

ولكن اخوة يوسف خافوا بعد أبيهم أن ينتقم يوسف منهم لنفسه . فوقعوا على قدمية تائبين مستغفرين لسابق ذنبهم ضارعين خائفين أن يمسك يوسف عنهم سبب بره . ويزوي عنهم بشاشة وجهه بعد ان كان يكرمهم مقدرين انه ما كان يكرمهم إلا بسبب وجود ابيهم . والآن لا أب لهم ولا وطن . فقالوا ليوسف إن أبانا أوصانا أن نبلغك بأن تصفح عنا وعن إساءتنا إليك . واقروا له بالعبودية . فبكى يوسف وسكن روعهم وعرفهم ما في إساءتهم من الخير لهم ولشعب مصر ومن حولها . وإن الله فعل ذلك رحمة بعباده . وعاش يوسف حتى بلغ مائة وعشرين سنة . ثم لحق بالرفيق الأعلى . فحنطوه ووضعوه في تابوت (بناء على وصيته) وبقي محفوظاً الى أن أخذه بنوا إسرائيل معهم في خروجهم من مصر بزعامة موسى عليه السلام . وقد دفن في أرض افراثيم كما تقول التوراة وهي نابلس . وأسمها قديماً (شكيم) وقيل دفن يوسف بالخليل قريباً من مغارة المكفيلة التي دفن فيها الخليل وسارة ورفقة واسحاق . ويعقوب، والأول أصح، وقبره بنابلس مشهور .

= واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط (وهم بنو يعقوب) كانوا هوداً أو نصارى قل أنتم اعلم ام الله ﴾ ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله . وما الله بنافل عما تعملون ﴾ وقد برأ الله ابراهيم من اليهودية والنصرانية . فقال تعالى : ﴿ ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً . ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾ واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط تابعين له وعلى عهده وعهد يعقوب .

(١) كيف يسوغ لليهود الادعاء بان فلسطين لهم ولآبائهم . وجنازة اسرائيل نفسه اعترضها العرب . ولم تدفن بفلسطين الا بحد السيف !!

[بنو إسرائيل في مصر بعد يوسف]:

كان بنو إسرائيل في أمن وسلام مدة حكم ملوك (الهكسوس) الرعاة من العرب العمالقة لمصر، حيث عرفوا ليوسف فضله. فاحترموا أهله. ولم يدم ذلك طويلاً. بل ملَّ سواد الشعب حكم الهكسوس. (وكادوا يسِمّون الريان بن الوليد بزمن يوسف كما تقدم، فكان ملوك العماليق وحاشيتهم ومن لف لفهم في جانب. وسواد الشعب في جانب آخر. وتزعم (أحمس) في طيبة حركة تحرير الوطن. وطرد الغزاة. فما لبث أن انهزم الهكسوس وولوا الأدبار وأحمس في أثرهم حتى طردهم خارج الحدود وتربع على عرش مصر. وكان الاسماعيليون في الحجاز يوجهون تجارتهم نحو مصر فيتصلون ببني عمهم اسرائيل فانقطع الاتصال. وبقي بنو اسرائيل في مصر. فاحبوا التقرب الى المصريين على حساب دينهم. فأُصبغوا بالصبغة الفرعونية. وعبدوا آمون. والعجل (أبيس). وسجدوا للافعى. واشركوا بالله (إلا النَذْر اليسير منهم) ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً. لذلك سلط الله عليهم الفراعنة. يسومونهم سوء العذاب. إنهم غرباء عن البلاد. جاؤوا في أعقاب العرب الذين وثبوا على الحكم في مصر. فصادر الفراعنة أرضهم وأموالهم. وجعلوهم عبيداً لهم. فصنَّفوهم في أعمالهم الشاقة. لقطع الصخور. وبناء المعابد والقصور. والفلاحة والزراعة. والخدمة في البيوت. وضربوا الجزية على العاجز عن العمل. حتى اذا جاء عصر الوليد ابن مصعب، وتربع فرعوناً على مصر، واستوزر هامان، لاحظ تكاثر الاسرائيليين باضطراد. فهاله ذلك. وخشي أن يثوروا عليه. ويتركوا الأعمال. فكأن الأحداث جرت على النحو التالي:

[**فرعون**]: يا هامانُ. يا هامان.

[**هامان**]: نعم يا مولاي.

[**فرعون**]: لقد نزل بي هم وغم أذهبا عنّي الكرى[1]. لقد

---

(١) الكرى: النعاس.

أوجست خيفة من بني إسرائيل . فاني ألاحظ طول أعمارهم. وقوة أجسادهم . وكثرة نسلهم . فأخشى أن يعيدوا سيرة الهكسوس الأولى . فماذا ترى يا هامان .

[**هامان**] : أرى يا طويل العمر أن يثقلَ كاهلهم[1] بالاعمال الشاقة . ولا تترك لهم فرصة للراحة . وأن يقتر عليهم بالرزق . فتنهار قواهم . ويملّون الحياة والنساء . فيقل عند ذلك نسلهم .

[**فرعون**] : لقد أشرت بالرأي الحكيم . بلغ ذلك عن لساني الى الموكلين ببني اسرائيل .

[**هامان**] : أمرك نافذ ومطاع يا مولاي .

[الراوي] : (ونفذت الأوامر . وازداد الضغط على بني اسرائيل . فحرموا الراحة ليل نهار . صباحَ مساءَ . إلى أن حدث ما ليس بالحسبان . فرآى فرعون في منامه كأن ناراً اقبلت من بيت المقدس وأحاطت بمصر . فاحرقت كل قبطي بها . ولم تتعرض لبني إسرائيل فانتبه مزعوجاً فكان ما يلي :

[**فرعون**] : (صرخ) : من بالباب ؟ من الحراس .

[**رئيس الحرس**] : نعم يا مولاي : بالباب عبدك أمين الأسرار .

[**فرعون**] : يا أمين . بلغ هامانَ بالحضور وعلي بالكهنة والمنجمين ، والسحرة والعرافين . الى اجتماع عاجل .

[**أمين الأسرار**] : أمرك يا مولاي .

فترة انتقال

فحضر هامان . واحضر أمين الأسرار الكهنة والمنجمين ، والسحرة والعرافين على الفور . فدخلوا على فرعون . وخرّوا له سجداً . وكأنه كان اللقاء التالي .

[**رئيس الكهنة**] : خيراً يا مولانا . لا بد لطلبك العاجل من أمر خطير .

---

(١) الكاهل: ما بين الكتفين. والمعنى شدة التعب.

[**فرعون**] : نعم واخطر من كل خطير . رأيت فيما يرى النائم كأن ناراً متأججة اقبلت من بيت المقدس فمرت من أرض جوشن[1] ولم تتعرض لبني إسرائيل الى ان أحاطت بمصر فأحرقت كل قبطي بها .

[**رئيس الكهنة**] : أمر خطير . النار شر مستطير . يثيرها قرح صغير . إذن مولود يولد في بني إسرائيل إن لم تحذره يزول الملك على يده . فالحذر الحذر أيها الملك الجليل .

« فثارت ثائرة فرعون » وصرخ .

[**فرعون**] : بنو إسرائيل . بنو اسرائيل . العبيد المستضعفون منهم يخرج الشر المستطير . يجب أن يقتلوا جميعاً . نفذ الأوامر يا هامان[2] .

[**قرآن كريم**] : ﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض . ونجعلَهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكنَ لهم في الأرض . ونُريَ فرعونَ وهامانَ وجنودَهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾[3]

[**هامان**] : يا مولاي : إن قتلتَ بني إسرائيل فمن يقوم بالأعمال الشاقة . وقد انصرف سائر الاقباط للملكية والدعة والراحة . أو للقنص والجندية وركوب الخيل . وإن الخطر كما يقول رئيس الكهنة من المواليد الذكور . وليس من الشبان والشيوخ .

[**فرعون**]: صدقت يا هامان. إذن يجب أن يقتل كل مولود ذكر لبني اسرائيل . ونستحيي النساء . نتخذهن محاظيَ وخدامات . فإلى التنفيذ يا هامان .

[**هامان**] : أمرك نافذ ومطاع يا مولاي .

« انتقال »

[**هامان**] : (دعا رئيس الجند فقال) : يا رئيس الجند . إن مولانا

---

(١) جوشن هي المنطقة التي يسكن بها بنو إسرائيل .

(٢) هذا الأمر يدل على بلاهة فرعون . فانه إن صدق الكاهن فالقتل لا ينفع . وإن كذب لا معنى لقتل خادم بلا اجرة عبد بلا ثمن .

(٣) الآيتان ٥ و٦ من سورة القصص.

فرعون أمر أن يذبح كل مولاد ذكر لبني اسرائيل . فعلي بقوابل بني اسرائيل .

[**رئيس الجند**] : حاضر يا مولاي هامان .

(فدعي رئيس الجند القوابل . وكن قابلتان شقرة وفوعة . فحضرن على الفور)

[**هامان**] : يا شقرة ويا فوعة ، أمر مولاي فرعون أن يذبح كل مولود ذكر لبني إسرائيل. وان تبقى الانثى على قيد الحياة.

[**شقرة وفوعة**] : ويلي . ويلي . . يا باطل . . يا باطل . هل هذا أمر مبرم يا هامان .

[**هامان**] : نعم أمر مبرم . وليس لأمر مولاي فرعون من راد . وإن كل قابلة منكن يخرج من تحت يدها مولود ذكر لبني إسرائيل على قيد الحياة فهي معدومة .

[**فوعة**] : مولاي هامان : إن العبرانيات قويات . يلدن بدون قابلة . أرأيت إن وضعت العبرانية بدون قابلة فما ذنبنا ؟

[**هامان**] : أنتما مكلفتان بالتفتيش عن الحبالى مع السلطة . وكل واحدة منكن تذبح من تستقبله من الغلمان . ومن تضع من العبرانيات بدون قابلة نوكل لذلك مفتشين وذباحين .

[**شقرة وفوعة**] : أمرك وأمر فرعون على العين والرأس .

[**الراوي**] : **(وهكذا استمر الذبح في أبناء بني إسرائيل . حتى ذبح في طلب موسى الآلاف من الأطفال)** .

قال تعالى : ﴿ وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون. يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم ﴾[1] .

[الراوي]: (وقد أسرع الموت في كبار بني إسرائيل. من الأعمال الشاقة وهماً وغماً وكمداً من تذبيح ابنائهم. فضج وجهاء القبط. لا شفقة على بني

---

(١) الآية ٦ من سورة ابراهيم .

إسرائيل . بل خوفاً من أن يقع العمل الشاق على كواهلهم . فدخلوا على فرعون في ذلك . وخروا له سجداً . وكان اللقاء التالي) :

[**هامان**] : مولاي فرعون . وجهاء القبط جاؤ وا يقبلون الأرض بين يديكم . ويقدمون فروض الطاعة والعبودية . ويطرحون ما خالج نفوسهم بين يديكم .

[**فرعون**]: دعهم يدخلون.

«فدخلوا وخروا له سجداً»

[**فرعون**] : إرفعوا رؤ وسكم . مرحباً بوجوه القبط وعماد الدولة . فليتكلم منكم (تحتمس)[1] .

[**تحتمس**] : مولاي فرعون . لاحظ وجهاء القبط أن الموت قد وقع ببني إسرائيل . يذبح مولانا صغارَهم ويموت كبارهم . فيوشك أن يقع العمل علينا . فمن لقطع الاحجار والبناء ومن للفلاحة والزراعة . ومن للصناعة والخدمة . فنقبل الأرض بين يديكم . ونطرح هذا الأمر لديكم .

[**فرعون**] : ماذا ترى يا هامان ؟

[**هامان**] : يا مولاي : بنو إسرائيل مستضعفون في الأرض اذلاء حقراء . ونحن فوقهم عالون فلا يهمنا منهم صغير ولا كبير . فارىٰ أن نذبح ابناءهم عاماً . ونستبقي للاعمال الشاقة والخدمة عاماً .

[**فرعون**] : وهذا ما وقع في نفسي . فارفع الذبح عن ابناء بني اسرائيل عاماً كاملاً اعتباراً من اليوم . ثم نذبح عاماً كاملاً . وهكذا دواليك[2] .

[**الراوي**] : **(وفي أول هذه السنة التي رفع فيها الذبح عن أطفال بني اسرائيل ولد نبي الله هارون . ونَجىَ من القتل . فهرع عمران[3] الى زوجه[4] فرحاً مسروراً مبشراً قائلاً) :**

---

(١) تحتمس من اكبر الوجهاء .

(٢) اى على التداول سنة وسنة .

(٣) والد موسى وهارون هو عمران بن قاهت من ولد لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم .

(٤) وام موسى وهارون هي : يوكابد بنت هائد بن لاوى بن يعقوب . اي هي بنت عم عمران لا عمته كما نقل النجار وغيره . وكان عمران وزوجه محافظان على الحنيفية دين ابراهيم واسحاق ويعقوب . وهي الاسلام .

[**عمران**] : يا بوكابد . . يا بوكابد . . ابشري . . ابشري فقد فرج الله عنا .

[**يوكابد**] : بماذا يا عمران بشرك الله بكل خير .

[**عمران**] : قد اذن مؤذن فرعون برفع الذبح عن ابناء بني اسرائيل عاماً كاملاً ابتداء من اليوم . فعسى الله أن يرزقنا مما في بطنك غلاماً ذكراً .

[**يوكابد**] : (سجدت لله شكراً) : الله أكبر . الله أكبر . إني الآن أمخض . وقد عزمت أن اخفي ولادتي عن الناس أجمعين إلا عنك وعن بنتي كلثوم . فاتانا ربنا بالفرج . فالحمد لله رب العالمين .

[**الراوي**] : **(ثم وضعت يوكابد ابنها هارون . وبعد أربعة اشهر من وضعه . وبينما هي ترضعه إذ شعرت بأنها حملت (بموسى) فكتمت حملها عن الناس أجمعين . ولم يتغير لونها ولم ينب[1] بطنها ولم تصادف وحماً ولا ثقلاً حتى اذا اقبل العام الجديد استحر الذبح باطفال الاسرائيليين من جديد . فدخلت القوابل والأمناء ففتشوا عن الحوامل أدق تفتيش . حتى دخلوا على ام موسى . إنها مرضعة لهارون . والمرضعات قل أن يحملن . ولم يظهر عليها الحمل . وبينها وبين القابلة شقرة صداقة فكان ما يلي) :**

[**المفتش الأمين**] : ألست بحامل يا أم الغلام ؟ فتشيها يا شقرة .

[**شقرة**] : سر بنا يا أمين لا تزعج أم هارون كيلا يفسد لبنها فانها مرضعة . وهل تحمل المرضعة ؟

[**الراوي**] : **(فأعمى الله ابصارهم عن حملها . ولما كانت الليلة التي ولدت فيها ولدت بدون قابلة ولا رقيب ولم يطّلع عليها احد من خلق الله الا زوجها عمران وبنتها كلثوم[2] . ولدت موسى غلاماً جفراً نشيطاً كأنه ابن شهر . وما أن رأت نور عينيه حتى دخل حبه في سويداء قلبها . وأحست أن جوانحها تشرق بالنور كلما مدت اليه عينيها . واجج ذلك الحب الخطر الذي يتربص به . فراحت تضمه الى صدرها . وتمطره بقبلات نابعة**

---

(١) ينب يكبر .

(٢) اخت موسى وهرون هي كلثوم بنت عمران . وقيل هي مريم ضارع اسمها واسم ام عيسى . والأول الصحيح . والثاني تصحيف .

من كنز القلب . غلام لا كالغلمان . إنه لا يبكي . ولكنها يساورها القلق خشية أن يبكي فيتسرب خبره الى فرعون عدو الأطفال . حتى يدخل رجاله عليها مخدعها وينتزعوه من بين أحضانها ليذبحوه. فرفعت عينيها الى السماء في سكون الليل تلتمس من الله العون. فسمعت هاتفاً. تسمع كلامه ولا تراه.

[**هاتف**] : ﴿ أن ارضعيه . فاذا خفت عليه فالقيه في اليم . ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه ليك وجاعلوه من المرسلين﴾[1]

[**يوكابد**] : (تخاطب نفسها] : تسليماً لأمر رب العالمين . أرضعه وأفديه بروحي . واعيذه بالله من شر خلقه . ولكن . كيف اذا خفت عليه ألقيه في اليم ؟ كيف ذلك ؟ . . تذكرت أجعله في تابوت فالقيه في اليم . وأسلمه لله رب العالمين .

[**الراوي**] : (**فأرضعته ثلاثة اشهر . ثم لاحظت اخته كلثوم أن زبانية فرعون الذباحين يفتشون البيوت عن الأطفال فيذبحونها فقالت**) :

[**كلثوم**] : يا أماه . . يا أماه : إن الذباحين يخرجون من دار لبني إسرائيل ويدخلون أخرى يفتشون عن الأطفال . فلا يعثرون على طفل إلا ذبحوه . واعتقلوا والديه .

[**يوكابد أم موسى**] : في أي حي يفتشون يا بنيتي ؟

[**كلثوم**] : في حي يهوذا يا أماه .

[**أم موسى**] : ويلاه . . ويلاه . أخاف أن يَدهِموا[2] بيتنا ويذبحوا أخاك يا كلثوم . يا بنيتي اذهبي الى بيت حذقيل[3] النجار إنه من المؤمنين . واحضريه الي بلطف .

[**كلثوم**] : أمرك يا أماه .

« **فترة انتقال** »

(**وذهبت كلثوم الى حذقيل النجار . واحضرته على الفور . وكان بينه وبين أم موسى ما يلي** :

---

(١) آية من ابلغ آيات القرآن المعجز فيها امران ونهيان وبشارتان .

(٢) دهَمَهُمُ الأمرُ: غشيهم.

(٣) حذقيل مؤمن آل فرعون الذي يكتم إيمانه . وسيأتي له دور إن شاء الله .

[**يوكابد أم موسى**] : أهلاً وسهلاً يا حذقيل . فلينفعنا إيمانك ومحبتك لآل عمران .

[**حذقيل**] : نعم : يا أم هارون . ماذا تأمرين ؟

[**يوكابد ام موسى**] : هل عندك للسر موضع ؟ وتعاهدني على ذلك بالله عز وجل .

[**حذقيل**] : نعم : واعاهدك بالله على كتمان السر ولو كان بذلك حتفي .

[**أم موسى**] : يا حذقيل : إني وضعت على رأس هارون هذا الغلام . الصبيح الوجه . المضيء العينين . وكتمته عن الخلق كلهم إلا عن زوجي عمران . وبنتي كلثوم . وسمعت هاتفاً يقول لي : (أرضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم . ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) والآن قد خفت عليه الذباحين الذين يفتشون البيوت . وفطنت اني لا استطيع إخفاءه الى الأبد . فهل لك أن تكتم أمري . وتصنع لي تابوتاً محكماً لأضعه فيه وألقيه في النيل كما أمرت؟ وأسلم لله عز وجل .

[**حذقيل**] : إدفعيه اليّ حتى أقبله وأقوم بخدمته .

(فدفعته أم موسى الى حذقيل الذي ضمه الى صدره . وجعل يقبله وهو يبكي . وأمه واخته يبكيان)

[أنا ذاهب لاضع لحبيبي الغلام تابوتاً . واطليه بالقار[٣] واعود به اليك وشيكاً[٤] ليلاً والله المستعان .

[**يوكابد ام موسى**] : شكراً يا حذقيل .

[الراوي] : (وهكذا صنع حذقيل تابوتاً من خشب الجميز . وطلا خصاصه[١] بالقار[٢] . ودفعه الى أم موسى ليلاً . التي جعلت فيه جلد شاة وقطنا محلوجاً . ووضعت الغلام بالتابوت . وقفلت بابه . وعلقت المفتاح

---

(١) القار: الأسفلت .

(٢) وشيكاً: سريعاً .

(٣) خصاصه: شقوقه .

(٤) القار: الاسفلت .

على صدر التابوت . والقت التابوت بـالنيل . وسلمتـه لعين الله التي لا توسن[1] ولا تنام) .

[يوكابد أم موسى] : يا ينيتي يا كلثوم .

[كلثوم] : نعم يا أماه .

[يوكابد] : قصّي أثر أخاك . وكوني ناظرة حذرة . متشاغلة يقظة .

[كلثوم]: أمرك مطاع يا أماه.

[الراوي] : (وسارت اخته كلثوم على شاطىء النيـل تتبع أثـره لتعلم خبره . وهي ترمقه من طرف عينيها . وتتظاهر أنها غافلة عنه . حتى لا ينكشف أمرها (فبصرت به عن جنب[2] وهم لا يشعرون) أنها اخته . وكان على ساحل النيل بركة كبيرة لفرعون . محاطة بالاشجار . فبينما هو جالس على رأس بركته . مع زوجه آسية بنت مزاحم . وكانت بنت فرعون تَرْمُوسِيسْ . واخته حَتَشْبَسُوت وجواريهن . يسبحن بالبـركة . ويلعبن . وينضحن الماء على وجوههن . إذ أقبل النيل بالتابوت . تضربه الامواج الى الساحل . فيعلق بشجرة على فم البركة . فكأنها حدثت المحاورة الآتية) :

[كلثوم] : (تخاطب نفسها) : يا رب لطفك وعونك . التـابوت تضربه أمواج اليم الى ساحل فرعون . . . يا حافظ . . . وقع التابوت بأيدي آل فرعون . . . ماذا أصنع . . انصرف لأخبر أمي كلا . . إني واقفة أمامهم كمتفرجة . ناظرة ماذا يفعلون .

[فرعون] : يا ترموسيس[3] . يا ترموسيس . ويا حتشبسوت[4] . علي بذاك التابوت لأنظر ماذا في داخله .

[آسية] : إن ما في جوف هذا التابوت هو لي .

[فرعون] : يا آسية . وهبتك ما في جوفه كائناً ما كان .

[آسية] : علي بالتابوت . يا حتشبسوت .

---

(١) توسَّن: تنعس من وسِنَ يوسَن إذا نعِسَ.

(٢) جنب . بعد .

(٣) ترموسيس بنت فرعون .

(٤) حتشبسوت اخت فرعون .

[الراوي] : (فتسابقت حتشبسوت وترموسيس على التابوت سباحة . وأتين به ووضعته أمام فرعون وآسية . ففتحت آسية باب التابوت بمفتاحه المعلق على صدره . فاذا هي بصبي صغير في التابوت . واذا نور بين عينيه . ويشع وجهُه جمالاً . لا يكاد يصبر عنه من رآه . وما رآه أحد إلا أحبه . وهو يمص اللبن من إصبعه . فصرخت آسية) .

[**آسية**] : غلام . . غلام . . غلام . ما أجمله . ما أحلاه . انظر الى نور عينيه أيها الملك .

[**فرعون**] : هذا غلام عبراني من بني إسرائيل . يا حارس . يا حارس : علي بالذباحين ليقتلوه .

[**آسية**] : (كلا . . كلا . . قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً)[1] . أما وهبته لي ؟

[**فرعون**] : بلى : قد وهبته لك . وهو قرة عين لك . وليس لي[2] . إنه غلام قمن[3] بالحياة . من رآه وهلة أحبه قهراً .

[**آسية**] : إذن : أسميته موسى . لأنا التقطناه من الماء وبجانب الشجر .

[قرآن كريم]: ﴿ ولقد مَنَنَّا عليك مرة أخرى * إذ أوحينا الى أمك ما يوحى * أن اقذفيه في التابوت . فاقذفيه في اليم[4] فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له[5] . وألقيت عليك محبة مني[6] . ولتصنع على عيني ﴾[7] .

---

(١) وكانت آسية لا تلد . ولفرعون ترموسيس من غير آسيه .

(٢) قال رسول الله ﷺ : لو قال يومئذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله للايمان كما هداها .

(٣) قمن : جدير .

(٤) اليم : البحر . والمراد هنا النيل لأنه متجر .

(٥) وهو فرعون .

(٦) اي لا يراه احد الا احبه .

(٧) اى لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يرعى الرجل الشيء بعينه اذا اعتنى به . والآيات ٣٧ - ٣٩ من سورة (طه).

[**الغلام**] : (يبكي يطلب الرضاع ويخرج الريق من قمه) : واع . . واع . . واع . .

[**ترموسيس**] : علي بالغلام أحمله . والطخ من لعابه برصي كما أشار عليّ الكاهن . لعله يبرأ وتهدأ حكته[1] .

[**الراوي**] : **(فحملته ترموسيس ولطخت من لعابه بَرَصَها . (وكان بجلدها برص) فهدأت حكته . وبرىء على الفور . فضمت موسى الى صدرها . وجعلت تمطره قبلات المحبة) .**

[**آسية**] : الغلام يبكي : يا حارس . . يا حارس :

[**الحارس**] : نعم يا مولاتي .

[**آسية**] : علي بشقر وفوعة ليرضعا لي هذا الطفل.

[**الحارس**] : حاضر يا مولاتي .

[**القاء**] : **(وأحضر على الفور شقرة وفوعة . وتقدمت الكثيرات لإرضاعه فأبى أن يرضع منهن)**

[**موسى الغلام**] : واع . . واع . . واع . .

[**فرعون**] : ما بال هذا الغلام لا يرضع من أحد ؟

(وكانت كلثوم لا تزال واقفة كمتفرجة)

[**كلثوم**] : (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم . وهم له ناصحون) ؟

[**فرعون**] : لعلك تعرفين أهله يا فتاة ؟

[**كلثوم**] : كلا : لا أعرف أهله .

[**فرعون**] : إذن : وما يدريك أنهم اليه ناصحون ؟

[**كلثوم**] : مولاي الملك : إن أمي يوكابد ترضع أخي هارون الذي ولدته منذ عام مضى . وهي حريصة على خدمة الملك . واعني ناصحة للملك .

[**فرعون**]: ما اسمك يا فتاة ؟

---

(١) وكان بها برص أعيى الاطباء شفاؤه . فأشار عليها الكاهن أن غلاماً يُخرج من البحر فلعابه شفاء لها .

[**كلثوم**]: خادمة جلالتكم كلثوم بنت عمران.

[**فرعون**]: علي بأمك يا كلثوم لتكون ظئراً[1] لغلامنا إن ارتضع منها.

[**كلثوم**] : أمرك يا مولاي :

(فذهبت كلثوم على مهَل أمامهم . حتى إذا توارت عن أنظارهم جعلت تنهب الأرض نهباً حتى أتت أمها قائلة)

[**كلثوم**] : يا أماه . . يا أماه . . وقع اخي في يد فرعون ولكنه لم يقتل . وطلب له المراضع فامتنع من الرضاع . ثم طلبك لارضاعه . فابشري فقد جاءك الفرج .

[**يوكابد أم موسى**] : ولدي . . ولدي . . ولدي . أذهب اليه وأقول بأنه ولدي وأنا أرضعه بدون نَوَل[2] . أو عطاء

[**كلثوم**] : صه[3]: يا أماه . إن عرفوا أنه ولدك قتلوه . تجاهليه يا أماه .

[**أم موسى**] : صدقت يا كلثوم . اللهم صبرني يا أرحم الراحمين .

[**الراوي**] : **(وذهبت أم موسى مع بنتها كلثوم . رابطة الجأش قوية الاعصاب بعد أن ربط الله على قلبها . فآمنت بوعد الله . حتى دخلت على فرعون . فقدمت فروض الاحترام وقالت)** :

[**يوكابد أم موسى**] : ماذا يأمر مولاي الملك ؟

[**فرعون**] : نريدك ظئراً[4] لغلامنا إن قبل ثديك .

[**أم موسى**] : أمرك يا مولاي .

[**الراوي**] : **(وكان فرعون يحمل الغلام بنفسه يسكته فدفعه لها وهو يبكي . فما أن وجد الصبي ريح أمه حتى سكت وقبل ثديها وارتضع بشراهة)** .

---

(١) الظئر: المرضعة.

(٢) النول: العطاء فالعطف تفسيري.

(٣) صه: اسم فعل نهي بمعنى اكففي.

(٤) الظئر هي المرضعة.

[**فرعون**] : ما لهذا الصبي ارتضع منك ولم يرتضع من غيرك .

[**يوكابد**] : إني امرأة طيبة اللبن . طيبة الريح . لا أكاد أوتى بصبي إلا ارتضع مني .

[**فرعون**] : إذن : أنت ظئر[1] لغلامنا . ونحن ندفع لك كل يوم ديناراً[2] .

[**يوكابد**] : شكراً يا مولاي .

[**آسية**] : اذهبي يا أم هرون الى بيتك . على أن تأتي به الينا كل صباح ننظر اليه .

[**يوكابد**] : أمرك يا مولاتي .

[**قرآن كريم**] : ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون[3] لهم عدواً وحزناً . إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين * وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون * وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً . إن كادت لتبدي[4] به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين * وقالت لأخته قُصّيه . فبصرت به عن جنب[5] وهم لا يعشرون[6]* وحرمنا عليه المراضع من قبل[7] . فقالت هل ادلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون * فرددناه الى أمه كي تقر عينُها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق[8] ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾[9]

---

(١) اخذت ام موسى الدينار لتستتر به وحل لها باعتبار أن فرعون حربي ظالم مصادر للاموال . وايضاً أجرة وقتها بأخذه الى دار فرعون كل صباح . لا اجرة الأرضاع .

(٢) اللام هنا لام العاقبة .

(٣) اي قاربت تظهر انه ولدها .

(٤) اي عن بعد .

(٥) وهم لا يشعرون أنها اخته .

(٦) من قبلُ أي من قبل مجيء أمه .

(٧) لتعلم ان وعد الله حق بقوله تعالى لها بواسطة الهاتف او الملك (إنا رادّوه اليك وجاعلوه من المرسلين) .

(٨) الآيات ٨ ـ ١٣ من سورة القصص .

عودة موسى عليه السلام ليرضع من أمه

سـلم أمـورك لِـلَّطيـف الـعـالم ... وأرح فـؤادك من جميـع العـالمِ
واعلم بـأن الأمـر ليس كـما تشـأ ... بـل مـا يشـاء الله أحكَمُ حـاكِمِ
فاطرب وطب وانسَ الهموم جميعها ... إن الهمـوم تُـزيـل لب الحـازمِ
لا ينفـع التـدبـيَر عبـدٌ عـاجـزٌ ... فـاتـركـه تبقى في نعيم دائـمِ

الحلقة التاسعة والعشرون

نـشأة موسى في دار فرعون وقتله القبطي وخروجه الى مدين وزواجه وبعثته

نشأة موسى عليه السلام في دار فرعون

[الراوي] : (كانت يوكابـد ام موسى . تـرضع ولـدها مـوسى لفرعون [1] مقابل دينار كل يوم . وتأتي به كل صباح الى القصر . حتى إذا أتمت الرضاع أسلمته الى القصر ليكون لهم عدواً وحزناً . فنشأ وترعرع بين أحضان فرعون . مع اتصاله باسرتـه التي رضع منهـا عقيدة التـوحيد . وعصمه الله من الزيغ . على الرغم من تولية الكهنة تثقيفه . فوقف على علومهم وما يعتقدون، وقوف المؤمن بالله المنتقد لوثنية القوم . ولما بلغ أشده [2] واستوى عوده [3] اعطاه الله عقلاً وافراً . وفقهاً في دين الله الذي ورثه عن آبائه ابراهيم واسحاق ويعقوب والأسباط . كما اعطاه الله بسطة في القوة والجسم . فثارت في نفسه نصرة المظلومين من ابناء قومه [4] فكأن الأحداث جرت كما يلي :

---

(١) فرعون زمن موسى . هو الوليد بن مصعب . وكان قصيراً طويل اللحية . اشهل العين اليمنى . صغير العين اليسرى اعرج .

(٢) اي بلغ الحلم .

(٣) استوى: بلغ ثلاثين سنة. ثم مكث بمدين عشراً . ثم بعث على رأس الأربعين . والله أعلم .

(٤) وكان إذ ذاك عرف أمه الحقيقية وأباه وإخوته . وانجلت له الحقيقة كاملة .

[**موسى**] : (**استيقظ من نومه**) : يا اماه . . يا اماه . أين ابي فرعون ؟

[**آسية**]: يا بنيَّ يا موسى. إن أباك فرعون قد ذهب باكراً الى القصر العظيم في مدينة منف . فاركب الفرس الأدهم وسر في أثره .

[**موسى**] : أمرك يا أماه .

[**الراوي**] : (**فركب موسى الفرس الأدهم (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) دخل المدينة وكان النهار قد انتصف فأُغلقت المتاجر من شدة الحر . فبينما هو يمشي اذ رآى رجلين يقتتلان . أحدهما السامري[1]، من بني إسرائيل، والثاني فاتون طباخ الملك . فكان ما يلي :**

[**فاتون**] : يا سامري . . يا سامري .

[**سامري**] : ما تريد يا فاتون ؟

[**فاتون**] : تعالَ احمل هذا الحطب على ظهرك الى مطابخ ومخابز مولانا الرب فرعون .

[**سامري**] : لا أستطيع . ولو استطعت لاَ أَفعل.

[**فاتون**] : ولماذا لا تفعل يا جعل ؟ [2] لتحملنه ولو رغم أنفك .

[**سامري**] : الجعل أمثالك . لا أحمله ومهما كانت الظروف .

[**فاتون**] : بل تحمله وانت راغم .

[**سامري**] : لا ترغمني قوة في الأرض .

موسى عليه السلام يقتل القبطي خطأ

[**الراوي**] : (**فتضارب فاتون والسامري وحمي الوطيس[3] بينهما فصادف ذلك وصول موسى اليهما . فقال**) .

[**موسى**] : ما خطبك يا سامري ؟

---

(١) هو السامري الذي له اعظم دور في عبادة بني اسرائيل العجل كما سيأتي . وهذا على أصح الأقوال .

(٢) جعل: دويبة صغيرة تكون في القاذورات.

(٣) الوطيس: التنور.

[**سامري**] : يريد فاتون أن يحمِّل هذا الحطب على ظهري وانا كاره .

[**موسى**] : يا فاتون دع السامري واجلب دابة تحمل هذا الحطب . فانه أثقل من أن يقله إنسان .

[**فاتون**] : كلا كلا يا موسى . اني أريد ان أحمل هذا الحطب الى مطبخ أبيك الرب فرعون .

[**موسى**] : حسناً ولكن إحمله على دابة .

[**فاتون**] : كلا ثم كلا . لا أحمله الا على ظهر هذا الاسرائيلي . وان حللت بيني وبينه لأحملن الحطب على ظهرك يا موسى .

[**الراوي**] : (**فثارت ثائرة موسى انتصاراً للحق فوكز**[1] **القبطي فقضى عليه**[2]) .

[**قال موسى**]: ﴿هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين﴾ .

[**قرآن كريم**] : ﴿ . . فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين * قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي . فغفر له . انه هو الغفور الرحيم * قال رب بما انعمت عليَّ فلن اكون ظهيراً للمجرمين ﴾[3] .

[**الراوي**] : (**ترك موسى القتيل مطروحاً . وبقي خائفاً يترقب أن يفتضحَ أمره فيؤخذ بجريرة عمله . . عثر الاقباط على فاتون ملقىً على الأرض قتيلاً فاسرعوا الى فرعون بالويل والثبور**[4]) .

[**خاتون**] : يا مولاي : ان الاسرائيليين قتلوا أخي فاتون . فالغوث الغوث . . يجب ان يُقتل منهم عشرة رجال بأخي فاتون . وليسوا سواء . (**ضجيج الشعب**) .

---

(١) وكزه: ضربه بمجمع يديه (بُكسْ).

(٢) قتله خطأ . إذ عادة الضرب باليد لا يقتل . وقصد دفعه عن اذى الناس .

(٣) الآيات ١٥ ـ ١٧ من سورة القصص وظهير بمعنى معين.

(٤) الثبور: الهلاك والخسران.

[**فرعون**] : يا خاتون . يا قوم . . أبغوا لي قاتله ومن يشهد عليه حتى نقتله فيه .

[**الراوي**] : (**وطاف الذباحون أنحاء المدينة يفتشون عن القاتل . ولا يخطر لهم ببال . وإذ مر موسى خائفاً يترقب . واذا بالسامري يقاتل قبطياً آخر . فاستغاث بموسى ثانية**) .

[**السامري**] : اغثني يا موسى . . أغثني يا موسى .

[**موسى**] : ﴿ إنك لغوي مبين ﴾ ومتبع الشرور .

[**الراوي**] : (**وظهر في وجه موسى الغضب** [1] **فلما لمح السامري الشر بين عيني موسى خاف منه وفر من وجهه وهو يقول**) .

[**السامري**] : (يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس . أتريد أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين) ؟

[**خاتون**] : انت اذن يا موسى قتلت اخي فاتون .

انتقال

خروج موسى عليه السلام الى مدين

(**واسرع الاقباط الى فرعون يتقدمهم خاتون . يضجون**) .

[**خاتون**] : يا مولانا الملك الاله الأعلى : إن فتاك موسى هو الذي قتل اخي فاتون . وهذا السامري قد شهد عليه .

[**قبطي**] : نعم يا مولانا شهد السامري أمامنا وقال (يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس) .

[**هامان**] : يا مولانا : إن موسى إسرائيلياً وثبت أنه ابن عمران وضلعه مع بني اسرائيل . يظاهرهم في كل مناسبة . واخيراً تمادى في غيه وقتل رئيس الطباخين والخبازين القائمين بخدمة مولانا الملك . فيجب أن يقتل .

[**فرعون**] : ما قولك يا رئيس الكهنة ؟

---

(١) وبالرغم من غضب موسى من السامري لم يرد معاقبته بل اراد مساعدته .

[**رئيس الكهنة**] : طالما انه قد ثبتت جريمته . وظهرت نيته يجب أن يقتل .

[**فرعون**] : وانا حكمت عليه بالاعدام صلباً (يا رئيس الحرس . يا رئيس الحرس)

[**رئيس الحرس**] : نعم يا مولاي :

[**فرعون**] : اقبض على موسى حتى ننفذ فيه الإعدام فوراً ولا يخامرني شك بأنه عدونا الذي توقعناه .

[**رئيس الحرس**] : حاضر : امرك يا مولاي .

[**الراوي**] : **(فجمع رئيس الحرس زبانيته ليقبضوا على موسى غير أن حذقيل** [1] **كان بين الحضور فأسرع الى موسى من طريق قريب ينهب الأرض نهباً حتى اتى موسى فقال)** .

[**حذقيل**] : (يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين) واياك ان تتأخر لحظة واحدة فتقع في شراك الزبانية .

[**موسى**] : شكراً يا حذقيل . استودعك الله عز وجل . وبلغ امي وأخي هارون وأختي مني السلام .

[**حذقيل**] : في حراسة الله يا موسى .

[**الراوي**] : **(خرج موسى من المدينة خائفاً يترقب الطلب . ويتوقع القبض عليه . ويلتفت يميناً وشمالاً . ويستغيث رب السماوات والأرض ويقول : رب نجني من القوم الظالمين . ولم يعد للسفر عدته . بل خرج حاسر الرأس حافي القدمين . بلا ماء ولا زاد ولا راحلة . ولا رفيق ولا صديق إلا رب العالمين . هائماً على وجهه لا يدري اين السبيل . فكأني به يخاطب نفسه ويقول)** .

[**موسى**] : الى أين أذهب ؟ والى أي ملجأ الجأ ؟ الى مدين . إن بيني وبين أهل مدين صلةً وشيجة ورحماً ماسة [2] . ولكن لا علم لي

---

(١) هو حذقيل بن صورا بن عم فرعون . وهو مؤمن آل فرعون الذي يكتم ايمانه . وهو الذي صنع لموسى التابوت . وسيكون له دور أيضاً .

(٢) موسى من ولد يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم . وهم من ولد مدين بن ابراهيم عليهم السلام .

بـالطريق . بـل الجأ الى عـلام الغيوب . ﴿ عسى ربي أن يهـديني سواء السبيل ﴾ .

[الراوي] : (فارسل الله عز وجل اليه جبريل متمثلاً برجل يركب فرساً ومعه عنزة [1] فقال) .

[جبريل] : السلام عليكم يا موسى .

[موسى] : وعليكم السلام يا عبد الله .

[جبريل] : أرك تقصد مدين وقد ضللت طريقها .

[موسى] : نعم أرشدني يا عبد الله .

[جبريل] : خذ هذه العنزة فاتكىء عليها واقصد تلك الهضاب . ثم تابع السير على ساحل البحر . وإياك ومفارقَ الطرق فان العدو متربص بك هنالك .

[موسى] : شكراً يا عبد الله .

[الـراوي] : (وسار مـوسى في حراسـة الـرحمن يتقـوت ورق الأشجار . يرفعه نجد ويخفضه وهد اسبوعاً كاملاً حتى سقط خف قدميه واضناه الجوع والتعب . حتى اذا ورد ماء مدين [2] وجد عليه جماعة كثيرة من الـرجال الاقـوياء يسقـون غنمهم من بئـر مـدين ووجـد من دونهم امرأتين [3] تفصلان اغنامهما كيلا تختلط باغنام الرجال . في ضعف الى أن ينكشف هذا الحشد . وينصرف الجمع . ثار في نفس موسى حب حماية المستضعفين . فتقدم اليهما سائلاً) .

[موسى] : ما خطبكما يا أمة الله [4] ؟

[صافورا] : يـا عبد الله . انـا لا نستطيـع السقيا حتى يصـدر الرعاء . ولا نستطيع مزاحمة الأقوياء . وابونا شيخ كبير . قد ناهز الأجلين . وبلغ من الكبر عتياً وهو أعمى العينين.

---

(١) الغـزة بالتحريك عصـا معقوفة الرأس .

(٢) اي وصل الى ماء مدين من غير أن يدخل فيه كقوله تعالى وان منكم إلا واردها.

(٣) الكبرى منهما ليا والصغرى صافوراء وهما ابنتا نبي الله شعيب عليه السلام على أصح الأقوال .

(٤) اي ما سبب عدم سقايتكما الأغنام .

[**موسى**] : هل ترغبان في المساعدة ؟

[**صافورا**] : وكيف لا . ونكون لك من الشاكرين .

[**موسى**] : الا يوجد في هذه البئر المغطاة بهذه الصخرة الكبيرة ماء ؟

[**صافوراء**] : بلى يوجد . ومن يستطيع أن يقل هذه الصخرة ؟

[**موسى**] : انا أقلها .وادفعي لي هذا الغَرْب [1] الكبير لأسقي لكما على عجل .

[**الراوي**] : **(وأقل موسى الصخرة العظيمة التي لا يقلها أقل من عشرة رجال وجعل ينزح الماء بالغَرْب[1] الكبير حتى سقى لهما سائر غنمهما على عجل بالرغم مما به من جوع وتعب ثم تولى الى ظل شجرة. وقد أضناه التعب والجوع سبعة أيام سيراً على الأقدام بلا طعام. وهو عزيز النفس ابن الدعة والدلال . وربيب فرعون . فتوجه الى الله تعالى يسأله من فضله . (رب اني لما انزلت الي من خير فقير) إني لفقير الى شق ثمرة اقتات بها يا رب العالمين .**

(فعادت الفتاتان الى ابيهما مسرعتين . وكانت عادتهما الابطاء . فكان بينهما وبين ابيهما ما يلي) :

[**شعيب**] : يا ليا ويا صافوراء ما بالكما قد عدتما اليوم سريعاً ؟

[**ليا**] : يا أبتاه : قد عاوننا على السقاية شاب شهم قوي كريم .

[**صافوراء**] : يا أبت يلوح لي أن الشاب الذي سقى لنا جائع مكدود . فلو دعوته لضيافتك .

[**شعيب**] : اذهبي يا صافوراء وائتيني به .

انتقال

(فجاءته صافوراء تمشي على استحياء فقالت) .

[**صافوراء**] : يا فتى (ان ابي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) .

[**موسى**] : انا لا ابتغي على عملي أجراً إن اجري الا على الله .

---

(١) الغَرْب بوزن الضرب الدلو العظيمة .

ولكن سيري بنا اليه لأشاهد الشيخ الجليل .

[**الراوي**] : (**فسارت صافوراء امام موسى لترشده على الطريق** [1] **فجعلت الريح تلصق ثوبها بجسدها . فتبدي مفاتن جسمها فتحرج موسى التقي النقي من النظر الى ذلك فقال**) .

[**موسى**] : يا امة الله . سيري خلفي . وارشديني الى الطريق بصوتك . يميناً أو يساراً .

انتقال

(وهكذا سارا حتى دخلا على نبي الله شعيب فكانت المحاورة الآتية):

[**موسى**] : السلام عليكم ايها الشيخ الجليل [2] .

[**شعيب**] : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . ما اسمك ايها الفتى . ومن أي البلاد أنت حياك الله .

[**موسى**] : انا موسى بن عمران من بني اسرائيل من مصر .

[**شعيب**] : وانا نبي الله شعيب بن نويت من بني مدين . فبيني وبينك يا موسى صلة وشيجة ورحم ماسة . فما خطبك يا موسى ؟

[**الراوي**] : (**فراح موسى يقص على شعيب جميع ما حدث له في مصر . فقال الشيخ**) .

[**شعيب**] : (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) [3] : هات الطعام يا بنيتي يا صافوراء لموسى كي يأكل . .

[**موسى**] : أيها الشيخ الجليل انا لا ابتغي على عملي أجراً . اننا أهل بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهباً واني سقيت لكم لوجه الله عز وجل .

[**شعيب**] : ليس هذا عوض السقيا يا موسى . بل عادتي وعادة آبائي قرى الضيف واطعام الطعام .

---

(١) وكان بين الماء ودار شعيب عليه السلام ثلاثة اميال ٦ كم

(٢) كان شعيب عليه السلام في أول حياته ضعيف البصر كما تقدم في قصته . وهنا كان قد عميَ تماماً وذلك بعد أن دمر الله قومه . والله أعلم .

(٣) لأن مدين خارجة عن حكم فرعون .

[الراوي] : (عندها أكل موسى من زاد الشيخ الكريم وهدأت نفسه في منزله . وسكن الى صحبته . وتمنى أن لا يفارقه . ولا يدعه فنور الإيمان يتلألأ في كلا القلبين . وفيض الأخلاص يتفجر من كلا الرجلين . والقلوب جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف . وما تناكر منها اختلف . ولقد كان موسى فتىً جميلاً شريفاً كريماً أثار في نفس الشيخ وبنته صافوراء عوامل الاكبار والاعجاب . فتحرك في نفس الفتاة حب الاحتفاظ بهذا الفتى الشهم القوي الأمين . فقالت) .

[صافوواء] : (يا أبت استأجره إنه خير من استأجرت القوي الأمين)[1] .

[شعيب] : يا بنيتي يا صافوراء : ما علمك بقوته ؟

[صافوراء] : يا ابتاه : قد أقل الصخرة التي ينوء بحملها عشرة رجال[2] مع ما به من الجوع والتعب .

[شعيب] : وما يدريك بأمانته يا صافوراء ؟

[صافوراء] : يا ابت انه العفيف طاهر الذيل . أطرق برأسه حين بلغته رسالتك . واستدعيته اليك . وطلب مني ان أمشي خلفه . وارشده الى الطريق بصوتي . يميناً ويساراً . كراهة أن تصف له الريح جسمي .

[شعيب]: فهمت مرادك يا بنيتي. وفراستك في محلها. وخيراً رأيتِ.

(والتفت الى موسى فقال) :

[شعيب] : يا موسى : (إني أريد أن انكحك إحدى ابنتي هاتين . على أن تأجرني ثماني حجج[3] فان أتممت عشراً فمن عندك. وما أريد أن اشق عليك . ستجدني ان شاء الله من الصالحين)[4] .

[موسى] : إني لسعيد بصحبتك أيها الشيخ الكريم . قوي بمناصرتك . عزيز بمؤازرتك. طابَ مقامي لديك . واخضر أملي في دارك .

---

(١) الآية ٢٦ من سورة القصص.

(٢) أقل الشيء اطاق حمله . وناء بالحمل نهض به مثقلاً .

(٣) أي ثماني سنين

(٤) الآية ٢٧ من سورة القصص .

ورضيت بِعَرضك الكريم ﴿ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي . والله على ما نقول وكيل ﴾[1].

[**شعيب**] : أدخل يا موسى هذه الغرفة . واختر لنفسك عصاة تهش بها على الغنم [2] .

[**الراوي**] : (**فدخل موسى الغرفة ولفتت نظره عصاة غريبة الشكل فاختارها وعاد بها الى شعيب فقال**) .

[**موسى**] : يا عم لقد اخترت هذه العصى

(**فتناولها شعيب وتلمسها وقال**) :

[**شعيب**] : يا بني يا موسى : لا أضن بهذه العصى عليك . واني لأرجو أن يكون لك نبأ عظيم لاختيارك هذه العصى . فانها عصاة ابينا آدم أخرجها معه من آس الجنة توارثها الأنبياء حتى وصلت الي . وأرجو أن تكون منهم يا موسى .

[**شعيب**] : يا موسى . سق الأغنام الى مفرق الطرق . فخذ عن يمينك . وليس بها عشب كثير . ولا تأخذ عن يسارك . فانه وان كان في اليسار عشب كثير . ولكنه يوجد تنين [3] كبير يقتل المواشي وأصحابها .

[**الراوي**] : (**خرج موسى بمواشيه الى مفرق الطرق كما اشار عليه الشيخ الكبير فأخذت مواشيه نحو اليسار ولم يقدر على ضبطها . واذ بالتنين قد خرج على المواشي . فقذف موسى عليه عصاه . فلم تخطىء مقتله . فقتل التنين . وبقيت المواشي ترعى في اخصب عشب . ثم عاد بالمواشي الى شعيب فمس الاغنام فإذا أثر الشبع بادٍ عليها . فسأل موسى عن ذلك . فاخبره الخبر . فحظي [4] عند شعيب . فزوجه من عروسه قبل مضي الأجل [4] . وبقي يرعى الغنم على عفة فرجه وطعام بطنه، ويسجد شكراً للّه في معبد الكون عشر سنين أوفر الأجلين. فعرف الشيخ ذلك له فوهبه كثيراً**

---

(١) الآية ٢٨ من سورة القصص.

(٢) وكان شعيب كفيفاً اذ ذاك كما تقدم .

(٣) التنين ضرب من الحيّات الكبيرات .

(٤) فتزوج موسى ورزق ولدين بمدين . وسار بهم وبزوجته الحامل الى مصر .

من المواشي خالصة سائغة له. فلما أتم موسى الأجل تحركت في صدره نشوة الحنين الى الوطن. ولَجَّ به الشوق والهيام. فاستسهل الصعب وهزىء بالأخطار أمام هذا الحنين. فبث ما في نفسه الى زوجه قائلاً.

[موسى] : يا صافوراء : ابث اليك ما يختلج بين جوانحي .

[صافوراء] : تفضل يا سيدي موسى مرني بأمرك .

[موسى] : اني اشتقت الى أمي واخي هارون . وأختى كلثوم [1] فأرجو أن تتأهبي لنذهب الى مصر فان لي فيها شيعة وأنصاراً .

[صافوراء] : أمرك مطاع يا موسى. أسير معك حيث سرت . ولا أبخل بروحي عليك .

[موسى] : شكراً : وها انا استأذن الشيخ الجليل واجمع اشتات متاعي واستعد للسفر .

بعثة موسى عليه السلام

[الراوي] : (جمع موسى اشتات متاعه . وهيأ رحله . واستعد ليذهب الى مصر مع زوجته الحبلى وولديه الصغيرين فيودعو الشيخ الجليل وودعهم وداعاً حسناً . ودعا لهم بالتوفيق والسداد . ثم ساروا بمواشيهم نحن طور [2] سيناء . وهنالك ضل موسى الطريق . فاتجه نحو جانب الطور الأيمن . في عشية شاتية شديدة البرد . . وجاء الليل وغابت النجوم بالسحاب وأخذت السماء تبرق وترعد تمطر . فنصب موسى خيمته . وآوى بها أهله . وخرج من الخيمة يدور بنظره في الفضاء . فآنس [2] من جانب الطور الأيمن ناراً . فقال :

[موسى] : يا صافوراء .

[صافوراء] : نعم يا سيدي .

[موسى] : ﴿ امكثوا اني آنست[2] ناراً لعلي آتيكم منها بخبر [3]

---

(١) ويظهر بأن أباه عمران كان قد مات .

(٢) الطور: الجبل. وطور سيناء جبل سيناء .

(٣) آنس ناراً: أبصرها.

(٤) أي من يرشدنا الى الطريق .

أو جذوة[1] من النار لعلكم تصطلون ﴾ [2] .

[**صافوراء**] : سر في حراسة الله . وإياك أن تتأخر فاني أمخض [3] .

[**الراوي**] : (**وانطلق موسى في وادي طوى يتوكأ على عصاه صوب النار . فاذا بخشوع عجيب يسربل الوادي كله . وإذا بنور لطيف تحسه الافئدة قبل العيون يغشى المكان . وإذا بالهواء يفعم بتسبيح الملائكة . ودنا من النار فإذا هي في شجرة كبيرة فاقترب منها . فكلمه الله تعالى من فوق عرشه واسمعه كلامه من الشجرة بسائر حواسه . وردد الكون الصدى**) .

[**صدى الكون**] : (أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين) .

[**الراوي**] : (**فارتعدت فرائص موسى وحاول الفرار . ولكنه مكن أعصابه ودنا من النار ثانية . وإذ**)

[**صدى الكون ثانية**] : (أن يا موسى إني انا الله رب العالمين) .

[**قرآن كريم**] : ﴿ فلما أتاها نودي يا موسى * إني انا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادِ المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى * انني انا الله لا إلّه الا أنا فاعبدني. وأقم الصلاة لذكري * إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى * فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى [4] .

القصيدة

فسبحانَ من تعنو [5] الوجوه لوجهه ومَن كل ذي عز له يتذللُ

---

(١) جزوة: قطعة من النار حيث لم يقدح زنده ليشعل ناراً.

(٢) تصطلون: تستدفئون.

(٣) أي ضربها الطلق .

(٤) الآيات ١١ ـ ١٦ من سورة (طه) وأكاد أخفيها أي قد أخفى الله تعالى الساعة التي هي القيامة والساعة التي يموت فيها الانسان ليعمل الانسان والأمر عنه مبهم فلا يؤخر العمل والتوبة . وتردى: تهلك.

(٥) تعنو: تخشع.

ومَن هـو فرد لا نـظير لـه ولا ... شِبْـهٌ ولا مثْـل بـه يـتمـثـلُ
حـليم عـظيـم راحم مـتكـرم ... رؤوف رحيم واهـب متـفضـل
جـواد مجيـد مشفق مـتعـطف ... خليـل جميـل لـذبـه تتجمـل

مناجـاة موسى . وذهابه الى مصر . واجتماعه بهرون . ولقائهما مع فرعون والآية الكبرى لموسى وهارون

مناجاة موسى عليه السلام

[الراوي] : (**سمع موسى كلام الله عز وجل من جميع جوارحه فعلم أنه كلام العلي الأعلى . فهدأت نفسه . واستأنس بالنداء . وغاب عن الأهل والولد . واذا النداء من العلا** [1] :

[نداء العلي الأعلى] : (يا موسى إني انا ربك فأخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى [2] . وانا اخترتك فاستجمع لما يوحى . إنني أنا الله لا إلّه إلا أنا فأعبدني وأقم الصلاة لذكري . .

[الـراوي] : (**ازداد انس موسى . واستغـرق في مناجـاة ربه . وغاب عما سوى المتكلم . وإذا النداء**)

[نداء العلي الأعلى] : (وما تلك بيمينك يا موسى) ؟

---

(١) كلمهُ الله عز وجل من فوق عرشه واسمعه كلامه بسائر جوارحه من الشجرة .

(٢) طوى اسم الوادي . روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : (كان على موسى يوم كلمه ربه كساء صوف وجبَّة صوف وكان نعلاه من جلدهما رميت) أي امر بطرحهما لأنهما نجستان . والله أعلم . فطرحهما بعيداً .

[**قال موسى**] : (هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي . ولي فيها مآرب أخرى) .

[**أمر العلي الأعلى**] : (القها يا موسى) .

[**الراوي**] : (**فألقاها من يده فإذا هي حية تسعى**) **كأضخم ما كان من الحيَّات . فلما رآها تهتز كأنها جان** [1] **ولى مدبر ولم يعقِّب** [2]) .

[**نداء العلي الأعلى**] : (يا موسى لا تخف . إني لا يخاف لدي المرسلون) يا موسى أقبل ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى . خذها ولا تخف . وادخل يدك في فمها فلن تضرك .

فاتبع موسى الأمر ولف يده في كم جبته خوفاً من أنياب الحية . فنودي .

[**نداء العلي الأعلى**] : يا موسى الق كمك عن يدك . وادخل يدك بين لحييها . ولا تخف فإنك من الآمنين . (**فأدخل يده بين لحييها فعادت عصاة كما كانت . ثم نودي** :

[**نداء العلي العظيم**] : اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء [3] . واضمم اليك جناحك من الرهب [4]

[**الراوي**] : (**فوضع موسى يده في جيبه ثم أخرجها فإذا هي تتلألأ كالقمر بياضاً من غير برص وضم يديه الى صدره فسكن روعه واشتغل فكره بالحكمة من العصى واليد . واذا النداء من العلي الأعلى** .

[**نداء العلي الأعلى**] : يا موسى : (فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين .

[**قال موسى**] : رب اني قتلت منهم نفساً فأخاف ان يقتلون . واخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني . إني أخاف ان يكذبون .

---

(١) جان: نوع من الحيات سريع الحركة.

(٢) لم يرجع ولم ينظر الى خلف فرقاً .

(٣) اي من غير برص

(٤) اي ضع يديك على صدرك يسكن خوفك .

بعثة موسى عليه السلام

[نداء العلي الأعلى] : يا موسى : (سنشد عضُدَك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً . فلا يصلون اليكما بآياتنا . أنتما ومن اتبعكما الغالبون .

[الراوي] : **(وقف موسى لا يدري ما يقول . وإذا الأمر من العليّ الأعلى)** .

[أمر العلي الأعلى] : (اذهب الى فرعون انه طغى) .

[قال موسى] : (رب اشرح لي صدري ـ ويسر لي أمري . واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي . واجعل لي وزيراً من أهلي . هارونَ أخي . اشدد به أزري . واشركه في أمري . كي نسبحك كثيراً . ونذكرك كثيراً . إنك كنت بنا بصيراً) .

[استجابة العلي الأعلى] : (قد اوتيت سؤلك يا موسى)

[الراوي] : **وعاد موسى الى اهله فرحاً مسروراً . حتى إذا دخل على زوجته الخباء . بادرته بالكلام .**

[صافوراء] : شكراً لك يا موسى على النساء اللاتي أرسلتهن لي فقد استأنست بهن . وقدَّمْنَ لي الطعام والشراب . وقمن بشأني . فرزقنا الله ولداً ذكراً . والحمد لله رب العالمين .

[قال موسى] : الحمد لله رب العالمين .

[الراوي] : **(فبلغ موسى زوجته برسالته فآمنت به . ثم سار بأهله نحو مصر حتى أتاها ليلاً . فنزل بفناء دار أمه . وهو لا يعرفها ولا تعرفه [1] وكانوا يأكلون المرق فجاء هارون الى أمه فقال)** .

[هارون] : من الطارق يا أماه ؟

[أم موسى] : انه ضيف نزل بفناء دارنا . وما عرفنه . ناده يا بني يأكل من مرقنا .

[الراوي] : **(فأقبل هارون إليه فدعاه فلَبَّى موسى الطلب مع أهله فكانت المفاجأة الآتية)** :

---

(١) يظهر أن أباه عمران كان قد مات .

[**هارون**] : من انت أيها الضيف حيَّاك الله .

[**موسى**] : انا موسى بن عمران من بني اسرائيل .

[**هارون**] : انت أخي موسى . مرحباً بالأخ الحبيب . انا أخوك هارون .

[**الراوي**] : (**فقاما وتعانقا طويلاً . وراح يقص على أخيه وأمه وعائلته قصته . وبلغ أخاه أن الله عز وجل ارسلهما إلى فرعون وملئه . وهنا أوحى الله عز وجل الى موسى .**

[**وحي السماء**]: (إذهب انت وأخوك بآياتي. ولا تنيا[1] في ذكري . إذهبا الى فرعون إنه طغى . فقولا له قولاً ليناً[2] لعله يتذكر او يخشى) فكأنها كانت المحاورة الآتية :

[**قال موسى**] : انطلق معي صباحاً يا أخي يا هارون الى فرعون . فإن الله تعالى قد تكرم علينا فارسلنا اليه .

[**ام موسى**] : أنشدكما الله أن لا تذهبا الى فرعون . أخاف ان يقتلكما .

[**موسى**] : يا أماه لا تخافي ولا تحزني ان الله معنا . فقد أوحى الينا فقال : فاذهبا بآياتنا إنَّا معكم مستمعون . فأْتيا فرعون فقولا إنا رسولا رب العالمين . أن أرسل معنا بني اسرائيل .

[**ام موسى**] : يا بَنيَّ: اخشى عليكما من فرعون الجبار . أما وقد أمركما الله بالذهاب اليه فتسليماً لأمر رب العالمين .

[**موسى**] : اطمئني يا أماه . فقد ارسلنا الله بسلطان مبين . وآيات واضحات لنخلص بني اسرائيل من العذاب المَهين . ومن العبودية والرق .

[**ام موسى**] : انطلقا في حراسة الرحمن .

[**الراوي**] : (**وانطلق موسى وهارون صباحاً في ردهات القصر . وكان موسى يعرف طريقه فقد شب فيه . وكان ذات يوم أميراً من أمرائه . حتى إذا وصلا الى رئيس اسرار القصر كانت المحاورة الآتية**) :

---

(١) ولا تضعفا في امر الرسالة

(٢) أي كلما فرعون بلطف . وكنياه بالخطاب . وكانت كنية فرعون ابو العباس .

[**موسى**] : يا أمين الاسرار . استأذن لنا على فرعون .

[**أمين الاسرار**] : من أنتما وماذا تريدان ؟

[**موسى**] : نحن رسولا رب العالمين . نريد تبليغ رسالته الى فرعون ومَلَئِه .

[**أمين الاسرار**] : لا أسمح بمثل هذه المقابلة . ولا استطيع تبليغ الرب ذلك .

[**الراوي**] : **(وجرت مجادلة حادة بين موسى وأمين اسرار القصر . الى أن أقبل (كشكش) مضحك الملك فقال) :**

[**كشكش**] : يا أمين الاسرار . ماذا يريد هذان ؟

[**يريدان المثول أمام الرب فرعون . يبلغان رسالة رب العالمين . كما يزعمان .**

[**كشكش**] : وهل للعالمين رب غير فرعون ؟ إنهما لمجانين . أنا ادخلهما ليكونا طرفة لجلساء الملك .

(ودخل كشكش على فرعون فقال) .

[**كشكش**] : يا مولانا مجنون ومعتوه اقبلا اليك برسالة فضفاضة . طويلة عريضة مصدرها رب العالمين (كما يزعمان) غير مولانا فرعون يريدان المثول بين يديك . وكأني أرى فيهما فكاهة طريفة ترفه عن الحضور .

[**فرعون**] : دعهما يدخلان .

[**الراوي**] : **(فدخل موسى وهارون على فرعون وملأه . فراح فرعون ينظر الى موسى ملياً فعرفه من ملامحه فقال) :**

[**فرعون**] : ماذا تريدان ؟

[**موسى**] : إنا رسولا رب العالمين . أن ارسل معنا بني اسرائيل . ولا تعذبهم . قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى .

[**فرعون**] : ألست ربيبنا موسى ؟

[**موسى**] : بلى .

[**فرعون**] : الم نربك فينا وليداً . ولبثت فينا من عمرك سنينَ . فاتيت متخذاً إلهاً غيرنا ؟

[**موسى**] : يا أبا العباس : أتَمُنُّ عليَّ بتربيتي لديك وليداً فتحسبها نعمة ، اليس منشؤها ظلمك واستعبادك لبني اسرائيل ؟

[**فرعون**] : يا موسى : (اقبلت وتناسيت . وقد فعلت فعلتك [1] التي فعلت . وانك من الجاحدين بنعمتنا؟)

[**موسى**] : بل فعلتها اذاً وانا من الضالين [2] ولما خفت بطشكم فررت منكم . فوهب لي ربي حكماً . واعطاني علماً . وجعلني من المرسلين . فانا الآن رسول رب العالمين .

[**فرعون**] : وما رب العالمين الذي تدعوه اليه ؟

[**موسى**] : رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . (والتفت فرعون الى ملئه فقال) .

[**فرعون**] : الا تسمعون . يزعم موسى أنه للناس آلهاً غيري .

موسى وهارون عليهما السلام أمام فرعون

[**موسى**] : نعم يا أبا العباس : إن آلهكم هو الذي خلقكم ورزقكم . وهو يميتكم ثم يحييكم فهو (ربكم ورب آبائكم الأولين) .

[**فرعون**] : التفت إلى من حوله وقال (إن رسولكم الذي أُرسِل اليكم لمجنون) وهل هناك آله غيري وغير أبي (آمون) ؟

[**موسى**] : نعم يا ابا العباس الآله المعبود هو (رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) (فثار فرعون واضطربت نفسه . ولج في غضبه فقال) .

[**فرعون**] : يا موسى : يا ربيب الأمس ونبي اليوم (لئن اتخذت الهاً غيري لأجعلنَّك من المسجونين. أخرجوه الآن فقد أتى وقت (آمون)[3]. وليعد اليَّ غداً . واجمعولي الناس حتى أحذرهم من موسى وهارون .

[**الراوي**] : (**ثم ذهب فرعون وهامان الى معبد القصر ليسمع**

---

(١) يقصد فرعون قتل موسى لفاتون القبطي . فعرف موسى مقصده فأجابه على ذلك .

(٢) يقصد هنا من الضلال عدم معرفة الطريق السوي .

(٣) آمون هو إله الآلهة عند المصريين إذ ذاك . وإن فرعون هو ابن لآمون يحكم البلاد باسم .

الكهنة وهم يصلون . ويكيلوا المدائح جزافاً لفرعون . فاطلق البخور وتكدست القرابين في المذبح . ودخل فرعون وهامان ورجال القصر ورجال الجيش . ورؤساء أسرار السماء . وكبار الموظفين . وارتفعت أصوات الكهنة بالترتيل . ووقف كبير الكهنة تحت ستار الصنم (آمون) موهم أن (آمون) يخاطب فرعون فيقول) :

[آمون] : يا بني يا فرعون . منحتك الملك . وجعلت الناس قبضة يمينك لتدُسْها بأقدامك . ودائرة المحيط جعلتها في قبضتك . وجعلتها تنظر إلَى جلالتك نظر المغشي عليه من الموت .

(ونفخ هامان بأنف فرعون الكِبْر والغرور فقال) :

[هامان] : إنك جلالتك تعرف كل ما يحدث . فما من شيء تجهله . أحطت بكل شيء علماً . فأنت آله المعرفة . وميزان العدل السماوي .

[الراوي] : (وعاد فرعون من المعبد وقد انتفخت أوداجه [1] كِبْراً [2] وعجباً . ومُلِيء حَنَقاً [3] على موسى وهارون . فأمر بحشد حاشد . وحشر عظيم . وأمر باحضار موسى وهارون ليفحمهما على رؤس الأشهاد . وكان ذلك أسمى أمنية لموسى وهارون . فكانت المقابلة الآتية) :

[فرعون] : يا أيها الناس : أنا ربكم الأعلى . يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري .

الآية الكبرى لموسى وهارون عليهما السلام

[قال موسى] : يا أبا العباس . بل الله رب العالمين . إني أدعوك اليه . واسألك اطلاق بني اسرائيل ليعبدوا الله في معبد الكون . ليعبدوا الله في البراري والقفار .

[فرعون] : يا موسى : ما هذه الأكاذيب التي أتيت بها أنت واخوك

---

(١) الودج عرق في العنق وهما ودجان . ويعبر عنهما بأوداج .

(٢) كِبِرَ اسن وبابه طرب . وكَبُرَ عظم يكبرُ بعظم والكِبَر العظمة .

(٣) الحَنَقُ الغيظ . وقد حنق عليه من باب طرب فهو حَنِقٌ .

هارون تريدان أن تكون لكما العزة علينا ؟

[**قال موسى**] : يا ابا العباس : (إنَّا قد أوحيَ إلينا أن العذاب على من كذب وتولى) إنا قد أتينا من ربنا بالصدق . والسلام على من اتبع الهدى .

[**فرعون**] : (فمن ربكما يا موسى) ؟

[**قال موسى**] : (ربنا الذي أعطى كل شيء خَلقَه ثم هدى) من اراد به الخير الى طاعته .

[**فرعون**] : يا موسى : (فما بال القرون الأولى) من الأمم الخالية . والرمم البالية . فهل هم في شقاء أم هناء ؟

[**قال موسى**] : (علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى . الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً . وانزل من السماء ماء فاخرج به أزواجاً من نبات شتى . كلوا وارعوا أنعامكم . إن في ذلك لآيات لأولي النهى)[1] .

[**الراوي**] : (**فثار فرعون . واضطربت نفسه . ولج في غضبه . وزاد غيظه . وعجزت حجته . فعمد الى القوة والبطش والجبروت . فكرر التهديد والوعيد . فقال**) :

[**فرعون**] : يا موسى : ألَئِن اتخذت آلهاً غيري لأجعلنَّك من المسجونين) .

[**قال موسى**] : يا أبا العباس . (أوَلَو جئتك بشيء مبين) ؟ فقدمت لك آية ساطعة . وحجة دافعة . ومعجزة قاطعة . من رب العالمين تزيل عنك الريب والشكوك . وتكون مصداقاً بأنا مرسلان من رب العالمين .

[**فرعون**] : اذن فأْتِ بها إن كنت من الصادقين .

[**الراوي**] : كان موسى قوي الظهر . مسدد الخطا . يستمد العون والتوفيق من العليّ الأعلى . وكان السحر فناً ذاع في بني مصر أمره . واشتهر شأنه . فظهر منهم الساحر الذي يخلب العقول . ويسترق الفؤاد . ويلعب

---

(١) أو في النهي ارباب العقول .

بلب أولي الالباب . ومن هذه الناحية بالذات شاءت ارادة الله أن يعجز القوم . فأوحى الى موسى أن الق عصاك من يدك . فالقاها فإذا هي ثعبان مبين [1] كأضخم ما يكون من الحيات . واضطربت وارتفعت في السماء الى أعلى القصر . ثم انحطت وفغرت فاها . فوضعت فكها الأسفل في الأرض وفكها الأعلى فوق رأس فرعون وهجمت عليه لتبتلعه . فأحدث في ثيابه . ووثب عن سريره . وقال .

[**فرعون**] : يا موسى . . . يا موسى : بحق التربية . وبحق من أرسلك ألا أخذتها .

(فأخذها موسى بيده فعادت عصاً كما كانت. وظل فرعون يرتجف فؤاده فترة طويلة. وذل جبروته. ولكنه جمع شتات حلمه وقال) :

[**فرعون**] : وهل من غيرها يا موسى ؟

[**قال موسى**] : نعم يا ابا العباس . إن ربي قادر على كل شيء . انظر الى يدي ألست تراها كما كنت تراها فيما سلف ؟

[**فرعون**] : بلى ولكنها استوت وصارت يد كهل .

فادخل موسى يده في جيبه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء من غير برص تضيء ما بين السماء والأرض . فقال موسى) .

[**موسى**] : كيف رأيتها يا أبا العباس ؟

[**فرعون**] : رأيتها نوراً يكاد يغشى الأبصار . يا موسى : في غيبتك عنا لقد صرت من أبرع سحرة العالم .

[**قال موسى**] : كلا يا أبا العباس لست بساحر ولا كذاب . بل رسول من رب العالمين . فآمن بالله وارسل معي بني إسرائيل ليعبدوا رب السماوات والأرض في البراري والقفار .

(دهش فرعون وخاف وتحير . ولكنه كفكف فرقه وقال لمن حوله) .

[**فرعون**] : (إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون) . انقتله ونرتاح منه . أم نحبسه حتى يأتيه الموت .

---

(١) الثعبان : هو الحية الضخمة الذكر.

[**كبير الكهنة**] : يا مولانا : إن موسى لقد ذاع في الناس أمره . وانتشر صيته . فان قتلته أو حبسته دخل الزيغ قلوب الناس . ولكن أخره وأخاه وابعث في المدائن حاشرين[1] يأتون بكل سحار عليم . فتنقطع حجته على رؤوس الأشهاد ثم تفعل به ما تشاء

[**فرعون**] : أصبت يا رئيس الكهان (**ثم التفت الى موسى فقال**) .

[**فرعون**] : (أجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى . فلنأتينك بسحر مثله . فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سُوى[2] .

[**موسى**] : موعدكم يوم الزينة[3] وان يحشر الناس ضحى[4] .

[**قرآن كريم**] : ﴿ وقال موسى يا فرعون اني رسول من ربِّ العالمين * حقيق عليَّ أن لا أقول على الله الا الحقَ. قد جئتكم ببَيِّنَةٍ من ربكم . فأرسل معي بني اسرائيل * قال ان كنت جئت بآية فأتِ بها إن كنت من الصادقين * فالقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين * ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين * ﴾[5] .

القصيدة

ما في الوجود سواك رب يعبد ... كلا ولا مولى سواك فيقصدُ
يا من له عنَتِ[6] الوجوه باسرها ... ذلاً وكل الكائنات توحدُ
يا من تفرد بالبهاء وبالثنا ... في عزه وله البقاء السرمدُ
أنت الآله الواحد الفرد الذي ... كل القلوب له تُقِر وتشهدُ

---

(١) حاشرين جامعين للسحرة .
(٢) اي في مكان مستوٍ وهو الصحراء للمباراة بين موسى والسحرة .
(٣) يوم الزيتة كان للمصريين يوم عيد أكبر يجتمع فيه الناس . فاراد موسى العالم الذكي المؤيد من الله ان يغتنم اجتماع الناس لتبليغ رسالته .
(٤) أي في الصحوة الكبرى يتم اجتماع الناس . وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء والله أعلم .
(٥) الآيات ١٠٤ ـ ١٠٨ من سورة الأعراف.
(٦) عنت خشعت .

ا- لقة الحادية والثلاثون

المباراة الكبرى بين موسى وهارون عليهما السلام وسحرة فرعون

[**فرعون**] : يا هامان .

[**هامان**] : نعم يا مولاي آلَهَ الآلهة وربَّ الأرباب .

[**فرعون**] : أشار كبيرُ الكهنة بجمع كل سحَّارٍ عليم من انحاء المملكة المترامية الأطراف . الا فلْيُجمعوا . ولْيجتمع رئيس السحرة شمعون . ونائبه يوحنا . ولْيحضر الاجتماع كل كاهن . ولا يتأخَرَنَّ عنه أحد من الأقيال [1] والوجهاء . بل فليجتمع الشعبُ بأسره ليعلم أني أنا ربه الأعلى .

[**هامان**] : أمرك مطاع نافذ يا مولاي .

[الراوي] : (تكبر فرعون وتجبر . وعَجَرَ وبَجَرَ . وجدَّ هامان واجتهد . وجمع السحرة [2] من العريش والقيوم والغوصاء والاسكندرية . حتى إذا حضروا كان المشهد الآتي) :

---

(١) الاقبال رؤساء القبائل .

(٢) كان عدد السحرة أثنين وسبعين ساحراً . وقيل كانوا أكثر من ذلك بكثير . وكان جلهم من بني اسرائيل . وفيهم بعض الأقباط .

[**هامان**] : (**دخل على فرعون فقال**) : يا مولاي : انكَ جلالتك تعرف كل ما يحدث. فما من شيء تجهله. أحطت بكل شيء علماً. فانت إلّه المعرفة وميزان العدل السماوي [1] فلا يزعجك هذان الساحران. فقد جمعتُ لسحرهما كلَّ ساحر. ولمكرهما كلَّ ماكر. ولفجورهما كلَّ فاجر. وشيكاً وشيكاً يكونون في الاعتاب. فيلتمسون الرحاب.

[**فرعون**] : أحسنت صنعاً يا هامان. إنك وزير حقاً. ومعين صدقاً.

(**يدخل امين الأسرار فيسجد لفرعون ويقول**) :

[**أمين الاسرار**] : يا مولاي ربَّ الارباب [1] بالباب قافلة كبيرة من السحرة والكهنة. قد أقلوا الحبال والعصي على الجمال. يتقدمهم المعلمُ الكبير شمعون [2] ويأخذ بيده نائبه يوحنا. في ركب مدهش ما رأيت مثله قط.

[**فرعون**] : دعهم يدخلون. ولأعتابنا يلتمسون. ولجلالتنا يسجدون.

[**أمين الأسرار**] : أمرك يا مولاي :

[**الراوي**] : (**دخل السحرة على فرعون بذلة وخضوع وانحناء. وخرّوا له ساجدين. فكانت المحاورة الآتية**) :

[**فرعون**] : ارفعوا رؤوسكم. فقد أذن لكم بالجلوس. وليْتقدمْكم معلمُكم شمعون.

[**شمعون**] : مولانا رب الأرباب [1] عالي الجناب. ها نحن بين يديك. ولا نبخل بارواحنا عليك. فمرنا بأمرك لننتهين له ولو حال بيننا وبينه جمر الغضَا وشوك القتاد [3].

[**فرعون**] : إني ادَّخركم لعتمات الليالي. وحلوك الظلام. فقد أزعج جلالتنا ذاك الربيب موسى وأخوه هارون. كفراً بالنعمة. وتجرآ على

---

(١) اي كما يعتقدون أو يمالقون.

(٢) كان شمعون أعمى.

(٣) الغضا: شجر صلب يكون من أمثاله الضخم. والقتاد: شوك حاد في البادية.

الجلالة . لقد فعل موسى فعلته . فقتل فاتون . ثم توارى عن الانظار عدة سنين . ثم أتانا يدّعي أنه رسولُ رب العالمين . فيزعم أن للعالمين رباً غيرَ جلالتنا . وقد أتى بسحر عظيم . فجمعتكم لتكيلوا لَهُ الصاعَ صاعين . والكيل كيلين .

[**شمعون**] : أمرك يا مولاي . ما هو إلا أن يعلم بحشدنا وحبالنا وعِصِيّنا[1] حتى ينقسم انقسام الشجرة البالية من الريح العاتية .

[**فرعون**] : احكموا أمركم . وائتوا صفاً . وقد أفلح اليوم من استعلى .

[**شمعون**] : متى موعد المباراة يا مولاي ؟

[**فرعون**] : غداً يوم العيد . . يوم الزينة . . يوم وفاء النيل . وأمرت أن يحشر الناس ضُحي [2] .

[**شمعون**] : يا مولانا : علمنا أن موسى يستخدم لسحره عصاةً فيقلبها ثعباناً كالنخلة الباسقة فاحضرنا لمقابلته العصيَّ الضخمة . والحبال الجمة . وبذلنا النقود الطائلة . (إن لنا لأجراً ـ تُكرِمَنا به ـ إن كنا نحن الغالبين) [3] ؟

[**فرعون**] : نعم لكم الأجر والعطاء . والزلفىٰ والثناء . وإنكم لمن المقربين .

[**شمعون**] : (**التفت الى السحرة فقال**) : ابشروا يا معشر السحرة بالعطاء والثناء . والمنزلة الرفيعة عند صاحب الجلالة والسلطان .

[**السحرة**] : (**بأصوات جماعية**) نحن الغالبون . . نحن الغالبون . . بعزة فرعون نحن الغالبون . بعزة فرعون نحن الغالبون . . نحن رجالك يا فرعون . .

[**شمعون**] : يا معشر السحرة هَلُمَّ بنا الى قاعة تحتمس الثالث

---

(١) وكان معهم من الحبال والعصي عدة أحمال جمال.

(٢) في ضحوة النهار .

(٣) كان طلبهم هذا لأن جلهم من بني اسرائيل وكان فرعون وملأه يستخدمون بني اسرائيل عبيداً بدون أجر.

الكبرىٰ . فلْنخلص[1] نجيا . ولندبر أمرنا حتى نأتي غداً صفاً واحداً . وقد فاز من استعلى .

[**السحرة**] : أمرك مطاع يا معلمنا الأكبر .

[**الراوي**] : (**اجتمع السحرة بقاعة تحتمس الثالث الكبرى**[2] . **ليس معهم أحد غريب عنهم صبيحة يوم المباراة**) .

[**شمعون**] : هل معنا أحد غيرُ ساحر ؟ يا يوحنا [3]

[**يوحنا**] : كلا كلا يا ريس .

[**شمعون**] : يا معشر السحرة : إن موسى ليس معه معينٌ غيرَ اخيه هارون . ونحن جمع غفير . وحشد كبير . فان غلبْناه فليس لنا من فخر . وإن غلبنا فتلك الطاقة الكبرى . والهزيمة العظمىٰ فيجب أن نتأدب معه .

[**السحرة**] : صدقت يا ريس . . الادب ضروري وواجب .

[**يوحنا**] : يا معشر الزملاء سمعت أن موسى لما ألقى عصاه أمام فرعون فانقلبت تنيناً وفغر فاه وجعل فكه السفلي في قاع قصر فرعون وفكه العلوي في أعلى القصر . فعمل فرعون في ثيابه الكبرى والصغرىٰ (كر كر كر كر) . . وهذا لا يمكن أن يكون سحراً .

[**ساحر**] : إذن فما هو .

[**شمعون**] : أيها الأبناء أخشى أن يكون موسى صادقاً في دعواه إنه رسول رب العالمين ولا اكتمكم حديثاً إن للعالمين رباً غيرَ فرعون . وهو الله . وهو رب يوسفَ وابيه يعقوبَ (اسرائيل) وربُ ابراهيمَ واسحاقَ . ونحن نجاري فرعون مجاراةَ يقظٍ . فأرى إن غلبنا موسى وعلمنا أنه صادق أن نتبعه على دينه ولا نبالي بفرعون ومَلَئِهِ . ومهما كانت الظروف والعواقب .

[**يوحنا**] : صدقت يا ريس ولكن يجب أن، نكتم هذا . ونعلن الى الناس أن موسى وأخاه هارونَ ساحران .

---

(١) خلصوا نجيا : احكموا الأمر سراً .

(٢) تحتمس الثالث . هو لقب من ألقاب فرعون موسى . واسمه الوليد وكنيته أبو العباس .

(٣) يوحنا نائب الرئيس . كما تقدم .

[**شمعون**] : صدقت يا يوحنا . قوموا بنا يا رجال . فقد قارب وقت المباراة .

[**السحرة**] : أمرك يا ريس . . قوموا بنا . . انهضوا . . استعدوا . . شدوا المحازم . . قوّوا الاعصاب . .

[**الراوي**] : (**نادي منادي فرعونَ في قومه حاثاً لهم على الاسراع والبدار ليشهدوا ذلك الحفل العظيم ساعةَ الضحى من يوم الزينة يومِ وفاء النيل إذ كان ذلك من أعظم أعيادهم . فكأن منادياً جهوري الصوت ينادي فيقول**) .

[**المنادي**] : يا معشر الأقباط . يا معشر الأمراء . أيها العبيد والخدم . إن فرعون تحتمس الثالث يدعوكم لحشدٍ حاشدٍ . واجتماعٍ حافل . ومباراةٍ سحريةٍ عجيبةٍ غريبةٍ . فأجيبوا الدعوة ولبوا الطلب .

[**الشعب**] : أمر الإله مطاع . . أمر المليك على الرأس والعين . .

انتقال

[**هامان**] : انهض يا سنحوت [1] يا رئيس الرؤساء . لا تدع رئيساً ولا قهرماناً ولا موظفاً في معبد آمون الا أمرته بالحضور .

[**ستحوت**] : أمرك يا هامان . فقد أمرتني الملكة حَتَشْبَسُوتْ أن أدعو الجميع . فما أن بلغتهم الدعوة حتى هبوا جميعاً تلبية لأمر ربِّ الأرباب، وآله الآلهة [2] .

(موسيقى عسكرية تطغى على عجيج الناس)

[**الراوي**] : (**جاء الناس مدفوعين بالرجاء في نصرة الساحرين . وتأليه فرعون على العالمين . وأقبل السحرة مُدْلِين بعلمهم مزهوين بغرورهم . كيف لا . وهم فوارس الميدان . وجياد الرهان . ومناط الأمل . ومحط الرجاء . وأقبل موسى . ومعه أخوه . وهو يتكىء على عصاه . فتوجه الى فرعون وقال**) :

---

(١) كان سنحوت موظفاً في معبد آمون فجعلته الملكة حستشبسوت (وهي الملكة بعد وفاة سارة) .

(٢) أي كما يزعمون أو يمالقون .

[**قال موسى**] : عم صباحاً [1] يا ابا العباس .

[**فرعون**] : (**وقد اشرف على الحقل فنفخ الكبر في انفه**) يا صباحاه. اسمع يا موسى ألئن اتخذت آلهاً غيري لأَجْعَلَنَّك من المسجونين) .

[**قال موسى**] : (أَوَ لو جئتك بشيء مبين) قريباً قريباً يأت الحق على الباطل فيدفعه . وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان .

[**فرعون**] : (**وقد التفت الى السحرة**) : يا معاشر السحرة . ببلادي تربيتم . وعلى أرضي درجتم . وبخيري تنعمتم . فأئتوا صفاً وقد أفلح اليوم من استعلى . فستنعمون في خيري . وتسعدون بجواري وتنزلون موارد الرفاهية والترف والنعيم . فشدوا أزري . وقوّوا ظهري . فانا ربكم الأعلى .

[**السحرة**] : أمرك مطاع رب الأرباب [2] . . عشت عشت يا فرعون . . عشت عشت يا فرعون . .

[**شمعون**] : (**رئيس السحرة**) . يا موسى . إمّا أن تلقيَ . ما عندك من السحر . وإما أن نكون نحن أول من القى .

[**قال موسى**] : ويلكم إني لست بساحر . لا تفتروا على الله كذباً . ولا تختلقوا بهتاناً . فيسحقكم بعذابه . ويستأصلكم بهلاكه . وقد خاب من افترى . فأجمعوا أمركم . وأحكموا كيدكم . ثم القوا ما عندكم صفاً . فقد ظفر اليوم من كان على الحق . وعلا خصمه . وقد أفلح اليوم من استعلى .

[**شمعون**] : سوف ترى يا موسى . (**ثم التفت الى السحرة وكان أعمى**) .

[**شمعون**] : يا معاشر السحرة .

[**السحرة**] : لبيك لبيك يا ريس . .

[**شمعون**] : أجمعوا كيدكم . واسحروا حبالكم وعصيكم . ولا

---

(١) كان موسى وهارون عليهما السلام يخاطبان فرعون بألين خطاب يمكن لأن الله تعالى قال لهما : (فقولا له قولاً ليناً لعله يذكر أو يخشى)

(٢) أي كما يزعمون أو يمالقون.

تدخروا شيئاً من مكركم . فهذان ساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما . ولن تفلحوا إذن ابداً .

[**يوحنا** [1]] : امرك يا ريس : يا معاشر السحرة . . الى العمل الى العمل .

[**السحرة**] : (**باصوات جماعية**) الى العمل الى العمل . الى السحر الى السحر . . الى المكر الى المكر . الى الكيد الى المكر . . .

[**الراوي**] : (**فالقوا ما بأيديهم من حبال وعصيٍّ مسحورة . وسحروا أعين الناس واسترهبوهم . وجاؤوا بسحر عظيم . فاذا الحبال والعصي يخيل للناس انها انقلبت حيَّات وأفاعي وثعابين يركب بعضها على بعض وقد ملأت الوادي والنادي . فاختطفوا بسحرهم أبصار الناس . حتى بصر فرعون وهامان . وموسى وهارون . فكانت المشاهد الآتية :**

(**صفير الحيات . والأفاعي**) .

[**قال موسى**] : (**وقد أسرَّ الى هارون**) : ما هذا يا أخي يا هارون . إنها حيات كأمثال النخيل تسعى . ويركب بعضها على بعض . أخشى أن يتفرق الناس من الجزع قبل بيان الحق . . اللهم لا تخزنا يا رب العالمين .

[**هارون**] : لا تخف يا أخي . إن الله مؤيدنا وناصرنا . حسبنا الله ونعم الوكيل .

[**موسى وهارون**] : حسبنا الله ونعم الوكيل . . حسبنا الله ونعم الوكيل . . .

انتقال

[**فرعون**] : انظر انظر يا هامان . بعزتي وسطوتي نجحت السحرة ونجح رئيسهم شمعون .

[**هامان**] : مرحى مرحى . نجحت نجحت يا شمعون .

---

(١) نائب شمعون ومعاونه .

[**الشعب**] : (**يصفق**) نجحت نجحت يا شمعون . . عشت عشت يا شمعون .

انتقال

[**شمعون**] : كيف ترى المكيدة . هل نجحت يا يوحنا ؟

[**يوحنا**] : نعم يا ريس وقد انقلبت الحبال والعصيُّ حيّات كأمثال النخيل . وقد ملأت الوادي وارهبت النادي والبادي .

[**شمعون**] : كيف ترى شعور فرعون وملئِه وعوام الشعب يا يوحنا ؟

[**يوحنا**] : اسمع الهتاف والتصفيق يا ريس .

[**الشعب**] : (**يصفق**) نجحت نجحت يا شمعون . . نجحت نجحت يا شمعون . السحرة ابطال الميدان . السحرة فرسان الرهان .

[**شمعون**] : كيف ترى موسى واخاه يا يوحنا ؟

[**يوحنا**] : يا ريس دهش موسى وتحير وكأنه يميل الى الفرار . . لا لا بل أقبل على أخيه يناجيه . لا بد أنه فاعل شيئاً .

[**شمعون**] : (**صرخ**) : أين انت يا موسى . . ليس أمامك الا الفرار او الهلاك والعطب .

[**قال موسى**] : (**ما جئتم به السحرُ ان الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين** .

[**شمعون**] : راقب موسى يا يوحنا ماذا يفعل .

[**يوحنا**] : يا ريس رفع موسى يديه الى السماء . وهو يستغيث رب السماء .

[**الراوي**] : (**وتوجه موسى بقلبه الى الله تعالى وناجى وقال : اللهم يا عظيم العظماء يا رب الأرض والسماء اني تبرأت من حولي وقوتي واستعنت بحولك وقوتك يا قوي يا متين . واذا النداء من العلى :**

[**الوحي من السماء**] : (قلنا لا تخف إنك انت الأعلى . والق ما في يمينك (العصا) تلقف[1] ما صنعوا . إنما صنعوا كيدُ ساحر ولا يفلح

(١) تلقف: تبتلع بسرعة.

الساحر حيث أتى)[1] .

[**الراوي**] : (**هدأت نفس موسى . والقى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون . واذا السحرة يلمسون الحقيقة الرائعة . ويتبينون الرشد من الضلال . والحق من الباطل . فإذا هم يخرون ساجدين لله رب العالمين . توبة عما صنعوا ، وخشوعاً لهيبة الحق . واكباراً للآية العظمى .**

فكأني بهذا المشهد العظيم

[**شمعون**] : راقب يا يوحنا ماذا يفعل ؟

[**يوحنا**] : ويلاه : لقد هز موسى عصاه . فأحسست أن الأرض اهتزت من تحت قدمي . واهتزت الأفاعي والثعابين .

[**شمعون**] : (**يرتجف ويقول**) وانا والله يا يوحنا اهتزت الأرض من تحت أقدامي . راقب راقب يا يوحنا .

[**يوحنا**] : ويلاه ويلاه : لقد القى موسى عصاه فانقلبت ثعباناً كالجبل الأشم . . ويلاه ويلاه أقبل ثعبان موسى يتلقف كل حية وثعبان . ويلاه ويلاه لقد ابتلع الجميع وكأن شيئاً ما كان . (**صفير الثعبان**) .

[**موسى وهارون**] : (**يصرخان**) الله اكبر . . الله اكبر . . الله اكبر (قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً) .

[**شمعون**] : هل بان شيء من الجن[2] في بطن ثعبانِ موسى يا يوحنا ؟

[**يوحنا**] : كلا كلا انه على حالة . ويلاه لقد امسك موسى الثعبان من فكيه فعاد عصاة في يده كما كان .

[**شمعون**] : اذن فاين عصينا وحبالنا التي ناءت بحملها الجمال . اشهد بأن موسى نبي الله حقاً . ورسوله صدقاً . وإنّا لله من الساجدين . يا معشر الاصحاب سجوداً سجوداً لرب العالمين .

[**السحرة ويوحنا**] : ونحن معك من المؤمنين الساجدين لله رب العالمين رب موسى وهارون . الله اكبر . . الله اكبر . . الله اكبر . .

انتقال : إيمان بعض حاشية فرعون

---

(١) طه

[**حذقيل** [1]] : (**خلص نجيا مع ستحوت**[2]: كيف ترى يا ستحوت. فهل يمكن أن يكون موسى ساحراً أو كذاباً ؟

[**ستحوت**] : يا صديقي يا حذقيل . لا يمكن ان تكون عصى موسى إلا آية من آيات الله عز وجل . فليست بسحر . فلو كانت سحراً لعرفها السحرة . الا ترى أنهم خرّوا للّهِ ساجدين . ولموسى تابعين .

[**حذقيل**] : لا يمكن أن يكون موسى ساحراً ولا كذاباً . أشهد أن الله رب حقاً . وأن موسى رسوله صدقاً . ولكن .

[**ستحوت**] : ولكن ماذا . أنخشى من فرعون وملأه . اشهد أن لا اله إلا الله . واشهد أن موسى رسول الله . (**ثم قاما فتعانقا**) .

[**حذقيل**] : لا اكتمك حديثاً يا أخي يا ستحوت إن ابن عمي فرعون قد أغدق علي النعم . ولا يصدق الا عن رأيي . حتى انه قدمني على هامان . فأرى ان نثبت على الايمان ونكتمه .

[**ستحوت**]: حسناً رأيت يا حذقيل . وان حتشبسوت قد وضعت يدي على سائر ما تملك . وانها قد شغفت بي حبا . وجعلتني أمير الأمراء . ومن كبار موظفي القصر . بعد أن كنت موظفاً صغيراً في معبد آمون . فلا استطيع اباحة سر ايماني .

[**حذقيل**] : حسناً . حسناً . . هذا بيني . وبينك . لا نبيح هذا السر الا بالوقت المناسب والله على ما نقول وكيل .

(**انتقال**)

[**الراوي**] : (**وهكذا آمن جل بني إسرائيل . وهجروا عبادة آمون** [3] **والعجل . وابن آوى والثعبان وما كان يعبد المصريون . وذلك لما**

---

(١) هو حذقيل بن صبوراء بن عم فرعون . وهو الذي صنع التابوت لموسى .

(٢) ستحوت : كان ستحوت موظفاً صغيراً في معبد آمون . فجعلته الملكة حتشبسوت عظيماً من عظماء القصر لما يحمل من جمال .

(٣) آمون هو الصنم الكبير الذي كان يعبده فرعون . كان هامان يدخل تحت ستار الصنم آمون ويوهم أن آمون يخاطب ابنه الإله الملكي فرعون (تحتمس الثالث) : اتيت فمنحتك نهاية =

خر السحرة ساجدين . والناس ينظرون . وهنا ثار فرعون . . وزاد في ثورته أن موسى هزمه على رؤس الأشهاد. وعلى مرأى من الناس. وان السحرة سجدوا لله والناس ينظرون . فما عساه ان يصنع وزمام الشعب يكاد ان يفلتَ من يده . فهل يبطش بموسى ؟ فالأمر أبعد من ان يُنال. وعصاة موسى في يده . فالتفت الى السحرة وقال) .

[**فرعون**] : (آمنتم له قبل أن آذن لكم . انه لكبيركم الذي علمكم السحر . فلأقطعن ايديكم وأرجلكم من خلاف [1] ولأصلبنكم في جذوع النخل [2] . ولتعلمن أيُّنا اشد عذاباً وابقى) .

[**شمعون**] : يا فرعون : والذي نفس شمعون بيده . ما إن القى موسى عصاه من يده حتى رأيت الجنة وانا أعمى . قد فتحت ابوابها . ومنادي الله يناديا : أن اقبلوا الى جنة عرضها كعرض السماوات والأرض يا فرعون : لم نؤثرك على ما جاءنا من البينات . والذي فطرنا . فاقض ما انت قاض . إنما تقضي هذه الحياة الدنيا . إنّا آمنا بربنا . ليغفر لنا خطايانا . وما اكرهنا عليه من السحر والله خير وابقى .

[**يوحنا**] : نعم يا فرعون : لقد ظهرت لنا الآية العظمى . التي لا يمكن أن تكون الا من رب العالمين . رب السماوات والأرض . فلن نختارك على ما جاءنا من نور ساطع . وحق قاطع . فأوغل في وعيدك . واكثر من تهديدك. فما أنت إلا غويّ مضل مبين. إنا الى ربنا منقلبون. وما تنتقِم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا . ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين .

[**السحرة**] : ربنا افرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين . ربنا افرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين . .

[**قرآن كريم**]: ﴿وجاء السحرةُ فرعونَ. إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وانكم لمن المقربين * قالوا يا موسى إما ان تُلقِيَ

= العالم لتركلها بأقدامك. ودائرة المحيط جعلتها في قبضة يمينك . اتيت فمنحنك اولئك الذين يتقربون من حدودك لتدكهم باقدامك .

(١) أي اليد اليمنى والرجل اليسرى وقد نفذ كثيراً من وعيده .

(٢) اي على جذوع النخل فان (في وعلى) تتبادلان .

واما أن نكونَ نحن الملقين * قال القوا. فلما القوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم * واوحينا الى موسى أن الق عصاك . فاذا هي تلقف ما يأفكون * فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون * فَغُلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين * والقي السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون *) [1] .

القصيدة

هو الحي والقيوم جل جلاله ... فعظيم عِظَمَ الكبرياء رداهُ
اغنى واقنى واستنار بنوره ... كل الوجود وأرضه وسماهُ
فالأرض مشرقة بنور جماله ... والفضل منفطر بهدي هداهُ
الله الله العظيم يمدنا ... بقوى تبلغنا المرادَ اللهُ

(١) الآيات ١١٣ ـ ١٢٢ من سورة الأعراف.

الحلقة الثانية والثلاثون

فرعون وانهيار صرحه
والمؤامرة على قتل موسى - ومؤمن آل فرعون

اجتماع حافل . وحشد عظيم

[**الراوي**] : (غلت مراجل الحقد والضغينة في صدر فرعون . واحتدم غيظه لتلك المفاجأة الغريبة التي لم تكن بالحسبان . ورآى بأم عينه الضرر الخطير . والشر المستطير . الذي يقِضُّ مَضْجَعَه . ويهدد سلطانه . ويقضي على ملكه . فأراد أن يستجهل القوم حتى لا يختلج في نفوسهم نزوله عن عرش الربوبية . بأن يدخل في روعهم أنه من القدرة بحيث ينازل كل إله ولو كان في السماء . فاستخف قومه فاطاعوه . وربما صدقوه . فكأني به في المحاورة الآتية) :

[**فرعون**] : يا موسى . يا ربيب الأمس ونبي اليوم (لئن لم تنته لأجعلنك من المسجونين) لقد مزقت الشعب شَذَرَ مَذَرٍ . فابق على نفسك والا نازلتك وإلهك ولو كان في السماء .

[**قال موسى**] : يا أبا العباس[1] إني لا أنسى يداً لك علي . فإني

---

(١) هكذا كان يخاطبه بكنيته تلطفاً به . وامتثالاً لأمر الله عز وجل القائل (فقولا له قولاً ليناً . .)

أخلص النصيحة . فادعوك إلى الايمان بالله تعالى الذي في السماء عرشه . وفي الكائنات حكمه . غَلَبَتْ قدرته . ونَفَذَتْ إرادته . فابق على نفسك وجندك وشعبك . فالمقهور من غَالَبَ القهار .

[**فرعون**] : (صرخ) يا موسى أتهددني على رؤوس الأشهاد . وتتوعدني بألهك (والتفت الى القوم) .

[**فرعون**] : يا أيها القوم . . يا أيها القوم (فأعلمت لكم من إله غيري) . فانا ربكم الأعلى .

[**الشعب**] : (يضج ويعج) سمعنا وأطعنا . . سمعنا وأطعنا . . أنت رب الأرباب . . أنت ربنا الأعلى . .[1]

[**فرعون**] : يا قومي : أليس لي ملك مصر . وهذه الأنهار تجري من تحتي . وسلطاني نافذ على الكائنات . وقضائي مبرم . وخاطبني آمون[2] فقال: أتيت فمنحتك نهاية العالم لتركلها باقدامك. ودائرة المحيط جعلتها في قبضة يمينك (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين . ولا يكاد يبين)[3].

[**هامان**] : أنت خير منه ومن كل انسان على وجه الأرض .

[**فرعون**]: يا قوم: أليس من العار أن يتهددني ربيب لي. تربى في بيتي ليكون لي عدواً وحزنا . ويتخذ إلهاً غيري . فإني أعلن الحرب مدوية على موسى وإله موسى[3] . (والتفت الى هامان)

[**فرعون**] : (فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعليّ أطلع الى إله موسى) فارميه بحربة لا تخطئه[4]. وأصفّي الحساب بيني وبينه . هذا إذا كان لموسى إله. وإني لأظنه كاذباً . وليتفرق الجمع . الى جولة ثانية . بيني وبين إله موسى[4].

---

(١) فاستخف قومه فاطاعوه

(٢) آمون هو معبود فرعون وهو صنم كبير كان يستمد منه الربوبية . وكان هامان جلس تحت ستار آمون وخاطب فرعون بهذا الكلام

(٣) سورة الزخرف آية ٥٢ .

(٤) وهنا اعترف فرعون بأن لموسى إله غير فرعون مما حمل الكثير من بني اسرائيل وغيرهم على الايمان .

« بناء الصرح »

[**هامان**] : (صرخ) : يا معاشر العمال . . يا معاشر العبيد والخدم . . الى العمل الى العمل . الى ضرب الطوب وشَيِّ الآجر والجص . لتنفيذ أمر آلهنا فرعون تحتمس الثالث الأعلى .

[**العمال**] : أمر الإله مطاع . . إلى العمل الى العمل . . الى العمل الى الطوب . يا موسى أنت المغلوب . يا موسى أنت المغلوب . .

« إنتقال »

[**ستحوت**][1] : يا حزقيل . يا حزقيل .

[**حزقيل**] : نعم يا سنحوت . حدثنا . وحمضنا من موالحك[2] .

[**ستحوت**] : الا ترى الى حماقة فرعون . أعلن أنه لا إلّه غيره . ثم أمر ببناء صرح ليحارب إله موسى . فما هذا التناقض والحماقة .

[**حزقيل**] : كلا كلا يا ستحوت. فرعون ليس بأحمق . ولكنه داهية عظيم . وهو يستخف قومه ويوهمهم أنه على كل شيء قدير . وأنه يظن أن موسى كاذباً . ولو فرض أنه صادق فان إلٰهه لا يقوى على الصمود أمام فرعون . أما سمعت يا ستحوت ماذا قال فرعون بالأمس يلعب بعقول الناس .

[**ستحوت**] : وماذا قال يا حزقيل ؟

[**حزقيل**] : بالأمس كنا باجتماع حافل لم تشهده أنت . قال لفرعون بعض رجاله (أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك) فلا يعبدوكما ؟

[**ستحوت**] : فماذا أجاب ؟

[**حزقيل**] : أجاب باعجب جواب موهماً أن قدرته لا تقف عند حد

---

(١) ستحوت كما تقدم كان موظفاً صغيراً في معبد آمون . ولكنه أوتي مسحة من جمال فجعلته الملكة حتشبسوت أمير أمراء القصر . وحذقيل هو ابن عم فرعون وهو مؤمن آل فرعون . الذي سيكون له دور بارز .

(٢) يقال حمضونا من موالحكم أي فكهونا بحديثكم الجذاب .

فقال (لولا خوفي من عطش قومي لشربت النيل حتى يموت موسى واتباعه عطشاً .

[**ستحوت**] : (كر كر كر) فما أجابه القوم يا حزقيل ؟

[**حزقيل**] : كان القوم ما بينْ مصدق ومنافق . فقاموا يرجونه أن لا يشرب النيل فهم في حاجة له . لشربهم ومواشيهم وزروعهم . وملاحتهم النهرية .

[**سنحوت وحزقيل**] : (كر كر كر) ما أجهل القوم وما أخفهم !!

[**الراوي**] : (**حشد هامان لبناء الصرح الآلاف من العمال والفعلة والمهندسين والبنائين . وطبخ الآجر والجص . ونجر الخشب وضرب المسامير . وأمر ببناء الصرح فبنوه ورفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بناء أحد من الخلق في ذلك الزمن فكأن الأمور جرت على ما يلي**) :

[**فرعون**] : هل تم بناء الصرح يا هامان ؟

[**هامان**] : نعم يا مولاي . لقد تم بناء صرح لم يبلغه بناء أحد من العالمين . متانة وعلواً وارتفاعاً .

تجبُّر فرعون

[**فرعون**] : شكراً شكراً يا هامان . إذن سيروا بنا أبارِز إلٰه موسى نفسي .

[**هامان**] : يا مولاي : إن رأيتم نكفيك شر المبارزة . أخشى أن يكون موسى صادقاً . فيلحقك ضرر من مبارزة إلٰهه .

[**فرعون**] : يا هامان . إني لأظن موسى كاذباً . ولكن لا بد من مبارزة إلٰهه ولو كان صادقاً . ما هو إلا أن يعلم بصعودي على الصرح حتى ينقسم انقسام الشجرة البالية من الريح العاتية . هَـلُمَّ بنا الى الصرح[1] .

(موسيقى عسكرية حتى وصول فرعون الى الصرح)

[**فرعون**] : إنه لصرح شاهق يا هامان . لا شلت يداك . ولا

---

(١) وهنا ايضاً يقر بإلٰه موسى ولكنه يعاند .

شـمَتَ بك أعداك . ولا عاش من يشناك[1]

[**هامان**] : يا مولاي لقد حشدت له خمسين الف بناء سوى الاتباع والأجراء . حتى يليق بجلالة رب الأرباب .

[**فرعون**] : لقد احسنت صنعاً . أقبِل إليَّ يا هامان أناجيك . (ثم التفت الى القوم وقال) تنحوا إن أردتم .

[**فرعون**] : إسمع يا هامان : إحضر لي قيداً من حديد واحشد لي مائة بطل صنديد . وليصعدوا معي الصرح لنقبض على إلّه موسى ونقيده بالحديد والأغلال .

[**هامان**] : على هامان يا فرعون : إنك لعود من خشب . القاه موسى من يده خشبة . وعاد اليها خشبة كما كان عملت في ثيابك الصغرى والكبرى . فكيف تقوى على إلّه موسى ؟ (كر كر كر) .

[**فرعون**] : (استر يا هامان) أنت وزيري وخليفتي من بعدي . فاحضر لي الرجال والقيد . والقوس والنشاب والسهام . واصعد بنا الصرح بأبهة وعظمة وايهام حتى لا يفلت من يدنا الزمام.

[**هامان**] : أمرك مطاع . رب الأرباب . (والتفت الى الشعب)

[**هامان**] : يا معاشر الأبطال والشجعان . إلي مائة بطل صنديد . يصارعون الحديد . لنقبض على إله موسى ونقيده بهذا الحديد .

[**الأبطال**] : حاضر . . حاضر . . حاضر . .

الراوي] : (وهكذا تجمعت الأبطال والشجعان والأقيال . وأمراء القصر . وأمين الأسرار وصعدوا الصرح . وقد حلق فوقه سباع الطير . فصرخ فرعون)

[**فرعون**] : يا هامان : إن إله موسى استنجد بسباع الطير لتحميَه من قوتي وبأسي . فآتني القوس والنشاب والسهام . وخل بيني وبينه .

[**هامان**] : هذا القوس . وهذه السهام فدونك وإياه .

[**الراوي**] : **(أخذ فرعون قوسه ورمى بسهم في الفضاءفأصابت**

---

(١) يبغضك .

السهم طيراً وعادت ملطخة بالدم . فصرخ فرعون) .

[فرعون] : مرحى . . مرحى . . لقد قتلت إلّه موسى . . لقد قتلت إلّـه موسى .

إنهيار الصرح

[هامان] : انزل بنا يا فرعون : إني شعرت بزلزلة هرت أركـان الصرح .

[فرعون] : وأنا أيضاً شعرت بذلك . . ويلاه ويلاه . خذ بيدي يا هامان الأرض تتزلزل . والصرح ينهار . لقد نفذ فينا سحر موسى .

[الراوي] : **(وصرخ فرعون وهامان والاتباع . . الصرح ينهـار الصرح ينهار . ونزلوا مسرعين يولولون ويدوس بعضهم على بعض . فما أن وصل فرعون وهامان وبعض الاتباع إلى الأرض حتى انهار الصـرح على العمال والفعلة والمهندسين وبعض رجال القصر . ونجى فرعون وهامان لمصيرهما الآتي المحتوم)**

[فرعون] : نجونا نجونا يا هامان . ألا ترى أن الصرح تأخر انهياره من هيبتي حتى أنزل ؟

[هامان] : على هامان يا فرعون . أخشى أن تكـون الأرض قد تزلزلت بالصرح فانهار لفرعنتك وتمردك كر كر كر .

[فرعون] : كم أنت تحب الهزل يا هامان ولو في مواطن الجد .

هامان] : الأمر جد وما هو بالهزل يا فرعون . فقد قضى الصرح على أمهر البنائين . وأحذق المهندسين وخبرة العمال والرجال .

«المؤامرة لقتل موسى عليه السلام »

الراوي] : **(ظل موسى وهارون يدعوان الى الله تعالى ليلاً ونهاراً سراً وعلانية . غير هائبين سطوة فرعـون الجبار العنيـد . رغم التهديـد والوعيد . فآمن لهما شباب من بني اسرائيل على خوف من فرعون واشراف قومه . وناضل فرعون وعانَدَ في سبيل عزته الشامخة . وثروته الطائلة . وظاهره الملأ من قومه فدعى الوجهاء والأمراء والأقيال والكهنة ليناضل حتى**

يَدْحَر ذلك الخارج على سلطانه . وإذ بموسى وهارون يدخلان دون دعوة مُتَحَدّين سطوة الجبار)

[**فرعون**] : يا قوم إني دعوتكم لنتذاكر في هذا الربيب الخارج على سلطاني ، المتحدي الوهيتي بآلهه .

[**موسى**] : (دخل فقال) السلام على من اتبع الهدى ، وخشي الردى .

[**فرعون**] : من دعاك للحضور يا موسى ؟

[**قال موسى**] : أمرني بالحضور رب العالمين .

[**فرعون**] : وما تريد ؟

[**قال موسى**] : يا أبا العباس جئتك وقومك بأمرين اثنين . أن تؤمنوا برب العالمين وحده لا شريك له وتتركوا عبادة البشر والحجر والحيوان والبقر . وأن ترسل معي بني اسرائيل يعبدون الله تعالى في محراب الكون فان توليت فان عليك اثم أتباعك وشعبك . والله من ورائكم محيط .

[**فرعون**] : يا قوم ذروني اقتل موسى وليدع ربه . إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد . ألا تسمعون . يريد أن يبيد دينكم ويأخذ عبيدكم .

« التفت الى موسى فقال »

[**فرعون**] : يا موسى إذا تركت لك عبيدي فمن يحرث أرضي . ومن يسقِ زرعي ، ومن يصنع اللبن للبناء . لا لا يا ساحر لن اطلق لك عبيدي فادع ربك ليخلصهم من يدي .

[**قال موسى**] : سوف يخلصهم من يدك رب العالمين . وإنا لله لاجئون .

المؤامرة لقتل موسى ـ مؤمن آل فرعون

[**فرعون**] : يا موسى : وما رب العالمين ؟ الذي تدعونا اليه .

[**قال موسى**] : هو الله رب السماوات والأرض وما بينهما . خالق كل شيء ومبدعه .

[**فرعون**] : (والتفت إلى مَن حوله من الأشراف) : ألا تسمعون : ما يقول هذا الساحر ؟

[**قال موسى**] : نعم : هو ربكم ورب آبائكم الأولين .

[**فرعون**] : إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون .

[**قال موسى**] : بل يا فرعون : الذي ارسلني رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون .

[**هارون**] : يا فرعون : إنّا قد أُوحي إلينا أن العذاب سيقع لا محالة ـ على من كذب وتولّى .

[**هامان**] : يا أيها القوم : إني أخاف عليكم ثورة العبيد . فموسى وهارون يفتنان بدعوتهما الفقراء والمستضعفين . والناس يلتفون حولهما . ويعجبون بسحرهما .

[**هامان**] : (والتفت إلى فرعون) : يا أيها الملك الإلّه الغالب : أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك : فلا يعبدكما . فلن تفلح اذن ابداً .

[**فرعون**] : أما قوم موسى . سنقتل ابناءهم[1] . ونستحيي نساءهم . وإنا فوقهم قاهرون . يا هامان مر الذباحين فليذبحوا كل طفل يولد لبني إسرائيل .

[**هامان**] : أمرك يا مولاي .

[**فرعون**] : وأما موسى . فذروني أقتله . . ذروني أقتله . . ذروني أقتله . وليستنجد بربه . إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد .

[**قال موسى**] : (إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) : سر بنا يا هارون : إن القوم لن يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم .

[**الراوي**] : (**خرج موسى وهارون من الاجتماع . وهو في أوجه**

---

(١) كان قد رفع ذبح الأولاد من بني اسرائيل بعد ولادة موسى وتربيته في حجر فرعون . ثم اعيد الذبح هنا .

والملأ يتآمرون . ولقتل موسى يميلون)

[**فرعون**] : يا قوم : إني قررت أن أقتل موسى فماذا ترتؤون ؟

[**هامان**] : يجب أن يقتل فهذا أقرب طريق أمامنا . وأدنى السبل لبقاء سطوة إلهنا المفدى . فقد اعيتنا الحيل . وسدت أمامنا منافذ الخلاص . من هذا الخارج على سلطاننا .

[**الأمراء**] : اقتلوه . . اقتلوه . . اقتلوه . .

[**حزقيل**] :[٢] : يا قوم : اتقتلون رجلاً أن يقول ربيَ الله . وقد جاءكم بالبينات من ربكم . فهذه العصا الآلهية التي غلب بها كل ساحر كذاب . وهذه يده التي فاقت كل نور . (دهش فرعون وسكت وتكلم هامان)

[**هامان**] : يا حزقيل : إن موسى سحار كذاب .

[**حزقيل**] : يا هامان : إن يك (موسى) كاذباً فعليه كذبه ـ ولا يلحقكم منه ضرر ـ وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم . إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب . فدعوا الرجل يدعو الى الله تعالى . وإن دعوته ستنتصر .

[**فرعون**] : أأنت مؤمن بموسى ورب موسى يا حزقيل ؟

[**حزقيل**] : نعم : لما سمعت الهدى . ورأيت البيِّنات آمنت برب الأرض والسماوات : يا قوم اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد . يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع . وإن الآخرة هي دار القرار . من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها . ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب .

[**هامان**] : اسكت اسكت يا حزقيل . وإلا سيغضب عليك الرب آمون رب السماء ويغضب عليك مُنَفِّذُ حكمه في الأرض فرعون المليك الإله .

[**فرعون**] : ما هذا يا ابن العم لو قالها غيرك لأنزلت عليه العذاب الأليم . عُد إلى دينك قبل فوات الأوان .

---

(١) هو مؤمن آل فرعون وهو صانع التابوت لموسى . وكتم ايمانه الى هذه اللحظة . وهنا اعلن ايمانه . ووقاه الله الشر فلم ينالوه بسوء . . وهو ابن عم فرعون .

[**حذقيل**] : يا قوم : ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعوني الى النار . تدعوني لأكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وأنا ادعوكم الى العزيز الغفار. لاجرم[1] أن ما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة. وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار . فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله . إن الله بصير بالعباد .

[**ستحوت**] : يا قوم : إن حذقيل معه وجهه نظر . وهو حر في رأيه . فدعوه وما يعتقد .

[**هامان**] : بل يا ستحوت يكون بذلك قد شق عصا الطاعة . وفرق الجماعة . وإن العواقب وخيمة .

[**حذقيل**] : يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب . مثل دَأبِ قوم نوح وعاد وثمود . والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد . ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد[2] ، يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم . ومن يضلل الله فما له من هاد .

كفى كفى يا حذقيل : تَرَكنا موسى وهارون وأخلفتهما أنت . إن كان هنالك إله في السماء فقد أرسل يوسف من قبلُ وله على مصر اليد البيضاء . ولن يبعث إلـه السماء رسولاً من بعده .

[**حذقيل**] : يا هامان . لقد جاءكم يوسف من قبلُ بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً . بلى بلى : قد بعث الله من بعد يوسف موسى رسولاً بالآيات البينات فمن كذبه فعاقبته الهلاك والعطب . وافوض أمري إلى الله . إن الله بصير بالعباد .

[**فرعون**] : كفى كفي يا حذقيل . فقد غضب عليك الرب آمون . كما غضب عليك الرب الأعلى فرعون .

[**حذقيل**] : يا فرعون : لا رب إلا الله . فستذكرون ما أقول لكم . وأفوض أمري الى الله إن الله بصير بالعباد .

[**قرآن كريم**] : ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه

---

(١) لا جرم : حقاً

(٢) يوم التناد: يوم القيامة .

اتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله . وقد جاءكم بالبينات من ربكم . وإن يك كاذباً فعليه كَذِبُه . وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب * يا قوم لكم الملكُ اليوم ظاهرين في الأرض . فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا * قال فرعون ما أُريكُم إلا ما أرى وما اهديكم إلا سبيل الرشاد * وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب * مثل دَأْبِ قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم . وما الله يريد ظلماً للعباد *[1]

قصيدة

إليك إلـه الخلق أرفع رغبتي ... وإن كنتُ يا ذا المنّ والجود مجرما
وما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منة وتكرما
ولولاك ما يقوى بابليس عابد ... وكيف وقد أغوى صفيك آدما
فجرُمي عظيم من قديم وحادث ... وعفوك يا ذا العفو أعلى وأجسما

(١) الآيات ٢٨ ـ ٣٠ من سورة المؤمن (غافر).

الحلقة الثالثة والثلاثون

عودة البلاء على بني اسرائيل . وابتلاء قوم فرعون بالقحط والطوفان والجراد والقمل والـضفادع والدم (الآيات البينات)

عودة البلاء على بني إسرائيل

[الراوي] : (استمر موسى عليه السلام في دعوته . لا يثنيه وعيد . ولا يخيفه تهديد . يدعو فرعون الى الأيمان بربه . والرُجعى إلى خالق الأرض والسماوات . وأن يطلق معه بني اسرائيل . ولكن هذا كان شديداً كل الشدة على ذلك الطاغية الجبار . فاشتط في غوايته . وظل في جهالته . وأمعن [1] في تنكيله ببني إسرائيل . فكأن الأحداث تسير على هذا المنوال .

[فرعون] : (صفق وقال) : من بالباب .

[أمين الاسرار] : (دخل) : عبدك أمين الأسرار .

[فرعون] : يا أمين . عليّ بهامان . وليأتني وحيداً .

[أمين الاسرار] : أمرك يا مولاي .

[هامان] : (دخل على فرعون وقال) عم صباحاً يا فرعون .

[فرعون] : يا صباحاه . متى كنت تخاطبني باسمي يا هامان .

---

(١) امعن تباعد . وامعن الفَرَسُ تباعد في عدوه .

[**هامان**] : لما تخاذلت أمام ابن عمك حذقيل . لما دافع عن قتل موسى .

[**فرعون**] : انا لم أتخاذل أمام حذقيل . وما شأن حذقيل .

[**هامان**] : إذن لماذا لم تقتل موسى وتريح الشعب منه .

[**فرعون**] : ما هذا القول يا هامان ؟ وليس عنك سر مكتوم . وهل أستطيع أن اقتل موسى وعصاه في يده . وقد مُلِئْتُ منه رعباً . فبعزة آمون [1] ما إن أرى موسى حتى أبول رعباً كما يبول الحمار عند رؤية الأسد .

[**هامان وفرعون**] : (كركر كر كر) .

[**هامان**] : اذن ما معنى قولك ذروني اقتل موسى وليدع ربه .

[**فرعون**] : دعنا يا هامان . لو لم اكن بين اظهركم لما تجرأت على القول . لذلك اكتفي بذبح مواليد بني اسرائيل . ونذر البنات في القصور محظيات . فهل استحر الذبح في ابناء بني اسرائيل يا هامان ؟

[**هامان**] : نعم : لقد نفذت أوامرك فور صدورها .

[**فرعون**] : احسنت صنعاً يا هامان .

[**الراوي**] : (**واستحر الذبح ثانية في ابناء بني اسرائيل . وانبرى فرعون واعوانه يذيقونهم انواع المذلة . وصنوف الهوان . وضروب الظلم . والوان العذاب . فضجوا لاجئين الى موسى**) .

[**السامري** [2]] : يا موسى : أوذينا من قبل أن تأتينا . ومن بعد ما جئتنا . فكانت ابناؤنا تذبح . واموالنا تنهب وأعراضنا تسلب . وقد رفع عنا هذا الحيف مدة من الزمن ثم جاءنا بمجيئك .

[**قال موسى**] : (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) (يا قوم استعينوا بالله واصبروا . إن الأرض

---

(١) هو منافق من بني اسرائيل . يظهر الايمان ويبطن الكفر . وهو السبب في مقتل القبطي فانون . طباخ فرعون الذي قتله موسى خطأ كما تقدم . ويكون للسامري أعظم دور في عبادة بني اسرائيل للعجل .

(٢) آمون : هو إله فرعون . الذي يستمد منه الالوهية .

لله . يورثها من يشاء من عباده . والعاقبة للمتقين) .

(يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) .

[**كوثر** [1]] : يا نبي الله لقد اقتحم الذباحون داري . وانتزعوا ولدي من حجري . وذبحوه ذبح النعاج .

[**ليا** [1]] : وانا يا نبي الله لقد اتاني الذباحون فجأة . وسلبوا متاعي وذبحوا ولدي .

[**زلخا**[1]]: وانا والله يا نبي الله قد أقبل على زبانية فرعون فذبحوا ولدي وسلبوا القرط من أذني .

[**قال موسى**] : أرفع يديك يا هارون وأمن على دعائي (ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا . ربنا ليضلوا عن سبيلك . ربنا اطمس على أموالهم .

[**هارون**] : آمين .

[**موسى**] : واشدد على قلوبهم [2] .

[**هارون**] : آمين .

[**موسى**] : فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم .

(وإذا الوحي من السماء)

[**قال الله تعالى**] : ﴿ قال قد اجبت دعوتكما فاستقيما [3] . ولا تَتَّبِعَان سبيل الذين لا يعلمون ﴾

[**الراوي**] : **(لم يبق في قوس الصبر موضع . ولا لحجة المبين موقع . بعد أن عتا فرعون عتواً كبيراً . وسد مسالك القول ببهتانه . وانكر الشمس في وضح النهار . بل قد استمر يذيق بني اسرائيل انواع المذلة وصنوف الهوان . فاستنجد نبي الله موسى عليه السلام بالجبار الذي لا يذل . بالقهار الذي لا يقهر . فأخذ الله آل فرعون بالجدب [4] ونقص من**

---

(١) امرأة من نساء بني اسرائيل .

(٢) يعني اقفلها فلا يدخلها خير . وهذا لما قنط من ايمانهم .

(٣) استقيما: أي ثابرا على دعوتكما.

(٤) الجدب: القحط.

الثمرات والطوفان . والجراد والقمَّل [1] . والضفادع والدم آيات بينات . فكأن الآيات تسير على هذا المنوال)

« الجدب »

[فرعون] : يـا هامـان ويا ستحـوت [1] . شغل بـالي . وأقَضَّ مضجعي الجدب والقحط . وقلة الخير . لقد جرت عـادة النيل ان يفي بوعده . ويجود برفده في مثل هذه الأيام . ولكنه اليوم نضب حتى بان أسه . وقد هلكت الزرع والمواشي عطشاً . فما الحيلة ؟

[هامان] : هذا نحس موسى والذين معه وشؤمهم . فالطيرة [2] جاءتنا بجوارهم .

[ستحوت] : كلا يا هامان . ما أظن إلا أن موسى مجاب الدعوة عند رب السماء . فربما طلب لنا البلاء فاجيبت دعوته . فأرى أن تذهب اليه يا هامان فتطلب منه الدعاء بالغيب ورفع القحط لعله يفعل .

الآيات البينات

[فرعون] : حسناً حسناً رأيت يا ستحوت [3] . اذهب اليه يا هامان نمتحن صدقه . فان أغثنا وفاض النيل لنؤمِنَنَّ به ولترسلنَّ معه بني اسرائيل .

انتقال . ذهب هامان الى موسى

[هامان] : يا موسى . أقحل الوادي . وأجدب العيال . فامسكت السماء ماءها . ونضب النيل حتى بان أسه فادع لنا ربك بما عهد عندك . من إجابة دعوتك . لئن كشف عنا هذا البلاء لنؤمننَّ لك ولنُرسِلَنَّ معك بني اسرائيل .

[قال موسى] : هذا عهد بيني وبينكم . والله على ما نقول وكيل .

[هامان] : نعم يا موسى .

---

(١) هامان : هو وزير فرعون . وسنحوت رئيس امراء القصر كما تقدم وهو مؤمن إيمانه .

(٢) الطيرة الشؤم مأخوذة من زجر الطير فان طار يميناً فخير عندهم وإن شمالاً فشر . فابطل ذلك الاسلام .

(٣) سنحوت هو مؤمن يكتم إيمانه كما تقدم .

[**قال موسى**] : اللهم ارفع عن آل فرعون الجدب . لعلهم يؤمنون . يا رب العالمين .

[**الراوي**] : (**فنزل الغيث وفاض النيل . فشربوا وسقوا وزرعوا وعاشوا حيناً من الدهر في رخاء . ولكنهم نكثوا بالعهود . واخلفوا الوعود . فارسل الله عليهم الطوفان . فكأن الأمور تسير على ما يلي**) .

[**فرعون**] : الا ترى يا هامان لما اقفلت السماء ابوابها ونضب النيل كيف أمرت السماء أن تمطر فامطرت . وكيف امر النيل أن يفيض فافاض ؟ وكيف أمرت الأرض فجادت بخيرها المعتاد ؟

[**هامان**] : صدقت . يا فرعون : إن الكائنات طوع ارادتك .

(**صوت الرعود . ولمعان البرق . وصوت أمطار كافواه القرب**)

[**فرعون**] : يا هامان : ما هذه الأمطار الغريبة . التي لم أر مثلها في حياتي قط .

[**هامان**] : اخشى أن يكون قد نفذ فينا سحر موسى .

[**ستحوت**] : بل أخشى أن تكون قد غضبت علينا السماء انتصاراً لموسى .

[**فرعون**]: لا تقل ذلك يا ستحوت. والا تُتَّهَم بأنك عميل لموسى.

[**ستحوت**] : لست عميلاً لموسى . ولكن الواقع أليم . لقد تهدمت البيوت . وجُرِفت الزروع .

(**صوت الرعود . ولمعان البرق . وصوت أمطار كأفواه القرب**)

[**امين الأسرار**] : (**دخل فقال**) : يا مولاي : منفذ الأوامر بالوجه القبلي يستأذن بالدخول .

[**فرعون**] : دعه يدخل .

[**منفذ الأوامر** [1]] : سيدي ومولاي ملك الملوك ورب الأرباب . أتى الطوفان في الجنوب فجرف الزروع . واغرق الشعب والحيوان . وانه على ابواب المدينة [2] .

---

(١) منفذ الأوامر كالمحافظ .

(٢) مدينة منف إذ ذاك .

[**فرعون**] : ننظر في الأمر ونتخذ التدابير . بإمكانك الأنصراف .

[**فرعون**] : فما الحيلة يا هامان ؟

[**هامان**] : لا أدري ما الحيلة . تاه الحليم . لقد نفذ فينا سحر موسى .

(صوت الرعود ولمعان البرق ـ نساء يولولن ـ واطفال يبكون ـ شباب يصرخون)

[**الشعب**] : الطوفان الطوفان . . الطوفان الطوفان . . الطوفان الطوفان .

[**حتشبسوت** [1]] : (**دخلت**) : يا فرعون : إن النساء الثكلى [2] قد التجأن الي بالآلأف لرفع الطوفان . وانت الرب الأعلى فارفع عنا الطوفان .

[**فرعون**] : يا حتشبسوت : ابلغي النساء أن هذا الطوفان بلاء موسى وشؤمه . وإنّا سنتخذ التدابير الحاسمة ضد موسى وأفاعيله .

[**فرعون**] : دبرنا يا هامان قبل الفضيحة .

[**هامان**] : الى الآن لم تنزل بنا الفضيحة يا فرعون . ونحن نلجأ الى عدونا موسى .

[**فرعون**] : اذهب الى موسى : وعده بالأيمان واطلاق بني اسرائيل .

[**هامان**] : هل هذا وعد حق وصدق يا فرعون .

[**فرعون**] : اذهب اليه فقد ضاق الخناق . وكاد الطوفان يبتلعنا . فقد طغى على القصر رغم ارتفاعه .

(صوت الرعود ولمعان البرق . وعجيج الأمواج ـ وصياح النساء . وبكاء الأطفال) .

[**هامان**] : يا موسى : ادع لنا ربك بما عهد عندك ـ من إجابة دعائك ـ لئن كشف عنا الرجز ـ والطوفان ـ لنؤمِنَنَّ لك ولنرسِلَنَّ معك بني اسرائيل .

---

(١) هي الملكة زوجة فرعون بعد وفاة آسية بنت مزاحم .

(٢) النساء الثكلى أي اللائي فقدن اولادهن .

[**قال موسى**] : هذا عهد بيني وبينكم . والله على ما نقول وكيل .

[**هامان**] : نعم نعم يا موسى أسرع أسرع فقد بلغ الماء الزبى والربى وتجاوز الويل حده . وجرفت الزروع . وهدمت البيوت والمنازل .

[**قال موسى**] : اللهم بعهدي عندك ارفع الطوفان عن آل فرعون لعلهم يؤمنون .

[**الراوي**] : (**فرفع عنهم الطوفان** [٢] . **وكان قد جرف معه كثيراً من الأتربة والغصار**[٣] **الخصيب . فأنبتت الأرض نباتاً عجيباً تنبته قبل ذلك من الكلأ والزروع والثمار . وفاءت الأرض أكلها ولفظت خبأها . وعاشوا حيناً من الدهر في خير وراحة وسرور . ولكنهم ارتدوا على اعقابهم ونكثوا بعهدهم . واخلفوا وعدهم . فابتلاهم الله عز وجل بالجراد . فكأن الواقع كما يلي .**

[**فرعون**] : يا هامان ويا ستحوت: الا ترون أن الطوفان قد انحسر من هيبتي ؟

[**ستحوت** [٤]] : (كر كر كر) طغى الماء حتى غرق قصرك . فاستغثت بموسى .

[**فرعون**] : كلا كلا يا ستحوت لم ينحسر الماء بدعوة موسى . ولم يكن الطوفان شراً . بل كان خيراً أرسله الينا (آمون) .الا تريا ستحوت ويا هامان ما انبتت الأرض بعد الطوفان من الكلأ والزروع والثمار . وما جاءت به البلاد من الخصب ؟

[**هامان**] : صدقت يا فرعون : إن الخير لنا . والبلاء والشؤم من موسى .

---

(١) بلغ الماء الزبى بالزاي . هي حفرة تحفر بطريق الأسد في محل مرتفع ليقع في الفخ :

ما أنت والأمر الذي قد كيدا كالذي زبى زبية فاصطيدا

أي وقع في الفخ

(٢) ومن العجيب أن البلاء لم يصب أحداً من بني اسرائيل ببركة موسى ومن معه .

(٣) الطحلب

(٤)هو مؤمن يكتم ايمانه كما تقدم

[**أمين الأسرار**] : (**دخل على فرعون فقال**) : يا مولاي رب الأرباب . زحف الشعب بأسره من سائر المدن والأرياف يستنجدون فرعون الرب الأعلى [1] من الجراد الذي أكل عامة الزروع والثمار . وورَّقَ الأشجار . وأكل الأبواب . وسقوف البيوت . والثياب والأمتعة . حتى لعق مسامير الأبواب .

[**الشعب**] : الجراد الجراد يا فرعون . . الجراد الجراد يا فرعون . . انقذنا انقذنا يا فرعون .

[**فرعون**] : هذا سحر مبين . لقد نفذ فينا سحر موسى . فما الحيلة يا هامان ؟

[**هامان**] : الحيلة عند الرب الأعلى .

[**أمين الأسرار**] : (**يدخل**) : مولاي : امتلأت الدور والأواني والقدور من الجراد . انقذ الشعب يا رب الأرباب .

[**فرعون**] : ستقضي حكمتنا على الجراد . طمئن الشعب يا أمين .

[**ستحوت**] : يا فرعون : انت الرب الأعلى كما ناديت . فانقذ الشعب من الجراد .

[**فرعون**] : يا ستحوت. ماذا عساي أن أفعل مع الجراد . لو كان من أهل القتال لقاتلته. أو من أهل النزال لنازلته. يا هامان يا هامان: ليس لنا الا موسى . فاذهب اليه . وابلغه تحياتي . واستنجد به حتى يستنجد بربه . وعده بالإيمان واطلاق بني اسرائيل .

(**انتقال**)

[**هامان**] : يا موسى : ادع لنا ربك بما عهد عندك . لئن كشف عنا الرجز ـ وأزاح عنا الجراد ـ لنؤمِنَنَّ لك. ولنرسِلَنَّ معك بني اسرائيل.

[**قال موسى**] : يا هامان : لقد نقضتم العهود مرة بعد أخرى . بلغ طاغيتك . بأن الله سوف يبطش بكم البطشة الكبرى إن تماديتم بنكث العهود .

[**هامان**] : نرجوك الآن أن تغيثنا يا موسى .

---

(١) هذا كما يدعي ويزعمون .

[**قال فرعون**]: يا رب حول الجراد عن آل فرعون لعلهم يؤمنون.

[**الراوي**] : (**وأشار موسى بعصاه نحو الغرب والشرق بامر الله تعالى فتحول الجراد عنهم وعاد من حيث أتى . ولكنهم لم يؤمنوا وأصروا على كفرهم وعنادهم . فكأن الحوادث تسير على المنوال الآتي**) :

[**فرعون**] : يا هامان ويا ستحوت. خرجت صباحاً لأتمتع بمنظر الجراد الطيار . وإذ به يفر من هيبتي ويغادر البلاد .

[**هامان**] : على هامان يا فرعون . ما قَصَمَ ظهر الجراد الا العصى التي قسمت ظهر فرعون . (كر كر كر) .

[**فرعون**] : يا هامان بقي لنا من الزروع الوجه البحري . وهو يكفينا . فلن نؤمن بموسى ولن نتخلى عن عبيدنا . قل له يا هامان : (مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) ولن نرسل معك عبيدنا على أي حال .

[**الراوي**] : (**تكبر فرعون وقومه وتجبروا . فاذا جاءتهم الحسنة ـ من الخصب والسعة ـ قالوا لنا هذه . وان تصبهم سيئة تطيرو**[1] **وبموسى ومن معه . فابتلاهم الله بالقُمَّل**[2] **بأن أوحى الى نبيه موسى عليه السلام أن يضرب كثيب رمل في عين شمس بعصاه فانقلب قُمَّلاً بإذن الله وزحف القمل على آل فرعون . فاقض مضاجعهم . فكان ما يلي**) :

[**فرعون**] : ما هذا البلاء الزاحف على الشعب . والحرث والزروع والثمار . يا هامان ويا ستحوت؟.

[**ستحوت**] : يا فرعون ثبتت العيون على موسى . فاستنشقت الأخبار فبلغني أن الله رب السماء أمر نبيه موسى أن يمشي الى كثيب رمل أعفر بقرية عين شمس فيضربه بعصاه . ففعل فانقلب الرمل قملاً وزحف على الشعب .

---

(١) تطيروا: تشاءموا. واصله من الطَيَرَه . وكانوا يزجرون الطير فان ذهب يميناً تفاءلوا وإن يساراً تشاءموا ثم استعمل اللفظ للتشاؤم مطلقاً .

(٢) اختلف في تعيين القمَّل فقال عطاء الخرساني هو القمل نفسه . وقال غيره هو صغار البعوض وقيل غير ذلك . وجرينا على أنه القمل .

[**هامان**] : (**كر كر كر كر**) شر البلية ما يضحك : بلغني أن قمل موسى تتبع ما بقي عن الجراد من الحرث والزروع والثمار. فأكلها ولحس الأرض . وعاد الى الشعب ليأكل جلودهم واللحوم . ولم يكتف بالشعب . بل تعداه الى الحيوان .

] **فرعون**] : **يا هامان ويا ستحوت: لم يكتف بالشعب والحيوان بل هاجم قصري . ومَلأ قدوري وآنيتي . ودخل بين ثيابي وجلدي . ومنعني النوم . كل هذا من تكرم موسى وعصاه . ما هذه البلية ؟**

[**الشعب**] : (القمل القمل يا فرعون . . القمل القمل يا فرعون . . القمل القمل يا فرعون) .

[**امين الأسرار**] : (**دخل فقال**) : يا مولاي : الشعب يستغيث من القمل الذي ملأ البيوت . وأكل الشعور والشوارب والحواجب . ولزم الجلود كأنه الجدري .

[**فرعون**] : طمئن الشعب بانا ننظر بالأمر . يمكنك الخروج .

[**فرعون**]: ماذا أفعل يا هامان أكل القمل جلدي، مالي وللشعب. ليس لي الا أن أنزع ثيابي (**فنزع ثيابه**) ويلاه تعلق القمل بجلدي .

[**هامان**] : وأنا أيضاً أكل القمل جلدي . وها انا انزع ثيابي (**فنزعها**) . **وانت يا ستحوت ما صنع القمل بك ؟**

[**ستحوت**] : انا في جلدي مناعة فاني لا أشعر بشيء [1] .

[**هامان**] : عجباً عجباً يا ستحوت.

[**فرعون**]: كل ذلك من شؤم موسى ومن معه. اذهب اليه يا هامان. واستنجد به وعده بالايمان وتسريح بني اسرائيل.

[**هامان**] : كيف أخرج بدون ثياب ؟

[**فرعون**] : اخرج إليه بدون ثياب فذلك ادع للاستغاثة .

---

(١) كان ستحوت مؤمناً يكتم إيمانه كما تقدم لذلك لم يتأثر بالقمل وغيره من مصائب آل فرعون وكذلك من آمن وسائر بني اسرائيل . المؤمنين .

(خرج هامان الى موسى بدون ثياب)

[**هامان**] : يا موسى هجرنا البيوت ونزعنا الثياب من القمل . وها نحن كما ترى عراة . ولكن القمل لصق في جلودنا . ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشف عنا الرجز ـ وازاح القمل ـ لنؤمنّ لك. ولنرسلن معك بني إسرائيل .

[**قال موسى**] : نكثتم العهود مرة تلو أخرى يا هامان . إن الله يمهل ولا يهمل .

[**هامان**] : الآن الآن تبنا يا موسى : يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون .

[**قال موسى**] : اني رسول ولست بساحر : اللهم اذهِب القمل عن آل فرعون لعلهم يؤمنون يا رب العالمين .

[**الراوي**] : (فذهب عنهم القمل . وعاشوا مدة من الزمن في ارحة وسرور . فنكثوا العهود وعادوا الى الكفر والتجبر والغرور فابتلاهم الله عز وجل بالضفادع . فكأن الأمر يسير على هذا المنوال)

(نقيق الضفادع قاق قاق قاق قاق)

[**فرعون**] : ما هذا النعيق يا هامان ويا ستحوت.

[**هامان**] : زحفت علينا جيوش الضفادع من كل حدب وصوب .

[**فرعون**] : وهذا أيضاً من تكرم موسى علينا .

[**الشعب**] : (الضفادع الضفادع يا فرعون . . الضفادع الضفادع يا فرعون) .

[**أمين الأسرار**] : (**دخل فقال**) : يا مولاي : الشعب زحف اليك يستنجدك من جيوش الضفادع النازلة من السماء والزاحفة من الأرض)

[**فرعون**] : اطردهم يا أمين . ماذا أصنع وقد امتلأ قصري بالضفادع . هذه هدية موسى . فما الحيلة يا هامان ؟

[**هامان**] : يا فرعون : عمت البلية وقلت الحيلة . هذا الشعب يصرخ ويستجير بفرعون الرب الأعلى . فان كنت رباً أعلى فانقذ الشعب من

الضفادع . فقد ملأت البيوت والأقنية . والآنية . فلا يكشف أحد من الشعب آنيته الا ويجدها ملآى من الضفادع . ولا طعاماً إلا وتجلل بالضفادع .

[**فرعون**] : هذا قصري الشاهق كاد يمتلىء من الضفادع . فما الحيلة يا هامان ؟

[**هامان**] : الحيلة عند الرب الأعلى !!

[**فرعون**] : ما لنا إلا موسى . إذهب اليه وبلغه تحياتي . وذكّره بتربيتي . وسله أن يدعو لنا ربه ليرفع عنا هذا البلاء .

[**هامان**] : إني استنجدت بموسى حتى خجلت منه دبرها أنت .

[**فرعون**] : ماذا أصنع يا هامان . كدت أختنق من الضفادع . ليس لنا إلا موسى اذهب اليه وعده باننا نؤمن به ونرسل معه بني اسرائيل هذه المرة .

« **انتقال** »

[**هامان**] : يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشف عنّا الرجز ـ وأزال الضفادع ـ لنؤمِنَنّ لك ولنُرسِلَنّ معك بني اسرائيل .

[**قال موسى**] : يا هامان : لقد نكثتم العهود مراراً وتكراراً . لا تأتني مستغيثاً بعد اليوم فلن أنفذَنَّ لك طلباً .

[**قال موسى**] : اللهم إرفع البلاء . وأزل الضفادع عن آل فرعون لعلهم يؤمنون يا رب العالمين .

[**الراوي**] : (**فرفع الله عنهم البلاء وأزال الضفادع . وعاشوا حيناً من الدهر في أمن وسلم وسلام . فخانوا العهود . ونكثوا بالوعود . فابتلاهم الله بالدم . بأن انقلب ماؤهم دماً عبيطاً** [1] **فكأن الحوادث تسير على هذا المنوال**) .

[**هامان**] : (**ايقظ فرعون من النوم وقال**) : يا فرعون . يا

---

(١) العبيط : الطري . الخالص .

فرعون . انقلب النيل دماً عبيطاً . وكذا سائر الفروع والترع إلا الترع التي تسقي بني اسرائيل .

[**فرعون**] : إني استيقظت عطشاً . فاسقني من ذاك الإناء .

[**هامان**] : تفضل .

[**فرعون**] : ويلاه ويلاه : هو دمٌ . ماذا نصنع يا هامان ؟ وقد أعيانا سحر موسى .

[**هامان**] : الحيلة عندك . تاه الحليم . من هذا الساحر العليم .

[**الشعب**] : الدم الدم يا فرعون . . الدم الدم يا فرعون . . الدم الدم يا فرعون . .)

[**أمين الأسرار**] : (**دخل فقال**) : مولاي الرب الأعلى : الشعب يستغيث من الماء الذي انقلب دماً عبيطاً .

[**فرعون**] : الجؤوا الى بني اسرائيل واشربوا من جداولهم فانها لا تزال ماء زلالاً .

[**امين الأسرار**] : أمرك مطاع .

[**حتشبسوت** [1]] : (**دخلت فقالت**) : يا فرعون هلكت عطشاً . من ثلاثة ايام ما ذقت الماء . لأني ما اخذت ماء إلا انقلب دماً عبيطاً .

[**فرعون**] : يا حتشبسوت : أمرت الأقباط أن يلجؤوا الى جداول بني اسرائيل فيشربوا منها . فان ماءها لا زال زلالاً .

[**حتشبسوت**] : يا فرعون : تركت النيل فذهبت الى الآبار فوجدتها دماً . فلجأت الى جارتنا الاسرائيلية فوجدت عندها ماء زلالاً تشربه هنيئاً مريئاً . فملأت لي كأساً لاشربه فما إن تناولته حتى صار دماً عبيطاً . فقلت لها ضعي الماء في فمك ومجيه في فمي . ففعلت فانقلب في فمي دماً عبيطاً .

[**فرعون**] : وانا ما ذقت الماء من ثلاثة ايام . فقد نفذ فينا سحر موسى . اذهب اليه يا هامان . وسله أن يدعو لنا ربه في رفع هذا البلاء .

[**هامان**] : لقد اتيت موسى مراراً وتكراراً . وكان يأخذ علينا العهود لنؤمن به ولنطلق سراح بني اسرائيل . ولكننا أخلفنا العهود كل مرة حتى

---

(١) هي الملكة بعد وفاة آسية .

قال لي موسى لا تأتني مستجيراً بعد اليوم فلن انفذنَّ لك طلباً . وكلام موسى فصل ليس بالهزل . أرسل اليه سنحوت لعله يلبي طلبه .

[**فرعون**] : اشرت بالرأي الحكيم . يا امين الأسرار على بستحوت .

[**امين الأسرار**] : حاضر يا مولاي .

[**ستحوت**] : (**دخل على فرعون**) : ماذا يأمر فرعون ؟

[**فرعون**] : يا ستحوت ألا ترى ما نحن فيه من انقلاب مائنا دماً عبيطاً . فقد كدنا نهلك عطشاً . وقد أمرت هامان أن يستنجد بموسى فأبى ليس تكبراً ولا عصياناً بل حياءً وخجلاً . إذهب انت الى موسى واستنجد به واذكر له عطش الأطفال والنساء . فإن موسى رحيم القلب .

[**ستحوت**] : صدقت بهذه يا فرعون : إن موسى رحيم القلب . وها انا ذاهب اليه .

فاصل

[**ستحوت**] : (**دخل على موسى فقال**) : السلام عليك يا نبي الله . أحجَمَ الجبابرة عن الاستغاثة بك حياء وخجلاً . فأرسلوني اليك . فأنا ارجوك أن تدعو لنا ربك . أن يرفع عنا البلاء ويرزقنا الماء الزلال . رحمة بالنساء والأطفال .

[**قال موسى**] : يا ستحوت: هيّء نفسك للرحيل من هذه البلاد الظالمي أهلها . فانهم وان رأوا كل آية لا يؤمنون . اللهم اكشف عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه رحمة بالنساء والأطفال . يا رب العالمين .

[**قرآن كريم**] : ﴿ ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين [1] . ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون * فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيَّروا[2] بموسى ومن معه . ألا إنما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون * وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين * فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمَّل والضفادع والدم آيات مفصلات

---

(١) السنين القحط .

(٢) يطيروا: يتشاءموا.

فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين * ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشف عنا الرجز لنؤمنَنَّ لك ولنرسلنَّ معك بني اسرائيل * فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون ﴾ [1] .

القصيدة

يا عامراً لخراب الدهر مجتهداً ... بالله هل لخراب الدهر عمرانُ
يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتطلب الربح فيما فيه خسرانُ
يا ظالماً فرحاً بالعز ساعده ... إن كنت في سِنة [2] فالدهر يقظانُ
من استعان بغير الله في طلب ... فان ناصره عجز وخذ لانُ

(١) الآيات ١٣٠ ـ ١٣٥ من سورة الأعراف.
(٢) السنة هنا النوم . أو أول النوم .

الحلقة الرابعة والثلاثون

خـروج بني اسرائيـل من مصـر
وانغـلاق البحـر لبني اسرائيل وغرق فرعون وجنده

خروج بني إسرائيل من مصر وتوحيدهم
بقيادة موسى عليه السلام(*)

[الراوي] : (**أفصح النهار لذي عينين. فتبين بنو اسرائيل الغِيَّ من الرشاد . فانحازوا لرسول الله الكريم . يلتمسون لديه الرحمة والهداية . وعزموا عـلى الفرار من أرض مصـر طلباً للسـلامة . وبعـداً عن القوم الظالمين . فكأن الحوادث تتلاحق على هذا المنوال**)

[قال موسى] : يا بني اسرائيل أمرني ربي أن يجتمـع كل أربـع عائلات في بيت واحد . ليسهل علينا الإتصال بالجميع .

[يـوشع(١) بن نـون] : أمر نبي الله مطاع. إلى التنفيذ يـا بني اسرائيل .

[هارون] : يا نبي الله : إن بني اسرائيل يعدون العدة للاحتفال بيوم العيد . يوم عاشوراء .

---

(١) هو يوشع بن نون . احد زعماء بني اسرائيل البارزين . وهو فتى في رحلته العلمية واجتماعه مع الخضر .وهو خليفة موسى على بني اسرائيل .

(*) مكث موسى في مصر يدعو الى الله عز وجل قرابة عشرين سنة . وهو يجاهد ويناضل فآمن معه جمع من قومه ونافق آخرون كما آمن نفر من الاقباط .

« وخلص موسى نجيا[1] بهارون ويوشع بن نون »

[**قال موسى**] : يا هارون . ويا يوشع : إن ربنا أذن لنا بالخروج من هذه البلاد الظالمي أهلها . فدعونا نتظاهر باننا نقيم احتفالنا بيوم العيد بسهل جوشَن فنأخذ الخيام والطعام . ومن الأثاث خفيف الحمل غالي الثمن . حتى إذا جنَّ علينا الليل فررنا بدينِنا نحو الأرض المقدسة . فبلغ الناس بالاستعداد للعيد على هذا الأساس يا يوشع .

[**يوشع**] : الحمد لله رب العالمين . وها أنا منفذ أمرك يا نبي الله .

« انتقال »

[**يوشع بن نون**]: يا بني اسراميل: أمر نبي الله موسى أن يحتفل بيوم عيدنا بصحراء جوشن . حيث الهواء الطلق . والماء الزلال . والمرج الأخضر . فاعدوا العدة للخروج غداً .

[**الشعب**] : أمر نبي الله مطاع . . أمرك يا يوشع . . هَلُمَّ يا رجال . . .

[**الأولاد**] : الى العيد الى العيد . . يا موسى أنت سعيد . . الى العيد الى العيد . . يا موسى أنت سعيد .

[**كوثر**] : يا مريم ويا نورا : إني استعرت من سيدتي حتشبسوت (الملكة) سائر حليها لأزين بها بناتي السبعَ يوم العيد ليرغب بهن الشباب (كر كر كر كر) .

[**مريم**] : حسناً فعلتِ . وها أنا ذاهبة الى سيدتي (توت) زوجة هامان لأستعير حليها ايضاً . وأنت يا نورا . استعيري حلي سيدتك (زلخا) زوجة أمير الجند .

[**نورا**] : (كويس أوي) : ها أنا ذاهبة الى زلخا .

[**الراوي**] : **(وهكذا تظاهر بنو اسرائيل أنهم خرجوا من مدينة منف يريدون الاحتفال بيوم العيد ـ يوم عاشوراء ـ ولكن زعماءهم على علم بأن ذلك هو الفرار من الأسر والعبودية . فاقلوا الخيام والزاد . وخفيف**

---

(١) أي كلمها سراً .

الحمل غالي الثمن . كما استعار الكثيرات حلي القبط . بحجة زينة بناتهن . وجدّوا السير ليلاً . يدفعهم الخوف ، ويعصمهم الايمان . يقطعون اليابسة المصرية باتجاه سيناء . فكأن الأحداث تتلاحق كما يلي) :

[**هامان**] : (ايقظ فرعون من النوم) : يا فرعون اللطيمة اللطيمة . لقد فر عبيدنا بنو اسرائيل . يرأسهم موسى الساحر كما فر معهم حذقيل وستحوت . بعد أن استولوا على الكثير من حلي القبط .

[**فرعون**] : كلا : إنهم يحتفلون بعيدهم في صحراء جوشن .

[**هامان**] : أين أنت . لقد مرت بهم قافلة التجارة وهم ينهبون الأرض نهباً باتجاه سيناء .

[**حتشبسوت**] : أسفاً لقد استعارت كوثر سائر ما لدي من الحلي زاعمة تزيين بناتها لترغب فيهن الشباب . إذن سلبتهم اللخناء .

[**توت**] : وأنا استعارت مني ـ الوحشة ـ مريم سائر ما عندي من حلي ـ إذن سلبتهم الوسخة .

[**زلخا**] : وأنا ايضاً دفعت سائر حلي الى نورا .

[**فرعون**] : (صرخ) لن يفروا من قبضتي . وأنا الرب الأعلى . لن يفروا وأنا الرب الأعلى . يا أمين الأسرار[1] .

[**أمين الأسرار**] : (دخل) : حاضر يا مولاي .

[**فرعون**] : علي بقائد الجند .

[**أمين الأسرار**] : أمرك يا مولاي .

(دخل أمير الجند)

[**فرعون**] : يا هامان . ويا أمير الجند . وجهوا حالاً سائر الشرطة الى سائر المدائن . ولْيحشدوا لي سائر المقاتلين . حالاً وسريعاً . وها أنا أقود القتال بنفسي . لتأديب هؤلاء الآبقين المارقين .

[**هامان**] : يجب أن يسحقوا جميعاً .

---

(١) هو الحاجب .

[**أمير الجند**] : نحن أطوع لك من بنانك. وها أنا حاشر لك سائر الجند باسرع ما يمكن .

[**فرعون**] : يا رئيس الحرس . احضر لي حصاني ادهم . ولامة حربي . ودقوا طبول الحرب .

(طبول الحرب ـ طبول الحرب)

[**أمير الجند**] : (دخل على فرعون] : يا مولاي : جمعت لك جيشاً كالسيل اذا سال . وكالظل إذا مال .

[**فرعون**] : حسناً فعلت . سيروا بنا الى الحرب . وحُولوا بين موسى وأصحابه وبين صحراء إلّه القمرسين[1] حتى نحصرهم في البحر .

[**الجيش**] : إلى الحرب . الى الحرب . نحن جنودك يا فرعون . نحن جنودك يا فرعون . .

« موسى وقومه »

[**قال موسى**] : يا هارون . ويا يوشع . ويا قوم : يا عباد الله : جدوا المسير فقد أوحى لي ربي (أن أسرِ بعبادي إنكم متبعون)

[**يوشع**] : يا كليم الله : إن اتجاهنا هذا خاطىء . لأنه يحصرنا في البحر . فينبغي أن نتجه الى الشمال الشرقي حتى نعبر سيناء . ثم نجتاز الصحراء الى الأرض المقدسة .

[**قال موسى**] : إني أُمِرتُ أن أتوجه الى البحر . جدوا في المسير الى البحر . وهنالك يخلق الله الفرج .

[**يوشع**] : سر لما أمرك الله يا نبي الله . ونحن معك . اللهم اجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً .

[**هارون**] : سمعاً وطاعة لأمر رب العالمين . اسرعوا يا عباد الله قبل أن يدركنا العدو .

انتقال

---

(١) كان أهل سيناء يعبدون صنماً يدعى سين يرمزون به للقمر. ومنه سميت سيناء.

« فرعون وجنوده »

[**فرعون**] : اسرعوا اسرعوا : هذا (آمون)[1] قد اشرق بنوره الوضاء . وذاك العدو يتراءى للعيان . أنظر يا هامان (إن هؤلاء لشرذمة قليلون)[2] : (وانهم لنا لقائظون) سلبوا حلينا . وخرجوا بدون إذننا . وتركوا المزارع بلا زارّع. والأعمال بلا عمّال. فلا بد من سحقهم .

[**هامان**] : مولاي : فرعون إن العالم قبضة يمينك . وإن موسى وقومه لعبيد آبقون . واتباع مارقون (وإنّا لجميع حذرون) وإنا لهم لغالبون . وقد أحاطت بهم جنودنا من كل مكان . وليس أمامهم إلا القتل أو الأسر أو الغرق في البحر .

انتقال

« موسى وقومه »

[**السامري**][3] : **يا موسى مُلِئَتْ نفوسنا خوفاً وهماً وحسرة . ليس أمامنا الا الموت المحتوم . هذا البحر أمامنا وهذه حبائل فرعون تحيط بنا من كل جانب . ما وعدتنا إلا غروراً .**

[**يوشع**] : اسكت اسكت يا سامري . اننا عبيد الله ونطلب الفرج من الله . (والتفت يوشع الى موسى) يا كليم الله . أين تدبيرك . ها قد دهمتنا غوائل القدر . فالبحر أمامنا . والعدو وراءنا . وليس لنا من الموت محيص ولا مفر إلا أن تدعوَ لنا ربك ليرشدنا الى سواء السبيل .

[**قال موسى**] : يا قوم ثقوا بالله عز وجل . لقد أمرت بالبحر . وهذا هو البحر . ولعلي أومر الآن بما أصنع .

[**السامري**] : متى تصنع (إنا لمدْرَكون) لحظات ويبطش بنا العدو .

[**قال موسى**]: (كلا إن معيَ ربي سيهدين).

---

(١) آمون: هو معبود فرعون كما تقدم. ويدعون بأنه إلّه الشمس.

(٢) وكانت الشرذمة الذين قللهم بعينه ستمائة الف مقاتل سوى النساء والأطفال . وجنود فرعون آلاف مؤلفة.

(٣) السامري: هو منافق كان له دور في قتل القبطي فانون. ويأتي دوره في عبادة بني إسرائيل العجل.

[الراوي] : (سَرَتْ في نفوس بني إسرائيل سارية من الأمل من كلام موسى عليه السلام. ولكنه لا يلبث يمد شعاعه حتى تطفئه عواطف الخوف واليأس والقنوط عند نظرهم إلى الخطر الداهم من فرعون وجنوده . وإذ بوحي السماء ينزل على موسى عليه السلام) .

[صدى الوحي] : (فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً . لا تخاف دركاً ولا تخشى) (أن أضرب بعصاك البحر) « ضرب موسى البحر بعصاه وقال »

[موسى] : يا من كان قبل كل شيء . والكائن بعد كل شيء . اجعل البحر طوع إرادتي يا رب العالمين . انغلق ايها البحر باذن الله . الله اكبر . الله اكبر .

«صوت انفلاق البحر والأمواج المتلاطمة»

[يوشع بن نون]: الله أكبر انفلق البحر فكان كل فرق كالطود[1] العظيم

« رياح صوت عاتية تهب فتجفف قاع البحر »

[قال موسى] : يا بني اسرائيل اعبروا البحر آمنين باذن رب العالمين . وها أنا أسير أمامكم .

[هارون] : يا يوشع ويا حذقيل ويا ستحوت. سيروا بنا خلف نبي الله موسى وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين .

[يوشع] : سيروا بنا على الله توكلنا . وإليه أنبنا وإليه المصير .

[حذقيل][2] : الله الله . إن السبيل جاف وسهل . كأنه معبد . الحمد لله رب العالمين .

وهكذا عبر موسى وقومه البحر سالمين)

انتقال ـ فرعون وجنوده)

---

(١) الطود الجبل . كان اتجاه بني اسرائيل الى الأرض المقدسة ـ فلسطين ـ وكان عبورهم البحر في خليج السويس عند البحيرات المرة . حيث هنالك عيون موسى . لا كما تزعم البحارة بأن العبور كان من البحر الأحمر جنوب السويس ينحو ثلاثين ميلاً.

(٢) مؤمن آل فرعون هو وسنحوت كما تقدم .

[**فرعون**] : ما هذا الهدير المزعج يا هامان .

[**هامان**]: أنظر أمامك يا فرعون الى الجبال الزرقاء الشامخة . لا أدرِ لعل سحر موسى قلب البحر جبالاً شامخة . فانه أقدر من ذلك .

[**أمير الجند**] : بل يا مولاي . طوعت لي نفسي أن أقبض على موسى بيدي فتقدمت الجند فرأيت بأم عيني أن موسى ضرب البحر بعصاه فانفلق فرقتين كل فرقة كالطود[1] العظيم . فما ترون من الجبال هي جبال من ماء .

[**هامان**] : بلغ من سحر موسى أن يقلب الماء جبلا . والبحر طريقاً يبساً ؟ يا له من ساحر مدهش ماهر .

[**فرعون**] : أنظروا انظروا : إن بني إسرائيل يلجؤون الى البحر . . أسرعوا حتى ندركهم قبل أن يفروا .

[**هامان**] : أراهم ينحدرون الى البحر كالسيول المتدفقة .

[**جيش فرعون**] : عليهم يا رجال . . عليهم يا رجال . دخلوا البحر . . دخلوا البحر .

[**فرعون**] : أسفاً لم ندرك أحداً من بني إسرائيل خارج البحر .

ألا ترى يا هامان أن البحر قد انشق لهيبتي ؟

[**هامان**] : (بسخرية) : طبعاً طبعاً . إن هيبتك تشق الجبال . فكيف لا تشق البحار .

[**أمير الجند**]: عجباً من أمر موسى وبني اسرائيل هم بين فكّي الماء . في طريق يابس في البحر لم يمسهم أذىً .

[**هامان**] : لا تعجب يا أمير . إن الخشبة التي قلبها الساحر موسى ثعباناً مبيناً كالجبل الأشم . هي التي ضرب بها البحر فانفلق . وتشكلت هذه الجبال من الماء .

[**فرعون**] : ماذا ترى يا هامان ؟

[**هامان**] : الرأي رأيك . تاه الحليم . وفشل التدبير .

[**فرعون**] : ماذا ترى يا أمير الجند ؟

---

(١) المرجع السابق.

[**أمير الجند**] : يا مولاي نحن عبيدك . وطوع إرادتك . مرنا بأمرك . لو أمرتنا أن نخوض البحر لخضناه .

[**فرعون**] : أرى أن نلج البحر خلف موسى وعبيدنا الآبقين (إنهم لنا لقائظون) هجروا قهراً عنا . وسلبوا حلينا . وتركوا أعمالنا .

[**هامان**] : أنت الرب الأعلى . سر أمامنا ونحن وراءك .

« انتقال موسى وقومه »

[الراوي] : (رآى بنو اسرائيل بأم أعينهم فرعون وجنوده . وهم يتأهبون ليسلكوا في البحر مسالك بني اسرائيل التي سلكوها . حتى يلحقوا بهم فيذيقونهم أشد العذاب . فعاد الى نفوسهم القلق والاضطراب . وتملكهم الخوف . فاتجهوا الى نبي الله موسى عليه السلام)

[**يوشع**] : يا كليم الله . هذا فرعون وجنوده قد ولجوا البحر كما ولجناه . فنخشى أن يدركونا . فينزلوا بنا العذاب الأليم .

[**حذقيل**] : إن فرعون أجبن من أن يلج البحر .

[**ستحوت**]: كيف يا حذقيل أنظر بأم عينك. ذاك فرعون يتقدم، جنده يعبرون البحر كما عبرناه .

[**يوشع**] : أين تدبيرك يا كليم الله ؟ .

[**قال موسى**] : إني استخير ربي بما عساي أن أفعل .

هل بقي أحد من بني اسرائيل في البحر يا هارون ؟

[**هارون**] : كلا : خرجوا عن آخرهم .

[**قال موسى**] : إذن سأضرب البحر ثانية بعصاي حتى يعود باذن الله كما كان . ويحجز بيننا وبين فرعون وجنوده .

[**السامري**] : يا موسى . اضرب البحر ماذا تنتظر ؟

[**قال موسى**] : انتظر الإذن من ربي .

« وإذا الوحي من السماء»

[**صدى الوحي**]: (واترك البحر رهواً[1] إنهم جند مغرقون) يا

---

(١) رهواً: منفرجاً على حاله.

موسى اترك البحر ساكناً على حاله فلا تضربه بعصاك لأن الله لا يريد أن يجعل البحر حائلاً بينك وبينهم بل سبقت كلمة ربك أنهم جند مغرقون.

[**فرعون**] : اقتحموا البحر فان سبلَهُ ممهدةٌ أمامكم فيها تسيرون . ومنها الى بني اسرائيل تصلون . وها أنا سائر أمامكم .

[**أمير الجند**] : الا لا يتأخرَّن أحد عن العبور وراء قائدنا الرب الأعلى .

[**الجيش**] : (يعبرون) نحن رجالك يا فرعون ـ نحن رجالك يا فرعون . . نحن رجالك يا فرعون .

[**فرعون**] : أنظروا يا معاشر الرجال الى البحر كيف انفلق طوعاً لأمري . وسكن الماء انصياعاً لهيبتي . حتى أُدرِك هؤلاء الخارجين المارقين المتمردين على حكمي .

[**هامان**] : جدوا السير يا رجال حتى ندرك العدو المحتال .

[**فرعون**] : يا أمير الجند . هل تأخر أحد عن عبور البحر ؟ حتى ينال عقابه الأوفى .

[**أمير الجند**] : كلا . . وهل يمكن أن يتأخر أحد عن طاعة فرعون . الرب الأعلى .

[**الراوي**] : **(حتى اذا لم يبق أحد من جنود فرعون خارج البحر أمر موسى أن يضرب البحر بعصاه فانطبق عليهم باذن الله . فغرقوا جميعاً . وحاول بعض من يحسن السباحة النجاة . ولا نجاة بين الأمواج المتلاطمة كالجبال)** .

[**فرعون**] : (وهو يصارع الموج) : (آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل . وأنا من المسلمين)[1]

(هدير البحر عند انطباقه . وهدير الامواج المتلاطمة)

---

(١) إن الله لم يتقبل إيمانه وهو يصارع سكرات الموت بعد بيان الآية الكبرى . ومع ذلك آمن لينجو من الغرق ولا نجاة .

[**يوشع بن نون**] : ما هذا الهدير المزعج يا كليم الله ؟

[**قال موسى**] : إن الله أهلك فرعون وجنوده في البحر مغرقين: فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين .

[**السامري**][1] : لا يمكن أن يموت فرعون . إنه من نسل الآلهة الكرام .

[**قال موسى**]: صَه يا سامري ما هذا. هذا كفر واشراك. إن فرعون كافر طاغية متسلط جبار . فاهلكه الله كما اهلك الجبابرة من قبله .

[**السامري**] : ما أظن هذا: ألا ترى يا موسى كيف كان يلبث ثلاثة أيام لا يحتاج فيها كما يحتاج بنو الانسان . فان كان قد مات فانه ينتقل بجسده وروحه الى عالم آخر ليحاسب الخارجين عليه .

[**قال موسى**] : هذا كفر ونفاق يا سامري . إرجع عن هذا قبل أن يطبَع الله على قلبك .

[**يوشع**] : يا كليم الله . هذه جثث جنود فرعون تقذفها الأمواج الى الساحل .

[**قال موسى**] : فتشوا في الجثث هل تجدون بينهم جثة فرعون ؟

[**حذقيل**] : (صرخ) هذه والله جثة فرعون . وهذه لحيته الطويلة المنظومة بالمرجان .

[**يوشع**] : الحمد لله رب العالمين . لفظ البحر هذا الجسد المحطم . وذاك السلطان المهدم ليكون آية لمن خلفه . آية ناطقة على هذه القدرة المعجزة . وهذا الأنعام الذي تفضّل به رب العالمين على بني اسرائيل .

[**قرآن كريم**] : ﴿ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر . فأَتْبَعَهم فرعونُ وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين * الآن وقد عصيت قَبْلُ وكنت من المفسدين * فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون * ﴾[2] .

---

(١) تقدم أكثر من مرة بأن السامري منافق يظهر الأيمان ويبطن الكفر . وهنا تبين نفاقه .

(٢) الآيات ٩٠ ـ ٩٢ من سورة يونس.

القصيدة

أدر الحديث وطف على الأقدام من شيق طرب الفؤاد وظام
قوم أمضهم البلاء وهَدَّهُم طَغيُ السراة وقسوة الظُلّام
يا صاحب القصص الحكيم شهادة من مؤمن برسالة الاسلام
أنصفت دين الحق فانتبهت له أحلام قوم في الظلام نيام

تم الجزء الاول من كتاب

(قصص القرآن مسرحيات من الذكر الحكيم) ويليه الجزء الثاني.

بقلم محمد بن محمد ديب حمزة غفر الله له .